ماذا لو ؟

« الأصنام الفكرية »



كتاب يقارب مغالطات شائعة

د. غفار محمد

ماذا لو؟ ...

الإهداء :

إلى كل باحث عن الحقيقة يأبى الوقوع في فخّ مغالطات الحياة ..

ماذا لو ؟ ...

محتوى الكتاب :

- مغالطة سريالية (الدولة العميقة)
- مغالطة أصغر من الذرّة (بوزون هيغز)
- مغالطة قمر 14 (الدورة الشهرية و الدورة القمرية)
- مغالطة الموت الرحيم (قتل النفس بالحق)
- مغالطة مخمس الشيطان (بافوميت)
- مغالطة الأصنام الفكرية (مطرقة نيتشه على رباعي بيكون)
- مغالطة قارّة الأحلام الذهبية (قناع ماسكيباثا)
- مغالطة أكثر من عكّاز (و لي فيها مآرب أخرى)
- مغالطة بلورات الزمن (التاريخ يعيد نفسه)
- مغالطة ماذا لو ؟ (ذكريات لم تحدث بعد)
- مغالطة العمالقة (سدّ ذي القرنين)
- مغالطة خريطة الكنز (وشم السماء = الثالوث المقدس)
- مغالطة OLD IS GOLD (علوم الأولين)
- مغالطة الإعدام (و لكم في القصاص حياة)
- مغالطة إيكو (لعنة حورية)
- مغالطة النفق الكمي (DOCTOR STRANGE)
- مغالطة واقع افتراضي (الأكوان الموازية)
- مغالطة الخمرة الإلهية (جرح النور)
- مغالطة إلى أقاصي الأرض (تشبث بأحلامك)
- مغالطة لغة الصورة (بألف كلمة و معنى)
- مغالطة داروين و التطور (وجه العلم و أوجه الدين)
- مغالطة الشهر النسيء (اليوم استدار الزمان)
- مغالطة امبراطورية الجسد (الخلية الإله)
- مغالطة النصيحة بجمل (المرآة السحرية لا تكذب)
- مغالطة دافنشية (مسبّع الكارات)

ماذا لو ؟ ...

مخالطة سريالية

(الدولة العميقة)

وقف الشاب أمام إحدى لوحات الفنان الإسباني الشهير سلفادور دالي يتأملها بعمق ثم التفت إلى مرشد الجولة و سأله بدهشة ..

= سيدي ، ما المبهر بهذه اللوحة ؟ لا أرى سوى أشياء غريبة لا معنى واضح لها أو رابط منطقي بينها ؟ أين هي الطبيعة أو الأجساد البشرية التي تضج بالحياة كحال بقية اللوحات في المعرض .. إنها أشكال عبثية عشوائية بلا هدف أو غاية ؟

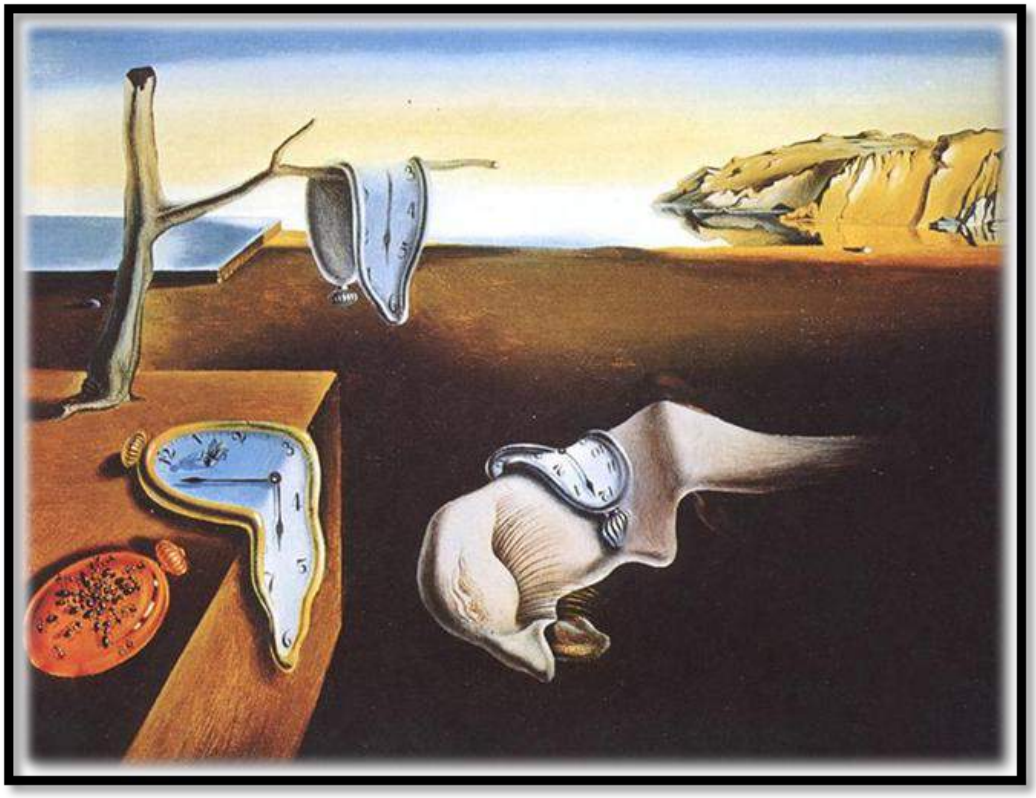

ابتسم المرشد بلطف :

= محق .. لكن هذا النوع من الفن يدعى بالفن السريالي و هو ليس فناً واقعياً يجسد الأمور كما هي من حولنا ..

= و كيف يجسدها إذن ؟!

= لفهم الفن السريالي علينا فهم **العقل الباطن** أو اللاواعي أولاً .. فهذا الفن هو تجسيد لما يجول في هذا العقل تماماً على شكل لوحات فنية أو موسيقى أو حتى شعر .. و العقل الباطن بالأساس ضبابي بالنسبة لنا و مبهم لذا تكون نتيجة ترجمته إلى أعمال فنية ضبابية و مبهمة بدورها ..

= فهمت ، لكن ما الفائدة من هذا الفن أساساً إن كان بالأساس مجرد أعمال غير واضحة ..؟!

= لأن الفنانين و بشراً كثيرين يؤمنون بأن اللاوعي هو المحرك الأساسي لأفعالنا و إن كنا نجهل الآلية بدقة ، كما يؤمن كثير منهم بأنه صلة الوصل بين العالم المادي و العالم الغيبي الروحاني ..

= لم أفهم !!

= مثلاً تعتبر الأحلام جوهر السريالية و متنفس **العقل الباطن** عندما يعبر عن نفسه بحرية ، و يؤمن السرياليون بأن الأحلام أيضاً وسيلة السماء لمخاطبتنا بشكل مباشر .. لذا يعتبرون ترجمة الأحلام إلى أعمال فنية كرسالة من السماء تحتاج التفسير و التقصي ..

= و ما الذي يقصده الفنان دالي مثلاً من الساعات الذائبة في هذه اللوحة أمامنا ؟!

= الله أعلم ، لكن بحكم أنني مسلم العقيدة ، فأرى هذه اللوحة تنسجم بقوة مع آية مذهلة من القرآن الكريم ..

= أثرت فضولي ، و علامَ تنص هذه الآية ؟

= تقول :

(و إن يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدون)

و كما تلاحظ ، هذه الآية تشير بشكل صريح إلى أن الوقت في العالم الآخر أبطأ بكثير من الوقت في عالمنا الأرضي ، و بإسقاط هذه الآية على لوحة سلفادور دالي التي تجسد كما يبدو عالماً غريباً على البشر يمر الوقت فيه ببطء .. فيمكننا القول بأن دالي رأى في أحلام اليقظة أو الأحلام الحقيقية ما يشبه جنان الله و ترجمها إلى لوحته هذه بطريقته الخاصة .. طبعاً هذا افتراضي الشخصي لا أكثر ..

= و هو افتراض مناسب بشكل مثالي .. لا أنكر ..

= هل فهمت الآن سرّ شعبية الفن السريالي ؟

= بالطبع .. **إنه الفسحة التي يعبر فيها اللاوعي عن نفسه بحرية كرسائل سماوية لنا ..**

= بالضبط .. أحسنت التلخيص و التشبيه ..

= لكن ما درجة سيطرة اللاوعي على وعينا سيدي ؟

= سيطرة أكبر و أخطر مما يعتقد كثير من البشر ، لكن المكان هنا غير مناسب للحديث فهو موضوع شائك و مطول ..

= أتحب أن نلتقي في أحد المقاهي مساءً كي نتابع هذا النقاش مع فنجان قهوة .. فلطالما أثار موضوع اللاوعي

اهتمامي و فضولي و يبدو أنك تملك معلومات قيمة و مثيرة عنه ..

= و شيقة أيضاً .. لا مانع من اللقاء أبداً ، يناسبك موعد على الساعة السابعة في مقهى العرّاب ..

= مناسب تماماً ..

*****

اللاوعي .. العقل الباطن .. اللاشعور ..

مصطلحات كثيرة تدور في فلك مفهوم واحد و هو **الخلفية النفسية** للإنسان التي تحرك وعيه كرجل الدمى و بخيوط متينة للغاية لكنها غير مرئية، فتتحكم بأفكارنا و أقوالنا و افعالنا و قراراتنا ..



فهل هذه الفرضية حقيقة بالفعل ، أم أنها محض مغالطة جديدة ، و إن كانت صحيحة ، فإلى أي درجة يتحكم اللاوعي بالوعي و يملي قراراته عليه ؟!

هذا ما سنحاول معرفته عبر الصفحات التالية في محاولة متواضعة منا لرفع النقاب عن عالم اللاوعي الغامض و الساحر .. و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **6** زوايا هامة و شيقة تشتمل على :

① **نظرية جبل الجليد ..**

② **نظرية الصندوق الأسود ..**

③ **نظرية الدولة العميقة ..**

④ **كيف يعبر اللاوعي عن نفسه ؟ ..**

⑤ **السريالية ..**

⑥ **قوة الإيحاء (قانون الجذب) ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نمخر عباب محيط اللاوعي .. **بحر ظلمات النفس البشرية** لتشرق الحقيقة بوعي كامل عليه و نكتشف **عالماً جديداً من الحقائق المذهلة** ..

أولاً ، نظرية جبل الجليد:

هذه النظرية وضعها عالم النفس النمساوي **سيجموند فرويد** في النصف الأول من القرن **20** و تنص على أن حجم تأثير الوعي و اللاوعي على النفس البشرية هو

كجبل الجليد تماماً الذي يظهر جزء يسير منه فقط فوق سطح الماء و يمثل الوعي ، أما القسم الأكبر منه فيكون تحت سطح الماء و يجسد اللاوعي ..



و التحليل النفسي للإنسان يثبت بأن حجم تأثير اللاوعي مهول بالفعل على حياته و إن كنا لا نشعر به بوضوح ، بل إن الغالبية الساحقة من قراراتنا يتخذها العقل الباطن و ليس الوعي ..

ثانياً ، نظرية الصندوق الأسود:

تشبه هذه النظرية اللاوعي أو العقل الباطن بالصندوق الأسود للطائرات الذي يحمل تسجيلات لكل ما جرى على سطح الطائرة خلال رحلتها ، كذلك العقل الباطن يحتوي

على كل ذكريات الإنسان منذ ولد و كل المعارف و الخبرات التي اكتسبها و كل غرائزه المكبوتة أو مشاعره السلبية التي عانى منها ثم رماها إلى الحديقة الخلفية (اللاوعي) ، و كما أن الصندوق الأسود مفيد في حالات الكوارث الجوية لفهم أسبابها ..



كذلك يأتينا **التنويم المغناطيسي** أو **التحليل النفسي** بيد خبير مختص كي ينبش صندوق العقل الباطن و يخرج منه أسباب كثير من مخاوفنا أو تصرفاتنا غير المنطقية ، و كمثال معبر للغاية عن هذه الفكرة سنحكي قصة حقيقية عن طبيب عسكري عانى من فوبيا الأماكن المغلقة.. فكان يشعر بفزع شديد عندما يركب القطار، خصوصاً إذا مر من نفق أو توقف في داخله.. أما إذا كان مدعواً إلى حفل أو اجتماع فقد كان يحرص كل الحرص على البقاء قرب الباب، استعداداً للمغادرة في أي لحظة، ناهيك بأنه كان مهتما بقراءة قصص المحبوسين وقصص

الذين يدفنون أحياء.. وذات يوم تم استدعاء الطبيب للالتحاق بساحة المعركة بقصد تقديم العلاجات الأساسية لجرحى الحرب.. وبمجرد وصوله وجد الجنود مكدسين في الخندق، فبدأت مخاوفه من المكان المغلق، ومما عقد الأمر أكثر أنه أعطي فأساً لكي ينقذ نفسه في حال ردم عليه الخندق، مما زاد من قلقه، ولم يعد يحتمل الوضع إلى درجة أنه أصيب بشلل تام نقل على إثره إلى المستشفى، ليتبين أن شلله ليس عضوياً بل نفسياً .. وخضع لعلاج عند محلل نفسي لمدة طويلة.. وتمكن الطبيب من جعله يتذكر مجموعة من الأحداث المنسية، اعتماداً على التنويم المغناطيسي ، وتفكيك بعض الأحلام التي كان يرويها له أثناء العلاج ، وفي النهاية، وبعد طول عناء من الطبيب والمريض نفسه، تم التوصل إلى الحدث الأساسي الذي يقف خلف مخاوفه كلها ، فكان على الشكل التالي :

(كان هنالك في بلد المريض متجر لشيخ عجوز يبيع فيه الأغراض القديمة والمستعملة ، وكان الأطفال، بمن فيهم الطبيب المريض، يأخذون إليه كل شيء قديم حصلوا عليه مقابل دراهم معدودة تمكنهم من شراء الحلوى.. و قد تذكر الطبيب بالتنويم المغناطيسي أنه حين كان في الرابعة من عمره ذهب إلى المتجر لبيع بعض الأغراض، وعندما همّ بالعودة وجد باب الممر المؤدي إلى بيته مغلقاً .. التفت إلى الجهة الأخرى فرأى

كلبا ينبح عليه بوحشية ..



و قد تفاجأ الطبيب من تذكر ذلك فقد نسيه بالكامل.. ومع استمرار العلاج، حلم بأنه حصل على منحة للدراسة في اسكوتلندا.. وعندما استيقظ تذكر اسماً اسكوتلندياً وهو اسم صاحب ذلك المتجر.. وبهذا يكون الطبيب قد استعاد الحدث المؤلم بجميع تفاصيله، و بالمحصلة تمكن من الشفاء من فوبيا الأماكن المغلقة)

و كما نلاحظ عزيزي القارئ مشكلة نفسية تسببت في عرقلة الحياة الطبيعية لإنسان كان سببها الأساسي حادثة في العقل الباطن تعود لسنوات الطفولة الأولى ، مما يوضح أكثر تأثير هذا العقل على حياة البشر ..

ثالثاً ، نظرية الدولة العميقة :

الدولة العميقة مصطلح سياسي يقصد به وجود قوى عسكرية و سياسية خفية داخل الدولة ذات نفوذ كبير و تعمل في الظل لفرض توجه سياسي معين دون أن يشعر المواطنون بأي شيء ، و يشار إليها أيضاً بالدولة داخل الدولة .. و هذا المصطلح ينطبق تماماً على مفهوم العقل الباطن ، فالوعي هو الدولة ، و اللاوعي هو الدولة العميقة التي ترسم شكل الدولة الخارجي .. أما عناصر الدولة العميقة فهي كما أسلفنا منذ قليل :

- **الغرائز المكبوتة ..**
- **المخاوف ..**
- **المشاعر السلبية ..**
- **الذكريات ..**

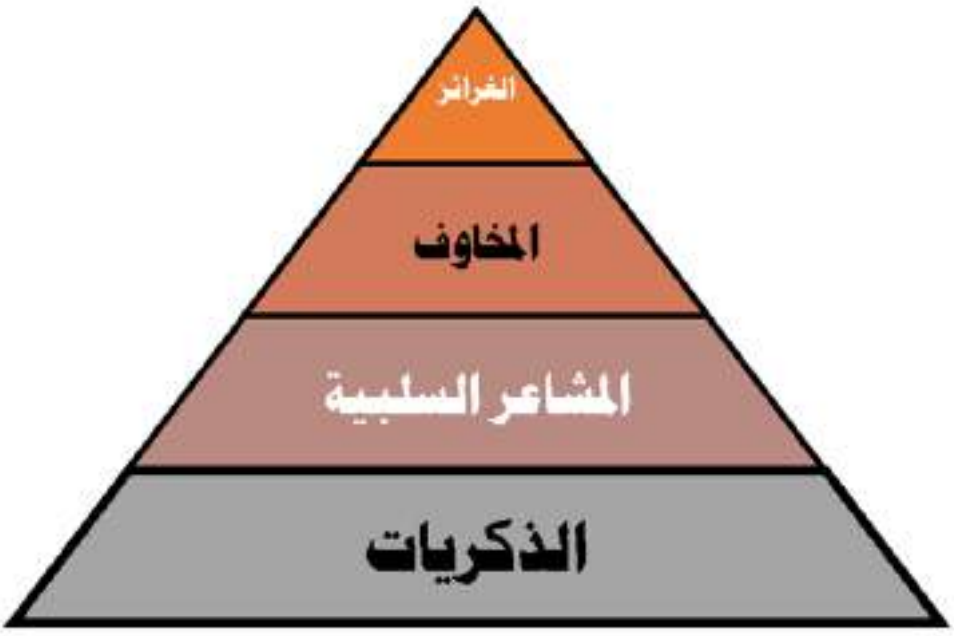

و هذا الرباعي هو من يحرك الوعي بخيوط غير مرئية و يضع لمساته الأخيرة على قراراتنا النهائية في حياتنا اليومية ..و تعتبر الغرائز هي الجنرال الذي يقود الدولة العميقة (العقل الباطن) كلها ..

رابعاً ، كيف يعبر اللاوعي عن نفسه ؟:

في الحقيقة اللاوعي يعبر عن مكنوناته بطرائق شتى و لعلّ أهمها :

❁ **الأحلام** : و هي الطريقة الأشيع و الأوسع و تشمل أحلام اليقظة و أحلام النوم و في كلتي الحالتين ينفك لجام العقل الباطن ليعدو بحرية و يعبّر عن نفسه كما يحلو له دون عوائق أو محظورات ..



❁ **الزلات و الهفوات** : سواء اللفظية منها أو الجسدية ، فكثيراً ما يقول المرء كلمات غريبة في موقف ما يكشف كثيراً من أسراره القابعة في لاوعيه ، و هذا هو التعبير الحرفي لمقولة :

(المرء مخبوء تحت لسانه)

❁ **الأفكار الطارئة** : التي يشبهها الناس بالمصباح الذي يضيء فوق رؤوسنا .. فما هذه الأفكار الطارئة سوى نتيجة نهائية لعملية معالجة مزمنة و طويلة للبيانات في عقلنا الباطن حتى توصّل بنهايتها إلى الحل أو الفكرة الجديدة الخلاقة ، و في قصص العباقرة خير دليل على هذه النقطة عندما استيقظوا ذات يوم من نومهم مذهولين و قد توصلوا لحل مسائل أو معضلات شائكة يفكرون بها منذ سنوات ،حتى تمكن أخيراً العقل الباطن في نومهم أن يحلها ..





❁ **الخيال** : فخيال الإنسان هو الحقل الذي يعدو فيه لاوعيه على هواه فيزور أماكن أو يلتقي أشخاص أو يقوم بأشياء كثيرة يحرّمها الوعي في الحالة الطبيعية

❁ **التنويم المغناطيسي** : و الذي شكل ثورة طبية في علم النفس ، عندما نحل لجام العقل الباطن و نسمح للاوعي بالتعبير عن نفسه بحرية كاملة ، كما لو كنا في جلسة استحضار أرواح ، لكننا هنا في جلسة استحضار بيانات الصندوق الأسود في أعماقنا بكل ما يحمله من ذكريات و مخاوف و غرائز مكبوتة



خامساً ، السريالية :

هي نوع من الفنون يعتبر سفير العقل الباطن إلى الوجود الظاهر، إذ يقوم بتجسيد أفكارنا اللاوعية (التي نصبح على تماس معها عبر الأحلام أو الزلات أو الأفكار الطارئة أو الخيال...) بطريقة فنية كلوحة أو قصيدة أو مقطوعة موسيقية أو منحوتة أو أي عمل فني آخر ليحتفظ بهذه التجارب اللاشعورية كتذكارات عابرة للأجيال ، و

كثيراً ما تبوح هذه الأعمال الفنية مع مرور الوقت بأسرار كبيرة و مذهلة ، كاكتشاف جديد يفسر مضمون لوحة ما أو اختراع تم ذكره في قصيدة قديمة و هكذا .. و قد اشتهر فنانون كثر بنمطهم السريالي و يعتبر عرابهم بلا منازع هو الرسام الإسباني الشهير **سلفادور دالي** الذي أتينا على ذكره في مقدمة مغالطتنا، و قد وصفه نقاد كثر بالفنان المجنون ، كون أغلب لوحاته تجسد أشياء غامضة و غريبة لا معنى واضح لها في واقعنا الملموس



و كما يقال بين العبقرية و الجنون شعرة ، و **هذه الشعرة ببساطة هي التي تربط الوعي العاقل باللاوعي المجنون** ، لذا يقال عن أي شخص تأتيه حالة وجدانية ينجز بها عمل فني مميز بأن شيطان العبقرية لبسه ، و هذا صحيح

علمياً بالفعل ، إذ أن هذه اللحظة هي اللحظة التي يسلم فيها الوعي زمام القيادة للاوعي ليعبر عن نفسه كما يريد ، حتى أن كلمة عبقري في اللغة العربية يعود أصلها إلى مكان في شبه الجزيرة العربية يدعى **عبقر** و تقول الأسطورة أنها أرض سكنها الجن ، و كأن الإنسان العبقري يسيطر جني بالفعل على عقله فيمنح اللاوعي الحرية كي يبدع على هواه !!

سادساً ، قوة الإيحاء (قانون الجذب):

كما سبق و ناقشنا فإن مخزون عقلنا الباطن هو ما يحدد قرارتنا و أفعالنا و بالتالي نجاحاتنا بشكل عام مستقبلاً ، فإن كان هذا المخزون سلبياً كانت النتائج سلبية ، و إن كان إيجابياً كانت إيجابية ، و هذا ببساطة هو مفهوم قانون الجذب ، **أي أنك كما توحي لنفسك أن تكون ستكون** ، و هذا يؤكد بدوره قوة تأثير الإطراء الذاتي للمرء على نفسه ضمن حدود المعقول و تشجيع ذاته في تحقيق النجاحات ، كما يفسر تأثير الدعاء مثلاً على قدرنا المستقبلي .. لذا احرص عزيزي القارئ على ضخّ كل ما هو إيجابي إلى عقلك الباطن ، لأن ذلك بنفسه هو من سيتخذ قراراتك المستقبلية ، فإما أن تكون سلبية و انهزامية أو إيجابية و حماسية ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مغالطة سريالية**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا مسيطر على حياتي و قراراتي بكامل وعيي ..

بل أن نقول :

= تأثير اللاوعي على وعينا يشبه بنية جبل الجليد حيث يشكل الجزء البارز فوق الماء منه (الوعي) نسبة صغيرة فقط .. كذلك الحال يمكن تشبيه تأثير اللاوعي بالكون من حولنا .. فالنسبة الساحقة من الكون هو مادة مظلمة غير مرئية و مجهولة التكوين (العقل الباطن) في حين تشكل المجرات (الوعي) نسبة صغيرة من الكون .. لكن التأثير الأكبر هو للمادة المظلمة التي تحافظ على النسيج الكوني متماسكاً .. و بالتالي العقل الباطن هو المؤثر الأكبر على قراراتنا اليومية من أبسطها إلى المصيرية منها ، و لكل قرار منها أسباب عميقة تتنوع بين الغريزة و المخاوف و المشاعر السلبية و الذكريات و الخبرات ، و يقوم اللاوعي بمعالجة كل ذلك ليخرج بنتيجة معينة تدفعنا إلى اتخاذ قرار بعينه دون سواه ..

يقول شاعرنا السوري الكبير **نزار قباني** :

ذروة العقل يا حبيبي الجنون

و مما سبق و ناقشناه ، فهذا الكلام منطقي علمياً للغاية **فالجنون هو حالة اتحاد الوعي باللاوعي** و هو ذروة

العقل بلا أدنى شك عندما نفهم الخلفية النفسية التي تؤثر على قراراتنا ، مما يمكننا من التحكم بها و توجيهها كما نريد بدلاً من توجيهنا هي كما تشاء ..



مغالطة أصغر من

الذرّة

(بوزون هيغز)

تموز 2012..

= لماذا الناس كلها مشغولة للغاية بقصة الاكتشاف العلمي الحديث .. ؟

= تقصد بوزون هيجز ؟

= أجل ..

= لأنه فسّر أحد أكبر أسرار الحياة و الفيزياء ..

= أيّ سرّ تقصد ؟

= كيف تكتسب الأجسام كتلتها ؟

= و ما علاقة بوزون هيجز بذلك .. و ما معنى بوزون بالأساس ؟

= البوزون جسيم دون ذري ..

= كيف يعني ؟

= يعني أصغر من الذرة ..

= تقصد كالإلكترون ..

= بل أصغر .. أغلب الناس تتوقف معرفتهم عن الذرة عند حدود نواة من بروتون و نيترون و حولها تدور الكترونات .. أليس كذلك ؟

= هذا ما أعرفه ..

= الجسيمات دون الذرية هي الجسيمات التي تتكوّن

منها مكونات الذرة .. و هي الجسيمات التي لا يوجد أصغر منها في الكون .. و تعتبر البوزونات واحدة منها.

= و البوزونات تكوّن الالكترون أم البروتون أم النيوترون ؟

= و لا واحد منها ..الجسيمات دون الذرية نوعان هما :

- **الفرميونات** : و هي المواد التي تكوّن البروتون و النيوترون و الالكترون ..
- **البوزونات** و هي ليست مادة بالمعنى الحرفي للكلمة بل هي حقول طاقة ..

= تقصد كالضوء ؟!

= أحسنت .. فالضوء مكون من الفوتونات و هي بوزونات بالفعل ..

= و بأي طاقة يرتبط بوزون هيجز ؟

= بوزونات هيجز تكوّن معاً ما يعرف **بحقل هيجز** الذي يمكنك القول أنه نسيج هذا الكون برمته .. أي أنه موجود في كل مكان حرفياً ، و هو الذي يعطي بقية الجسيمات كتلتها ..

= لم أفهم ؟

= سأبسط الموضوع أكثر لك .. تخيل أنّ حقل هيجز

هو حقل في الطبيعة مغطى بالثلج .. فكلما كان وزن الإنسان أكبر كان مشيه في الثلج أصعب .. صحيح ؟



= بلا شك ..

= و هكذا الجسيمات دون الذرية تتفاعل مع حقل هيجز بحسب حجمها و مقاومة حقل هيجز أو (الثلج) لها هو ببساطة كتلتها .. بينما إذا كان الإنسان خفيفاً جداً فإنه سيعبر الحقل بسلاسة كما لو أنه يتزلج فوق الثلج ، و هذا بالضبط ما يفعله الفوتون عديم الكتلة الذي يعبر حقل هيجز بسلاسة بدون أن يتفاعل معه .. و هكذا كل جسيم

في هذا الكون يتفاعل مع حقل هيجز ليكتسب كتلته من مقاومة الحقل له ..

= فهمت .. لكن ما دور بوزون هيجز في هذا الحقل ؟

= بوزونات هيجز هي رقائق الثلج في الحقل ، أي المكونات الأساسية للحقل ..

= نظرية غريبة للغاية !! لكن كيف أثبتها العلماء ؟

= ببساطة قام العلماء بتحريض اصطدام عنيف بين بروتونات مسرعة في أنبوب مخصص لذلك في **مختبر سيرن** في سويسرا مما نتج عنه ظروف تماثل الانفجار العظيم للكون على مستوى مصغر، والتي يُعتقد أن بوزونات هيجز تكونت عندها في أجزاء صغيرة للغاية من الثانية الأولى عقب الانفجار .. و هذا ما يحققه تصادم البروتونات في مختبر سيرن بالفعل ..

= و هل تم إثبات تشكل بوزون هيجز ؟!
= بالطبع .. و هذا هو سر احتفال العلماء بهذا الاكتشاف العلمي الضخم ..

= و لماذا يسمى بوزون هيجز ؟

= نسبةً للفيزيائي الإسكتلندي **بيتر هيغز** الذي تنبأ بوجود هذا البوزون عام **1964** .. و لا شك أنه سينال جائزة نوبل بعد تأكد تنبؤه على أرض الواقع ..

= قصة غريبة بالفعل !! كنت أخال الذرة عبارة عن نواة

تدور في فلكها الالكترونات لا غير ..

= هذا الوصف المبسط هو البوابة التي يدخل منها الإنسان إلى ميكانيكا الكم المدهش الذي لا حدود لإذهاله.

= و ما قصة ميكانيكا الكم هذه ؟

= هذه حكاية مطولة .. تعال لأقصها عليك باختصار

*****

يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتابٍ مبين)

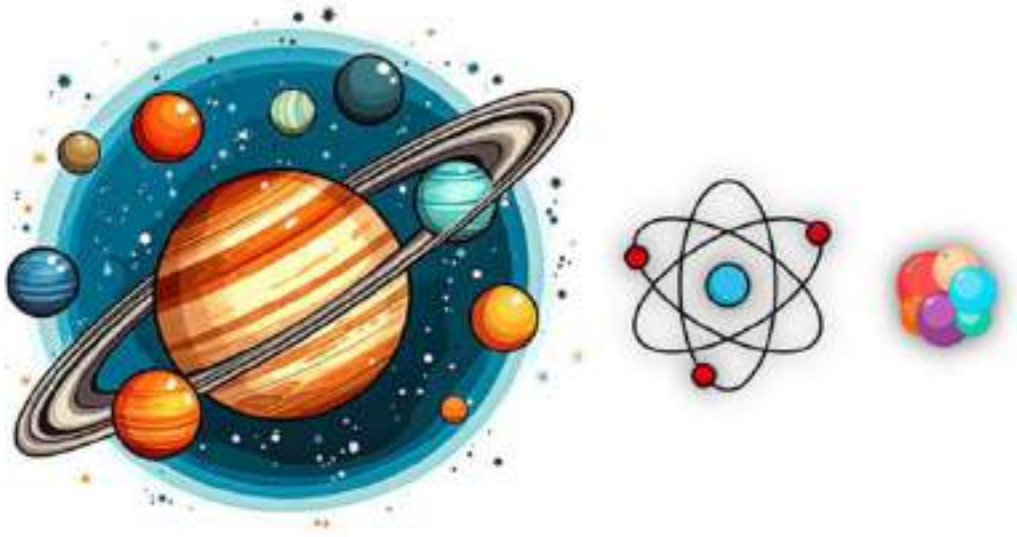

هذه الآية العظيمة التي أخبرنا فيها البارئ عن وجود جسيمات أصغر من الذرة في الكون ، في حين كان

يضرب المثل في الذرة وقتها بأنها أصغر جزء من المادة .. و لا يزال أغلب البشر حتى يومنا هذا يؤمن بذلك أو على الأقل يؤمن بأن الذرة عبارة عن نواة مكونة من بروتونات موجبة و نيوترونات معتدلة و تدور في فلكها الكترونات سالبة ..

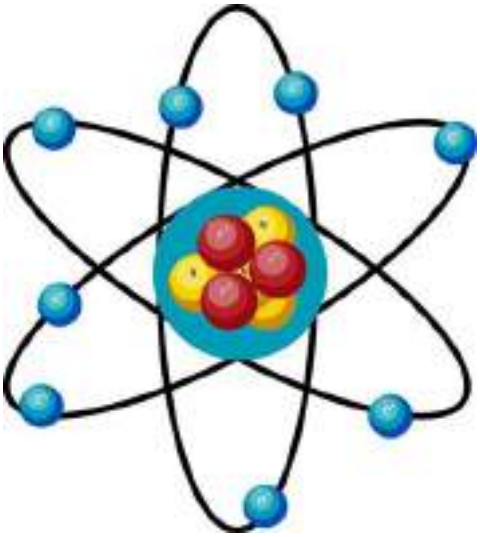

و لا تزال هذه الصورة النمطية عن الذرة شائعة عند أغلب البشر كمغالطة حقيقية قي القرن **21** مع ما بلغه العلم من تطور .. لذا و خلال الصفحات التالية سنعمل على تصويب هذه المغالطة للضرورة العلمية بشرح مبسط لعامة الناس عن **العالم دون الذري** و ذلك بمقاربته من **4** زوايا هامة للغاية :

① **الجسيمات دون الذرية ..**

② **القوى الأربعة الأساسية في الكون ..**

③ **مختبر سيرن ..**

④ **ميكانيكا الكم ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ في مغامرة فيزيائية شيقة ..

أولاً ، الجسيمات دون الذرية:

إن أصغر جسيمات الكون التي لا يمكن أن تتفكك إلى جسيمات أصغر هي :

❁ **الفرميونات** : و لها نوعان :

- **كواركات** : و لها بدورها **6** أنواع (علوي و سفلي و قمي و قعري و ساحر و غريب) ، و منها يتكون البروتون و النيوترون ..
- **ليبتونات** : و لها **3** أنواع رئيسية (الكترون و ميون و تاو) ..

❁ **البوزونات** : و لها **5** أنواع (هيجز و فوتون و غلوون و **W** و**Z**) إضافة إلى بوزون غرافيتون الذي لم يثبت وجوده عملياً بعد ..

و **الفرميونات** جسيمات قد تحمل شحنة و لها كتلة و تدور أما **البوزونات** فهي حوامل طاقة بين الفرميونات تشكل وسيطاً للقوى الرئيسية في الكون التي تمثل علاقة الفرميونات ببعضها .. علماً أن كثيراً من الجسيمات دون الذرية هي جسيمات مؤقتة تحدث خلال العمليات الإشعاعية أو الانشطارية و تدوم لأجزاء من الثانية ثم تختفي بعدها .. و بعضها فقط مستقر بشكل دائم كحال

البروتون و النيوترون والالكترون و الفوتون مثلاً ..

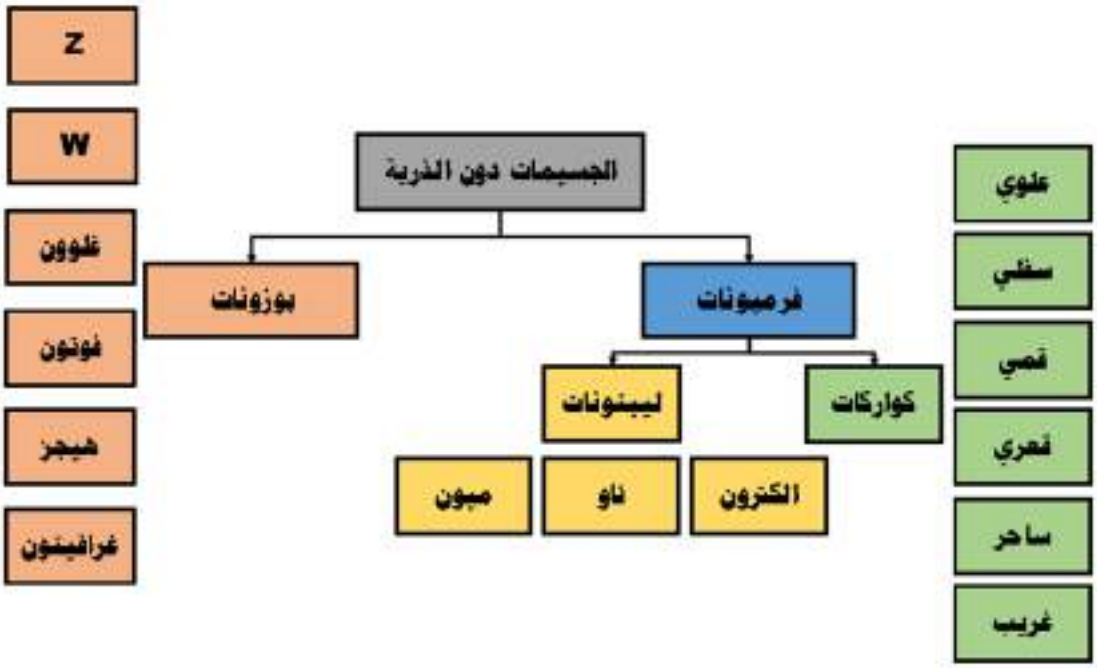

ثانياً ، القوى الأربعة الأساسية في الكون:

الكون برمته تحكمه **4** قوى لا غير و هي :

❁ **قوة الجاذبية** : و هي التي نشعر بها جميعنا، و التي من آثارها أنها تجذبنا وتجذب كل الأجسام من حولنا نحو الأرض، و هي القوة الأضعف بين القوى الأربعة .. و حامل الطاقة فيها هو **الغرافيتون** و هو بوزون مفترض وجوده نظرياً لكنه لم يثبت عملياً بعد ، كما كان حال بوزون هيجز حتى وقت قريب ..

❁ **القوة الكهرومغناطيسية** : هي القوى التي تتجاذب بسببها الأجسام ذوات الشحنات الكهربائية المختلفة، وتتنافر الأجسام ذوات الشحنات الكهربائية المتماثلة، وهذه القوة موجودة على مستوى الذرات .. و حامل

الطاقة فيها هو **الفوتون** ..

❁ **القوة النووية الكبرى** : هي القوة التي تمسك البروتونات الموجودة في نواة الذرة فتضم بعضها إلى بعض لتبقى متماسكة ملتصقة، وهي بالتأكيد أكبر من القوة الكهرومغناطيسية وإلا لما تمكنت من التغلب عليها، و لتنافرت البروتونات وابتعدت عن بعضها .. و حامل الطاقة فيها هو **الغلوون** ..

❁ **القوة النووية الصغرى** : هي القوّة المسؤولة عن الاضمحلال الإشعاعي والانشطار النووي للجسيمات دون الذرية .. و حامل الطاقة فيها هي بوزونات **W** و **Z** ..



ثالثاً ، مختبر سيرن :

المنظمة الأوروبية للأبحاث النووية أو ما تعرف اختصاراً «سيرن»، هي أضخم مختبر لفيزياء الجسيمات بالعالم ، أنشئ عام **1954** شمال غربي مدينة **جنيف** على الحدود بين سويسرا وفرنسا، و يحتوي على أكبر مسرّع للجسيمات في العالم (**مصادم الهدرونات العظيم**)،

الذي تم تركيبه في نفق دائري طول محيطه **27** كم على عمق أكثر من **100** متر تحت الأرض..

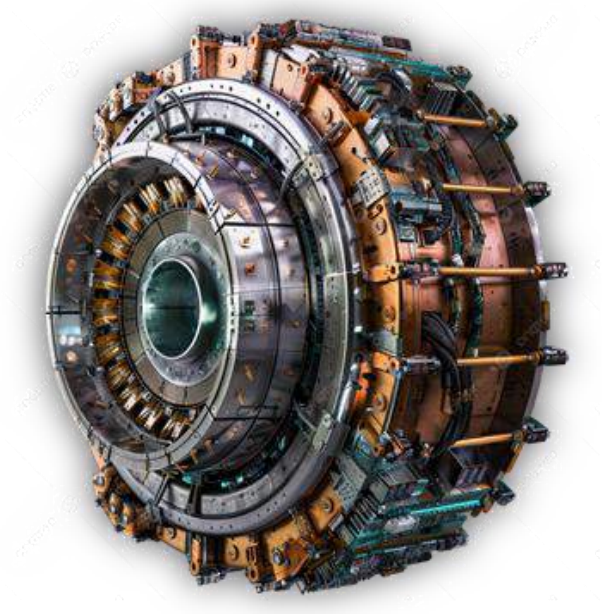

و فيه يتم إطلاق جسيمات دون ذرية كي تصطدم ببعضها بقوة هائلة كمحاكاة للحظات الأولى من الانفجار العظيم بغية رصد الجسيمات الأولية الناتجة عن الاصطدام عبر كاميرات مخصصة لهذه الغاية ..



و قد تمكن العلماء بفضله من اكتشاف جسيمات أولية كثيرة مثل بوزونات **W** و **Z** و بوزون هيجز و غيرها

، كما أثبتت بفضله نظريات فيزيائية كثيرة لأول مرة عملياً ..

رابعاً ، ميكانيكا الكم :

يمكن تقسيم الميكانيا أو علم الحركة إلى **3** أقسام أساسية تبعاً لحجم الأجسام التي تدرسها ، و هي :

① الميكانيكا الكلاسيكية : و تعنى بحركة الأجسام على سطح كوكب الأرض كالصخور و المركبات و الإنسان و غيرها.. و عرابها هو إسحق نيوتن ..

② الميكانيكا النسبية : و تعنى بحركة الأجرام السماوية كالنجوم و المجرات و الثقوب السوداء و غيرها.. و عرابها هو ألبرت أينشتاين ..

③ ميكانيكا الكم : و تعنى بحركة الجسيمات دون الذرية كالالكترونات و البروتونات و غيرها .. و عرابها هو ماكس بلانك و نيلز بور ..

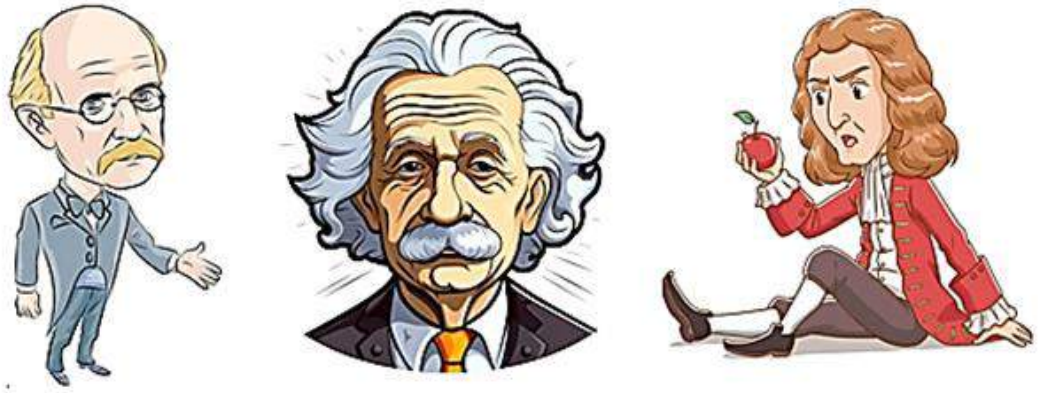

علماً أن قوانين كل ميكانيكا منها غير قابلة للتطبيق

بدقة على الأجسام خارج نطاق اختصاصها ، فنظرية النسبية لأينشتاين لا تفسر الظواهر دون الذرية ، و قوانين نيوتن الكلاسيكية لا تفسر الظواهر الفلكية و هكذا ..

❁ تاريخ ميكانيكا الكم :

بدأت ميكانيكا الكم على يد العالم **ماكس بلانك** في عام **1900**، ثم تبعه علماء آخرون مثل ألبرت أينشتاين و نيلز بور، الذين ساهموا بتطوير هذه النظرية وتوسيع نطاق تطبيقاتها.. علماً أن أغلب العلماء الذين حاولوا إثبات صحتها حاولوا بنفس الوقت إثبات بطلانها ، كونها فيزياء عجيبة بقوانين غريبة للغاية يستهجنها العقل البشري ، حتى أننا نجد عرّاب ميكانيكا الكم **نيلز بور** يقول:

(إذا قرأت ميكانيكا الكم ولم تشعر بشيء من الغرابة، فإنك حتماً لم تفهمها!)

وقال عالِم الفيزياء المميز **ريتشارد فاينمان** بدوره:

(ميكانيكا الكم هي النظرية التي يستخدمها الجميع ولا يفهمها أحد على الإطلاق)

وقال **إرفين شرودينغر**، الذي وضع المعادلة الأساسية لميكانيكا الكم :

(إنني لا أحب هذه النظرية، وأنا آسف لأنني قد

أسهمت بها)

فميكانيكا الكم ليست علم العامة بل علم خاصة العلماء ، فحتى العلماء لم يستطيعوا استيعابها دفعة واحدة ولكن تم استيعابها في دفعات كمية .. ففي ميكانيكا الكم مثلاً يمكن لشيء أن يوجد في مكانين معاً في آن واحد ، ويمكن أن تكون حياً وميتاً في آنٍ معاً كحال قطة شرودينغر الشهيرة



و أشهر مثال لميكانيكا الكم هو وجود الالكترون حول النواة فهو موجود في كل مكان في نفس الوقت ولذلك لا يوجد مكان محدد للإلكترون ولكن يوجد سحابة الكترونية يتواجد في أي مكان فيها في أي لحظة ..

❁ أسس ميكانيكا الكم :

تقوم ميكانيكا الكم على عدة مبادئ أساسية غريبة للغاية و حيرت أكبر العقول، نذكر منها:

- **التكميم** : حيث تقتصر القيم الفيزيائية مثل قيم الطاقة على قيم محددة و غير عشوائية أبداً .. فمثلاً الالكترون يتخذ مدارات محددة حول النواة بحسب طاقته و لا تجده في الفراغات بينها ..

- **التشابك الكمي** : فصل جسيمين مقترنين عن بعضهما لمسافات شاسعة لا يلغي اقترانهما ، فإن تغيرت مثلاً جهة دوران أحدهما ستتغير جهة دوران الآخر ..

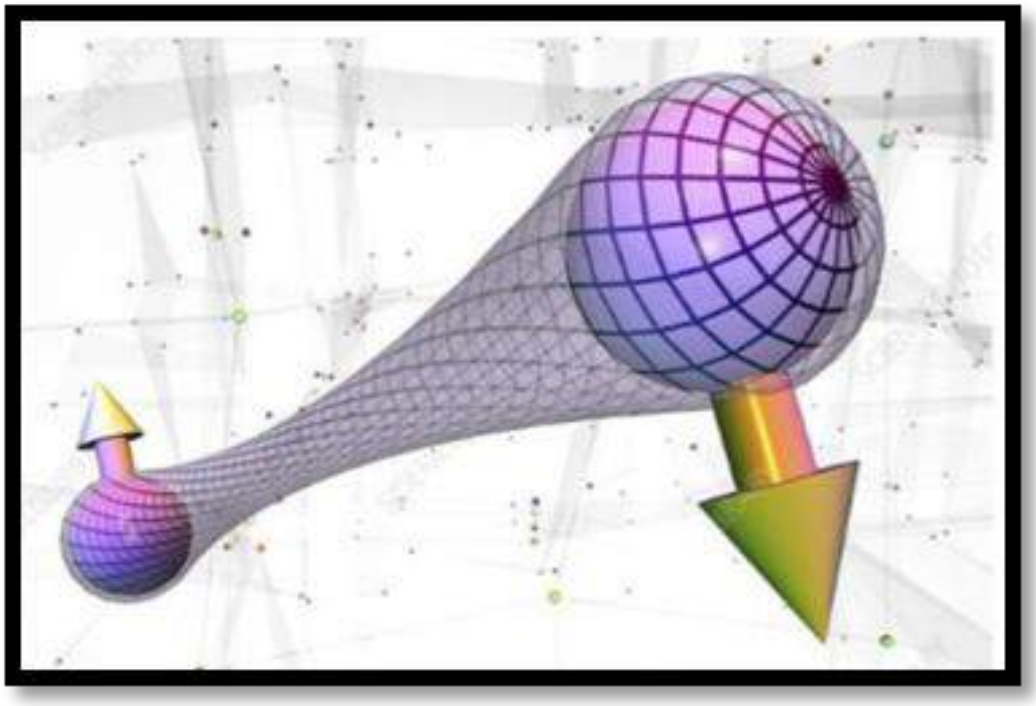

- **ازدواجية الموجة والجسيم** : تشير إلى أن الجسيمات مثل الإلكترونات تظهر خصائص كل من الجسيمات والموجات، مما يعني أنها يمكن أن تتصرف كموجات في

بعض الظروف وكجسيمات في ظروف أخرى .. و هذا ما أثبتته **تجربة الشق المزدوج ليونغ** ..

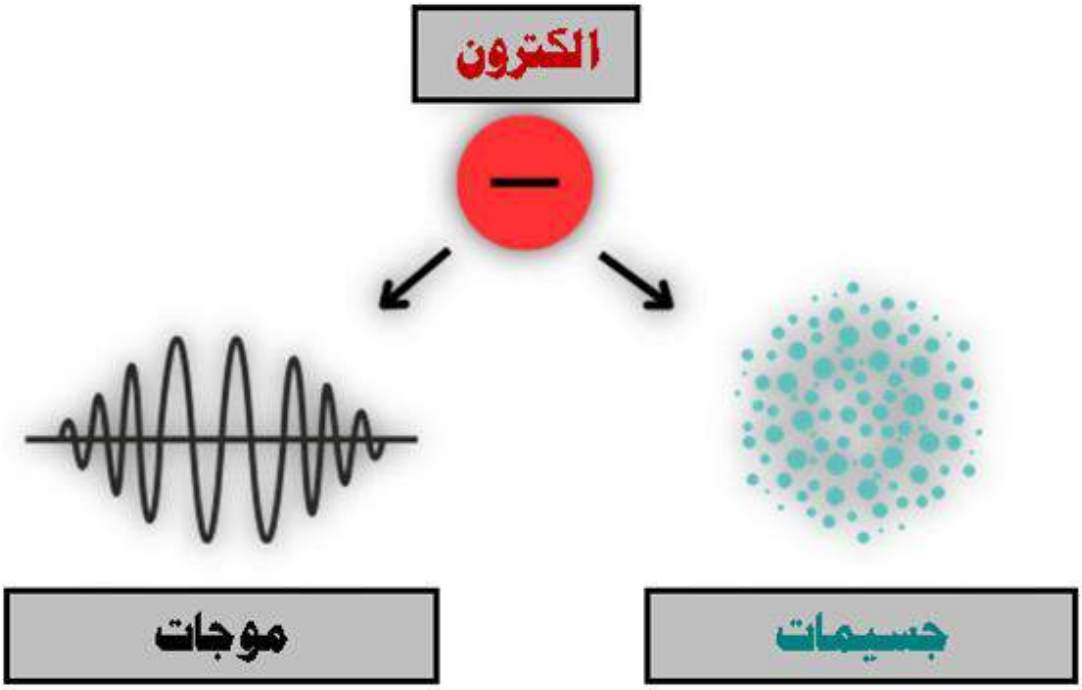

● **مبدأ عدم اليقين**: الذي ينص على أنه من المستحيل قياس موقع و زخم الجسيم بدقة في نفس الوقت، مما يؤدي إلى عدم القدرة على التنبؤ الدقيق بسلوك الأنظمة الكمومية كمثال الالكترون ذاته ..

❁ **تطبيقات ميكانيكا الكم** :

تستخدم ميكانيكا الكم في العديد من التطبيقات التكنولوجية الحديثة، بما في ذلك:

● **تفاصيل في حياتنا اليومية** : كالليزر و التصوير الشعاعي الطبي و الألواح الشمسية و ليدات الإضاءة و المجهر الالكتروني و الأجهزة الإلكترونية كالحواسيب والهواتف الذكية، حيث تعتمد على فهم سلوك

الإلكترونات و خصائصها الكمومية .. و غيرها كثير من التطبيقات التي نستعملها يومياً ..

- **محاكاة الانفجار العظيم:** في مختبرات سيرن و بالتالي معرفة سير تطور المادة و الكون بشكل عام ..
- **دراسة ظواهر فلكية عن قرب:** كمحاولة توليد ثقب أسود صغير في مختبرات سيرن أيضاً .. و ربما لاحقاً توليد ظواهر فلكية أخرى كثيرة ..



*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الشائعة بين الناس (**مغالطة أصغر من الذرة**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الذرة هي أصغر جسيم في الكون كما نعرف ..

بل أن نقول :

= هنالك عالم كامل داخل الذرة مؤلف من جسيمات دون ذرية يحيط بها علم ميكانيكا الكم الذي لا ينفك يذهلنا يوماً بعد يوم .. و علينا تماشياً مع تطور القرن **21** أن نكون على اطلاع على أسس هذا العلم كي نواكب أحدث الاكتشافات حول العالم .. و ربما وجدت عزيزي القارئ فهم بعض نقاط هذه المغالطة عسيراً عليك و هذا شيء طبيعي تماماً ، لأن الفهم الكامل لميكانيا الكم و العالم دون الذري بحاجة للإحاطة بقوانين و مصطلحات شائكة للغاية و يختص بها الخبراء في هذا المجال ، لكن المؤكد أنك بعد قراءة هذه المغالطة أصبحت على علم بأساسيات هذه الفيزياء و جسيماتها كي تبقى على تواصل مع آخر صيحات العلم في مجالها ، لننتقل من العهد القديم (الذرة أصغر مكونات المادة) إلى العهد الجديد (الجسيمات دون الذرية و قوانين الكم بينها) ..

في القرآن الكريم ذكر لميكانيكا الكم قبل اكتشافها بأكثر من **1400** عام .. في الآية التي تقول :

(قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك و إني عليه لقويّ أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك

طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي)



فمن تطبيقات ميكانيكا الكم هو النقل ، وهو نقل شيء من مكان الى مكان آخر في نفس اللحظة دون أن ينتقل عبر الفضاء في سفر إلى المكان الآخر بأي وسيلة معروفة ..

فمثلا إذا نقلنا ذرة من النقطه **A** إلى النقطة **B** بدون أسلاك أو أي وسيلة مواصلات أو كهرباء أو غيرها فهذا انتقال آني ..

وخلافاً لما هو شائع أنّ الانتقال يعني أن يترك الشيء المكان إلى مكان آخر ، فهذا ليس حقيقياً بل إنّ الشيء يتواجد في المكان الآخر دون أن يترك المكان الذي يوجد أصلاً فيه وكأنه يطبع في المكان الثاني .

ويتم النقل باستخدام قناة ناقلة من الطاقة تسمى **قناة الكوانتم** ، تماماً كما تنسخ و تلصق ملفات على حاسوبك..

و عندما قام رجل مؤمن عنده علمٌ من الكتاب (يقصد بذلك علم الكتاب السماوي الأشمل الذي اطلع على جزء يسير منه بهبة ربانية) و قال للنبي سليمان أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن يرتد اليك طرفك وكان أفضل من الجني الذي قال أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك .. فربما تم ذلك دون أن يغادر عرش بلقيس مكانه ولم ينتقل بنفسه إلى مملكة سليمان بل انتقلت نسخه من جزيئاته آنياً من سبأ إلى مملكة سليمان ، وبذلك أصبح عرش بلقيس موجوداً في مكانين في وقت واحد .. عبر خواص التشابك الكمي و قناة الكوانتم .. و لعلّ هذا أول ذكر لميكانيكا الكم والتشابك الكمي في القرآن قبل قرون طويلة من ولادته في أوروبا .. !!

مغالطة قمر 14

(الدورة الشهرية و الدورة القمرية)

= مبارك لك خطوبتك يا صديقي ..

= أشكرك ..

= و من هي خطيبتك ؟

= فتاة تخرجت من كلية علم النفس .. جميلة كالقمر في كبد ليلة صيفية ..



= أحسنت الاختيار .. لكن لماذا لا تقول جميلة كالشمس في وضح النهار ؟ ..

= لأن هذا ما يشيع استخدامه بين الناس منذ قديم الزمان ، يقال عن الأنثى الجميلة بأنها قمر **14** أي كالبدر المكتمل .. فالقمر يرمز إلى الجمال و الرومانسية و

الهدوء و الطاعة و السكينة .. و كلها صفات تختص بها الأنثى كما تعرف ..

= محق ..

= بل إن كلمة قمر باللغة العربية الفصحى هي كلمة مؤنثة بالأساس .. كحال كلمة ليلة .. أما النهار فهو مذكر كوضوحه ..

= يبدو أنك على دراية جيدة بهذا الشأن ؟

= بالفعل ، لقد سبق لي أن فكرت بهذه النقطة منذ سنوات ، أيهما يمثل الذكر و الأنثى ، الشمس أم القمر ، الليل أم النهار ؟

= و إلامَ توصلت ..؟!

= إلى حقائق مذهلة لا تقبل الشك ..

= من قبيل ماذا ؟

= تعال لأقص عليك أكثر حكاية القمر الأنثى في ليلة رومانسية حالمة ..

*****

كثيراً ما احتدم النقاش بين الناس حول الطبيعة الفلسفية لكل من الشمس و القمر ، و أي منهما يرمز إلى الذكورة و أيهما إلى الأنوثة ؟.. ففي حين أن كلمة قمر مؤنثة و الشمس مذكرة في أغلب اللغات ، يميل أغلب العرب إلى الاقتناع بأن العكس صحيح في اللغة العربية ، رغم أن

ذلك خاطئ تماماً.. لتكون ظنونهم هذه مجرد مغالطة جديدة تبحث عن هويتها بين الذكورة و الأنوثة



لماذا ظنونهم هذه خاطئة ؟ تعال عزيزي القارئ لنتقارب مغالطتنا القادمة (**قمر 14**) من عدة نقاط توضح الحقيقة أكثر بالعلم و الأرقام و البراهين :

① **الدورة الشهرية** : لا يخفَ على أحد درجة التشابه و الارتباط العجيب و الوثيق بين الدورة القمرية و الدورة الشهرية عند الأنثى ، فكما أن القمر يبدأ كمحاق ثم يتطور كهلال يكبر تدريجياً حتى يصبح بدراً ثم يتناقص تدريجياً ليعود هلال في محاق من جديد ، كذلك جسد الأنثى يمر بتغيرات فيزيولوجيا خلال الدورة التي توازي تماماً الدورة القمرية فتنمو بطانة الرحم تدريجياً حتى منتصف الدورة (القمر المكتمل) حيث تحدث الإباضة التي تنبثق

فيها البويضة (القمر) من المبيض ثم تتراجع البطانة تدريجياً بعدها لتنسلخ كلياً في نهاية الدورة فيما يعرف علمياً بدماء الطمث و دينياً بالحيض .. لذلك نجد ارتباطات دموية كثير بالقمر كحالة القمر الدموي الفريدة و دراكولا مصاص الدماء و الخفافيش مصاصة الدماء التي تنشط ليلاً فقط ، و المستذئب الذي يشرب من دماء الآخرين !!

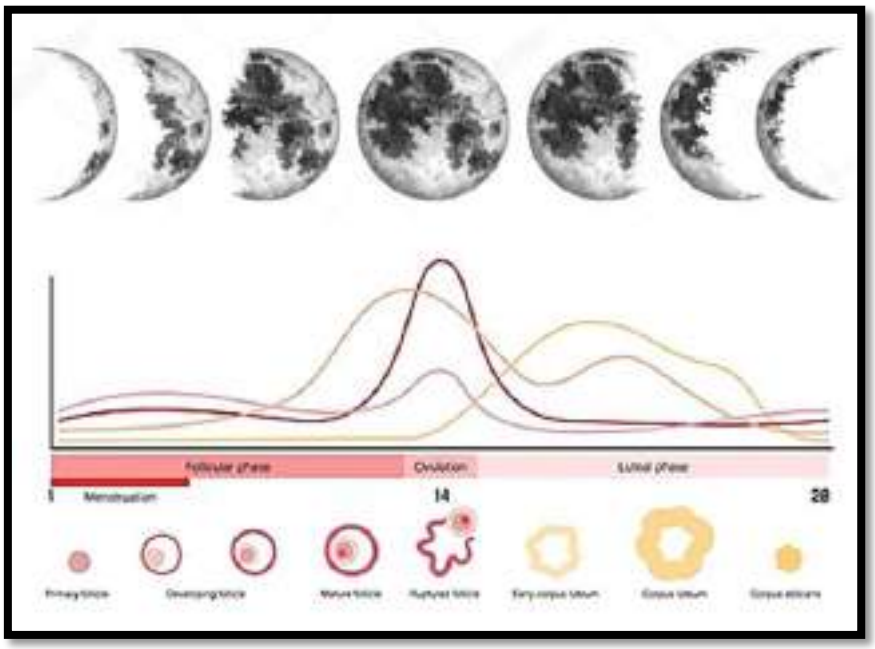

ربما لا يزال العلم يجهل تأثير الدورة القمرية بدقة على جسد الأنثى لكن مما لا شك فيه أن هذا التشابه و التطابق ليس عبثياً على الإطلاق و كأن ما يمر به القمر في دورته تمر به الأنثى في جسدها..!!

② **المعطي و الآخذ** : بالعلم يوصف الذكر بأنه المعطي الإيجابي و الأنثى بأنها المتقبل السلبي .. و هذا واضح للغاية في العملية الجنسية حيث يمثل الذكر الجزء

المانح لماء الحياة (النطاف) و الأنثى المتقبل له في رحمها .. و على هذا المنوال نجد أن الشمس تمثل الذكر فلسفياً فهي من يمنح الضوء للقمر المتلقي الذي يمثل الأنثى .. تماماً كالذرة ، فنواتها موجبة الشحنة أما الالكترونات التي تدور في فلكها فسالبة الشحنة ..



③ **الرجال قوامون على النساء** : أما في الدين فيوصف الذكر بأنه قوام على الأنثى أي أنه مسؤول عن حمايتها و الإنفاق عليها .. تماماً كما تفعل الشمس مع القمر بمنحه النور ، فهو من دون ذلك كتلة حجرية صماء لا تفيد و لا تضر ، أي بلا حول و لا قوة ..



④ **تقلب المزاج و المد و الجزر** : من الأمور المشتركة على نحو مذهل أيضاً بين القمر و الأنثى هو تبدل الحالة المزاجية تبعاً للتغيرات الهرمونية المرتبطة بالدورة الطمثية أيضاً ، فتجد مزاج الأنثى يتأرجح بين مد و جزر تماماً كما ترتبط ظاهرة المد و الجزر بالقمر فعلياً على أرض الواقع !!



⑤ **الوضوح** و **الضبابية** : يقول الفنان اللبناني المبدع **زياد الرحباني** في وصف عقلية الأنثى : (**يا عمي المرأة نفسية بقلب نفسية بقلب نفسية كالخسة تماماً**) ، و في الحقيقة هذا الكلام فيه كثير من الصحة ، فالمرآة صعبة الفهم كثيراً ، و أحياناً هي لا تعرف ما الذي تريده بالضبط كي يفهم الذكر عليها بالأساس ، أو كما يقال في التراث :

(لو اجتمع كل فلاسفة التاريخ كي يفهموا الأنثى لعجزوا عن فعل ذلك)

و هذا مرتبط بدوره بالتغيرات الهرمونية خلال الشهر كتغيرات القمر تماماً ، لذلك يوصف النهار و الشمس بأنهما واضحين للغاية بلا التباس ، أما الليلة و القمر فيوصفان بالظلمة و الحالة المبهمة .. فالرجل براغماتي بطبعه أما المرأة فمتقلبة الرأي و حالمة بتكوينها ..



⑥ **وجهة نظر رومانسية** : كما سبق و أشرنا المرأة ذات صلة وثيقة بالحب و الرومانسية كالقمر تماماً في ليلة حالمة ، و الأنثى تشبه القمر بهدوئه و سكينته و طاعته للشمس و وجهه الجميل ، لذا نجد تشبيه الأنثى بالقمر هو الطابع الغالب على الشعر و الأغاني في

جميع الثقافات و الحضارات ، فنجد **عنترة** مثلاً ينشد :

و بدت فقلت البدرُ ليلةَ تمه

كما نجد **ابن زيدون** ينشد :

ما جالَ بَعدكِ لَحظي في سَنا القَمَرِ

إلّا ذَكَرتُكِ ذِكرَ العَينِ بِالأَثَرِ

و يقول **المتنبي** :

كَشَفَت ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعرِها

في لَيلَةٍ فَأَرَت لَيالِيَ أَربَعا

وَاستَقبَلَت قَمَرَ السَماءِ بِوَجهِها

فَأَرَتنِيَ القَمَرَينِ في وَقتٍ مَعا

أما **بدوي الجبل** فيشدو بقوله :

هات حدِّثني فقد طابَ السَّمر

وأنِرْ ظلمةَ نفسي يا قمرْ

سُوَرَ الحُسن فلا تبخل بها

إنَّ للشاعر ألحانَ السُّوَرْ

فالقمر ينضح أنوثةً مما جعله ملهم الشعراء و الفنانين عبر العصور ..



⑦ **الشرق و الغرب** : الشرق و القمر هما مفهومان مرتبطان بالشمس حصراً ، فنجد الشمس في الشرق تارةً و في الغرب تارةً أخرى .. أما القمر فهو لا شرقي و لا غربي و لا علاقة له بالجغرافيا من الأساس ، بل يتغزل كل من الشرق و الغرب بجماله و حياديته بعدم انحيازه لأي جانب من العالم ، إذ يلقي بظلاله على الجميع كالأم التي تحتضن جميع أبنائها و لا تميز بينهم على الإطلاق

⑧ **آلهة القدماء** : لقد فهمت الحضارات القديمة فكرة الذكر المعطي كالشمس و القمر المتقبل كالأنثى منذ

بدء الحياة ، لذا نجد أن كبير الآلهة لديهم هو ذكر دائماً و يمثل إله الشمس كحال **رع** عند الفراعنة و **سول إنفيكتوس** عند الرومان ، **و أوتو** عند السومريين و البابليين و الآشوريين و **هيليوس** عند الإغريق ، أما القمر فيمثل الخصوبة و يمثل بإلهة أنثى كحال الإلهة **إيزيس** عند الفراعنة و الإلهة **لونا** عند الرومان و الإلهة **نانا** عند السومريين و البابليين و الآشوريين و الإلهة **سيلين** عند الإغريق .. أي أن جميع الحضارات البشرية آمنت يقيناً بأن الشمس رمز للذكورة التي تحكم العالم ، و القمر رمز للأنوثة التي تساعده في ذلك .. لذلك نجد في الغالبية الساحقة من اللغات العالمية أن كلمة شمس مذكرة و كلمة قمر مؤنثة .. بل إن آلهة القمر عند بعض الحضارات أصبحت نفسها معنى كلمة قمر في كثير من اللغات كحال لونا و سيلين و غيرها ..



⑧ **حب الكلام الزائد** : معروف حول العالم عن الأنثى بأنها تحب الكلام بكثرة و خير دليل على ذلك صبحية الجارات اللاتي يتناولن فيها تفاصيل التفاصيل في الحي برمته .. و هذا يذكرنا بحفلات السمر في الليلالي تحت ضوء القمر .. أما الشمس و النهار فيقترنان بالعمل الجادّ بعيداً عن الكلام .. فالقمر إذن مرتبط بالأحاديث و القيل و القال ، أما الشمس فترتبط بالفعل و الإنجاز أكثر ، فالنهار للعمل و الليل للراحة و الأحاديث التي لا تنتهي ..



و باجتماع البنود السابقة معاً إضافةً إلى بنود أخرى كثيرة لم نتطرق لها تجنباً للإطالة ، نجد أن تشبيه الأنثى الجميلة بقمر **14** أمر منطقي له ما يبرره فلسفياً و علمياً و دينياً و رومانسياً و جمالياً و تاريخياً .. فالموضوع ليس اعتباطياً على الإطلاق .. بل إن جسد الأنثى بحد ذاته يمر بنفس المراحل التي يمر بها القمر شهراً بشهر ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**قمر 14**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= نقول عن الشمس بأنها هي ، و عن القمر بأنه هو ، و هذا يثبت أنوثة الشمس و ذكورة القمر ..

بل أن نقول :

= هذا خطأ شائع ، و الإبل لا تورد هكذا ، فالقمر كلمة مؤنثة في الغالبية الساحقة من لغات العالم ، بل تمثل حرفياً أسماء آلهة القمر الأنثوية في مختلف الحضارات القديمة .. و في دورة القمر الشهرية و دورة الأنثى الشهرية خير دليل على التطابق اللصيق بينهما ، إضافة إلى تغيرات المزاج الهرمونية بين مد و جزر كتأثيرات القمر ذاتها ، و الأهم بأن الشمس تمثل المانح للضوء و القمر المتلقي له و هذا بالعلم و اللغة يفترض أن يكون المانح ذكراً و المتلقي أنثى ، و القمر بدون الشمس كائن ضعيف بلا حول و لا قوة ، لا يستطيع إضاءة نفسه كي يضيء على غيره بالأساس ..

كان البابليون يعتقدون أنّ القمر ذو علاقة وثيقة بالإلهة عشتار و بأن دورته مقترنة بدورة حيضها لذا كانوا يربطونه باستراحتها من كل أعمالها ، و من هذا المنطلق ربط تمام القمر لديهم بمجموعة من المحرمات ، كالشروع في السفر و أكل الطعام المطبوخ و إشعال النار ... و هي نفس الأمور التي تستريح منها المرأة الحائض

، و قد دُعي هذا اليوم بيوم (سباتو) اي يوم الراحة.. و كانوا يحتفلون به في كل ربع من أرباع الشهر القمري ..



و عنهم اخذ اليهود هذه العادة من ايام السبي البابلي فجعلوا يوم السبت يوم راحة (لاحظ أن اسم السبت جاء من سباتو) ، حيث استراح الرب من عناء الخلق و دعوا ذلك اليوم بيوم (السبات) و فرضوا على انفسهم فيه محرمات مشابهة ما زالت تسيطر على سلوكهم حتى اليوم !!

و لا يخفى عنا أن كلمة سبات موجودة حتى يومنا هذا في اللغة العربية ايضاً و هي تأتي بمعنى الراحة او هي حالة يكون فيها الكائن في حالة السكون .. كانت تجسيداً للقمر الجميل الذي يوافق تمامه كبدر حدوث الإباضة أي (الخصوبة) عند الأنثى تشريحياً و فيزيولوجياً .. لذلك لا عجب أن لتكون عشتار هي ربة الجمال و الخصوبة عند بلاد الشام و بلاد ما بين النهرين قديماً !!!

ما سبق و قاربناه في هذه المغالطة هو التمييز بين الشمس و القمر فلسفياً .. أما من حيث الأسماء فالقمر مؤنث و الشمس مذكر بأغلب لغات العالم ، أما في اللغة العربية فالبعض يقول بأن القمر مؤنث و البعض يقول بأنه مذكر و مؤنثه قمرة ، أما الشمس في اللغة العربية فهي كلمة مذكرة و مؤنثة معاً و يمكن إطلاقها على الجنسين إذ لا مؤنث لها ،كما قال النبي إبراهيم في الذكر الحكيم :

(فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ)

، أما من حيث الشكل البشري فنجد لعبة تبادل أدوار بين الشمس و القمر (الذهب الأشقر و الفضة السمراء) فنجد شموساً تعشق أقماراً و أقماراً تهوى شموساً و أيضاً شموساً مع شموس و أقماراً مع أقمار، كما نجد أشخاصاً يجمعون الشمس و القمر في محياهم ، **أو كما يقال في الرياضيات نجد كل الاحتمالات و التوافيق الممكنة ..**



مغالطة الموت الرحيم

(قتل النفس بالحق)

الولايات المتحدة الأمريكية

فلوريدا / ميامي

1999 م ..

= أيها الطبيب أرجوك ارفع لي جرعة المخدر، إن الألم لا يطاق ..

= أنا آسف سيدة **إيستاس**، و لكن هذه هي الجرعة القصوى الممكنة طبياً، بعد هذا الحد هنالك خطر حدوث تثبيط تنفسي لديك و الذي قد يقتلك ..

= إذاً اقتلني أيها الطبيب، أريد أن أموت، لم أعد أحتمل الحياة مع هذا الكم الهائل من الألم، الموت الآن راحة حقيقية لي، أرجوك افعلها ..



= اعذريني سيدة إيستاس أتمنى أن أريحك حقاً، و لكن فعل ذلك يخالف قسمي الطبي، كما أنه يعتبر جريمةً قانونيةً، و هو بالأصل يتعارض مع عقيدتي الدينية، من جهتي أنا غير قادر على فعل ذلك أبداً..

كانت السيدة إيستاس ممددة على فراشها الصغير في غرفتها، سيدة في الثلاثينيات من العمر حنطية البشرة بعيون بنية و شعر أقرب إلى البني، تعود أصولها إلى **الهنود الحمر** ..

إيستاس نحيلة للغاية و قد ضمرت عضلاتها بسبب إصابتها الراهنة بسرطان المبيض الذي تأخر اكتشافه حتى انتشر إلى الدماغ و الرئتين و الكبد و العظام ، كان الطبيب **إدوارد** صديق العائلة يمسك يدها بحنان و عطف ويواسيها بكل ما في جعبته من عبارات دينية و اجتماعية ، فمخزونه من العبارات الطبية يقف عاجزاً تماماً أمام حالتها الراهنة، فالوضع ميؤوس منه كلياً و هي بانتظار الموت في أي لحظة و لم يعد أمامها سوى ساعات أو أيام قليلة من الألم المبرح .

بجوار الطبيب جلس **سبيروزار** على كرسي صغير، و هو ابن السيدة إيستاس ذو التسع سنوات، يشع الذكاء من عينيه، خلاسي بعيون عسلية، فوالده **سانشيز فازغويز**

من أصل **إفريقي** تعود أصوله في الأساس **لبورتوريكو**، هاجر جده إلى أمريكا منذ زمن، و قد توفي الوالد سانشيز منذ عامين إثر سقوطه من الدور السابع ريثما كان يدهن الجدران الخارجية لأحد المنازل، لذا أصبحت إيستاس مسؤولة عن تربية سبيروزار لوحدها، و كان ذلك عملاً شاقاً عليها بالفعل لا سيما أنها كانت بدون عمل و تعتمد كلياً على مساعدات أقاربهما لهما ..

و اسم سبيروزار لا معنى له باللغات المعروفة، لكن والداه أطلقا عليه هذا الاسم بسبب حلم راود والدته في نومها، حيث أخبرها شخص بدا وقوراً في منامها أنها سترزق بعد عام بطفل ذكر و عليها تسميته سبيروزار، و بالفعل بعد شهر حملت والدته به و تبين لاحقاً أنها حامل بذكر فقرر والداه الإصغاء لرجل المنام، فالاسم بالأساس غريب و قد راق لهما للغاية ..

كانت الدموع تنساب من عيني سبيروزار و هو يرى حالة والدته و يستمع للحوار

الدائر بينها و بين الطبيب، و يشعر بنفسه عاجزاً كلياً عن فعل أي شيء يريحها به..

بعد ثلاثة أسابيع من الألم الشديد توفيت السيدة إيستاس

، تاركة ابنها سبيروزار كريشة في مهب رياح الحياة، و قد كفله بعدها مباشرةً عمه **رودريغيز** و عائلته ..

فلوريدا / ميامي

بعد مرور 30 سنة .. 2029م ..

= حضرة الطبيب سبيروزار، المريضة **باربرا** في الغرفة السابعة تريد التحدث إليك ..



= بشأن ماذا ؟

= لقد بلغت مضخة المسكن الجرعة القصوى و ما يزال ألمها مبرحاً ..

= حسنا أنا في طريقي إليها ..

أنهى سبيروزار عمله المكتبي بسرعة ثم توجه إلى الغرفة السابعة و دخلها مغلقاً الباب خلفه ..

= سيدة باربرا، ما لذي يمكنني فعله من أجلك ؟



= الألم غير قابل للاحتمال إطلاقاً أيها الطبيب، هلّا رفعت لي جرعة المخدر ..؟

= إن ذلك قد يقتلك سيدة باربرا ..

= أعلم ذلك، و أنا موافقة، لقد أنهكني سرطان الثدي تماما و أريد أن أرتاح للأبد، أنت أفضل طبيب أورام عرفته، و لابد أن لك طرقك الخاصة لمثل حالتي الراهنة ، لقد

أخبرتني ألا أمل من شفائي في هذه المرحلة و بقي لدي أيام إلى أسابيع قليلة لأعيشها، أليس كذلك ؟

= بلى، للأسف هذا هو توصيف حالتك الطبية تماماً..

= إذا فأنا مستعدة للموت ..

= و ماذا بخصوص عائلتك ؟

= هذا قراري الشخصي أيها الطبيب، و الجميع سيتفهم ذلك ..

الطبيب سبيروزار شخص ملحد و لا يؤمن بوجود إله لذا فلا عقيدة تمنعه من القتل الرحيم، إذ أن قناعته الكاملة تقر بحق المريض المتألم الميؤوس من حالته في إنهاء حياته، و لكن القتل الرحيم غير قانوني في فلوريدا.

= حسنا سيدة باربرا، أنا أتفهم وضعك تماماً، لكن القتل الرحيم لمريض السرطان أمر غير قانوني في ولايتنا ..

صمت قليلاً ثم أضاف ..

= انظري إلى هذه الزجاجة سيدة باربرا..

أخرج من جيبه زجاجةً مكتوب عليها (مورفين) مع محقن بلاستيك ..

= هذا هو المسكن الأقوى الأشهر الذي نمنحه لمريض السرطان عبر المحقن في المنزل أو عبر مضخة في المشفى كهذه ..

و أشار إلى المضخة المثبتة على حامل المحلول المغذي

= إن الجرعة المحددة من المورفين تسكن الألم، أما الجرعة الزائدة منه عبر الوريد

كأن تؤخذ هذه الزجاجة كاملةً عبر القسطرة التي في يدك ستسبب غالباً تثبيطاً تنفسياً قوياً ينهي حياتك، فكوني حذرةً سيدة باربرا، سأخرجك الآن إلى منزلك، و عليك بطريقة ما أن تحصلي على المورفين لمتابعة تسكين ألمك في المنزل، فهنا في المشفى المكان غير مناسب أبداً لذلك ..

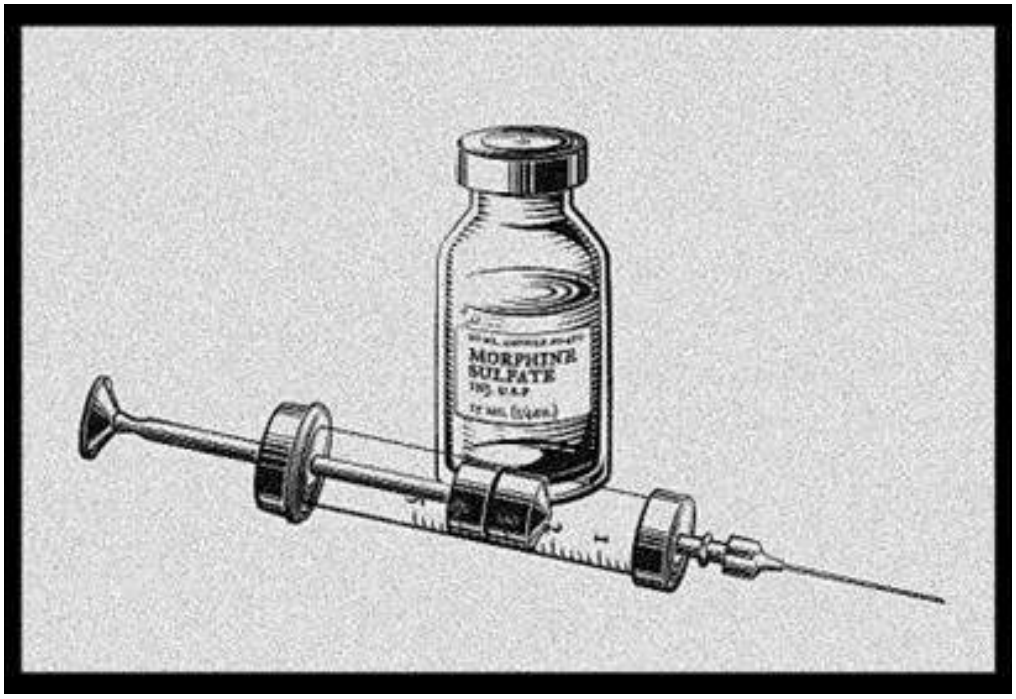

ترك سبيروزار الزجاجة و المحقن على الطاولة بجوار باربرا و توجه للخروج، و سمع صوتها من الخلف ..

= شكراً لك حضرة الطبيب، أرجو لك حياةً مفعمةً بالسلام ، تماماً كالسلام الذي ستمنحني إياه هذه الحقنة في منزلي ..

لم تكن هذه المرة الأولى التي يساعد فيها سبيروزار مريض سرطان على إنهاء حياته، بل هنالك عشرات الحالات من قبل و كثير منها فعله بيده.. فقد درس الطب بالأساس و تخصص في اختصاص الأورام كرد فعل على الحالة الصحية لوالدته و تجربتها الخاصة مع السرطان و هو صغير، فقرر على خلفية ذلك أن يساعد كل مريض سرطان بمثل حالتها على وضع حد لآلامه من خلال **القتل الرحيم** الذي يؤمن به كلياً، في حال فشلت بقية الوسائل الطبية في علاجه أو إراحته ..

بالحديث عن حياة سبيروزار الشخصية، فهو عازب، مقل بأصدقائه، و في عطل نهاية الأسبوع اعتاد الذهاب إلى مرسى قوارب ميامي حيث يمتلك هنالك يختاً صغيراً اشتراه منذ عام، و يقوم بالإبحار به في تلك العطل.

و في عطلة ذاك الأسبوع ذهب كالعادة للإبحار و اشترى وجبة غدائه في طريقه ..

جلس سبيروزار في قمرة القيادة يتناول غداءه وسط المياه، و لاحظ أن زجاج القمرة أمامه يعكس الساعة المعلقة على الجدار وراءه بحيث **بدت عقاربها تمشي بالاتجاه المعاكس**، و فكر بينه و بين نفسه، ماذا لو أن الزمن مضى بالاتجاه المعاكس، ما الذي سيحدث ؟

هز رأسه و ابتسم، إنه سؤال لا يمكن لأحد غالباً الإجابة عنه، و تابع تناول غدائه، و بعد الانتهاء منه أخرج كتاباً من مكتبته الصغيرة في القمرة و شرع يقرأه، كان يتمحور حول فكرة واحدة وهي الوحدة و نوعيها الوحدة الاجتماعية بالابتعاد عن الآخرين، و الوحدة النفسية أي شعورك بأنك وحيد و أنت محاط بالآخرين من حولك، و الكتاب يقارن بين هذين الشكلين و يحللهما نفسياً، كان كتاباً ممتعاً بحق ..

هكذا كانت حياة سبيروزار تمضي بروتين متشابه بين عمله في المشفى، و الإبحار بيخته في عطلة نهاية الأسبوع، مع بعض الزيارات للأصدقاء، و ما كان يكسر هذا الروتين هي اللحظات التي كان يساعد فيها مرضى السرطان الانتهائي على التخلص الدائم من آلامهم المبرحة عبر القتل الرحيم، و بالنسبة لسبيروزار كانت لحظات مفعمة بالرضا و الشعور بالانتقام من القدر أحمق الخطى كما يصفه هو ..

*****

بعد مضي حوالي الشهر زار رجل في منتصف العمر سبيروزار في غرفته الخاصة في قسم الأورام في المشفى.

= حضرة الطبيب سبيروزار، كيف حالك ؟ أنا **كارل** زوج مريضتك السابقة باربرا ..

= أهلا سيد كارل، أنا بخير، كيف حالك أنت و زوجتك ؟ كيف هو كفاحها ضد المرض ؟

= أنا بخير، أما باربرا فقد توفيت منذ قرابة الشهر، و انتهت معركتها القاسية أخيراً مع السرطان ..

= أنا شديد الأسف لخسارتك سيد كارل ..

= لا تأسف حضرة الطبيب، أنا هنا لأشكرك على المعروف الذي قدمته لباربرا و الذي أنهى ألمها العميق و معاناتها الهائلة ..

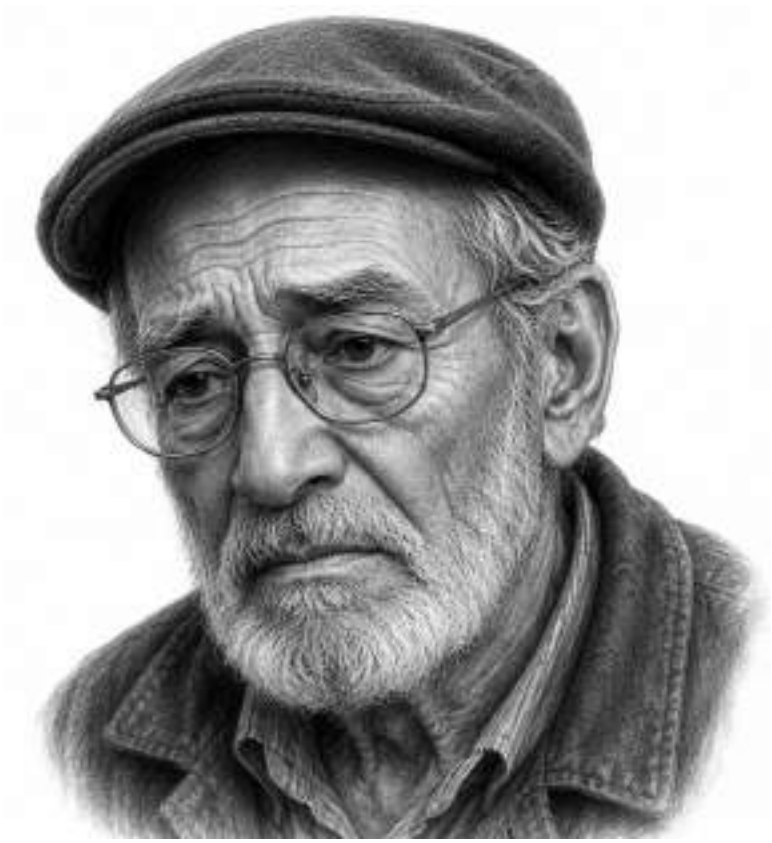

أومأ سبيروزار برأسه دون أن يرد ..

= و لكن هنالك سؤال أود طرحه عليك حضرة الطبيب

= تفضل ..

= لدي صديق مقرب مني يدعى **خوسيه** مصاب بدوره بسرطان الكولون، و هو في مراحله المتأخرة بحسب تقارير جميع الأطباء و قد أعطى السرطان نقائله إلى أعضاء شتى في جسمه، و أخبره الأطباء ألا فائدة من العلاج الكيماوي و الشعاعي في هذه المرحلة و أنها مسألة أيام لا أكثر، و صديقي بحالة يرثى لها من الألم واليأس فهو يعيش لوحده في منزله و أنا معينه الوحيد في معركته الراهنة مع السرطان، وقد وصل الألم به لمرحلة يقول فيها بأنه مستعد تماماً للموت كحل نهائي لمعاناته ، فهل هنالك من حل لديك كطبيب أورام لتخفيف تلك المأساة التي يعيشها، كما فعلت مع باربرا مثلاً !!

فكر سبيروزار قليلاً، ثم أخرج من درج مكتبه زجاجة مورفين، و أعاد جملته المعتادة لكل مريض سرطان يرغب بالموت الرحيم ..

= هذا هو المسكن الأشهر المتوفر لدينا لآلام مرضى السرطان سيد كارل، لكنه إن أخذ عبر الوريد بجرعة زائدة كهذه الزجاجة كاملة فقد يسبب تثبيطاً تنفسياً يقتل المريض، فكن حذراً..

= شكراً حضرة الطبيب، لكن هنالك مشكلة أخرى ..

= و ما هي ؟

= باربرا هي التي قامت بنفسها بحقن المورفين في

قسطرتها، فأنا لم أمتلك الشجاعة

لفعل ذلك، و صديقي كحالتي لا يمتلك الجرأة لحقن نفسه أيضاً، فهل هنالك من أحد تعرفه مستعد لفعل ذلك، إنه عمل إنساني أيها الطبيب ..

= و أين سيأخذ الحقنة ؟

= في منزله، سأنتظر الشخص المحدد هنالك و أقوده إلى غرفة خوسيه، ثم سأغادر المنزل ..

سبيروزار شخص ذكي و حذر للغاية في حياته، لكن عندما تصل الأمور إلى ألم السرطان الانتهائي تتغلب عاطفته في كثير من الأحيان على حذره، فهو يتذكر والدته و أيامها الأخيرة، ذاك السبب الذي جعله يصبح طبيب أورام، كما أن مظهر السيد كارل كان يوحي بالطيبة و البساطة، لذا فكر قليلاً ثم قال..

= حسنا سيد كارل، أعطني عنوان السيد خوسيه و سأمر مساءاً إلى منزله لتقييم حالته ..

= شكراً لك حضرة الطبيب، أنت إنسان نبيل مفعم بالإنسانية ..

*****

في المساء وصل سبيروزار إلى العنوان المحدد و طرق الباب، مرت لحظات ثم فتح كارل الباب ..

= أهلا حضرة الطبيب، تفضل بالدخول ..

دخل كارل و تبعه سبيروزار في الرواق حتى بلغا غرفة جانبية مغلقة الباب، فتحه كارل و دخلا، كان هنالك مريض نحيل واهن ممدد على فراشه ..

= سيد خوسيه، أنا الطبيب سبيروزار و جئت لأطمئن عليك، كيف تشعر الآن ؟

أجاب خوسيه بصوت واهن مرتعش ..

= بسوء حضرة الطبيب، إنه ألم هائل لا يمكن احتماله، و لم يعد أمامي من خيار في هذه الحياة سوى الموت نفسه

التفت الطبيب سبيروزار إلى كارل الذي فهم نظرته ..

= سـأغادر المنزل الآن حضرة الطبيب ..

= حسناً ..

خرج كارل في حين أخرج سبيروزار زجاجة المورفين و وأخذ يعبئها كاملة في الحقنة و هو يفكر بينه و بين نفسه، إنه فعل قام به مرات كثيرة من قبل، و باعتبار أنه لا يوجد شهود على فعلته و أن السيد خوسيه معرض للموت في أي لحظة بسبب السرطان الذي يعاني منه، إذا فلا خشية عليه من الإقدام على القتل الرحيم له فلا دليل يدينه أبداً، ثم تقدم من السيد خوسيه وقال ..

= إذا فأنت مستعد للموت سيد خوسيه كما فعلت السيدة باربرا زوجة السيد كارل ..

رد خوسيه بصوته الخافت المتألم و المتعب ..

= كل الاستعداد أيها الطبيب الرحيم .

= سأحقنك الآن بالإبرة سيد خوسيه و أتمنى لك السلام الأبدي كما منحته لباربرا و لكثيرين غيرها من قبل، وإن كان هنالك حياة أخرى بعد الموت و انا أشك بذلك، فأرسل تحياتي لوالدي الاثنين، اطمئن تماماً فستنتهي معاناتك الهائلة بعد هذه الحقنة مباشرةً ..

لم يكد سبيروزار ينهي جملته حتى فتح الباب بعنف و دخل شخصان بزي الشرطة الرسمي ..

= سيد سبيروزار، أنت ملقى عليك القبض بتهم القتل العمد سابقاً و محاولة القتل الآن، يمكنك الالتزام بالصمت حتى توكل محامياً خاصاً بك، فكل الكلام الذي ستقوله الآن يمكن أن يستخدم ضدك في المحكمة لاحقاً ..



ألقى الشرطيان القبض عليه و قاداه للخارج حيث كان كارل يقف في الرواق ينظر إليه بحقد و شماتة ..

= هذا جزاء فعلتك و قتلك لباربرا أيها المجرم غريب الأطوار، من أنت كي تضع نفسك مكان الله و تنتزع أرواح الآخرين ..؟

كان سبيروزار مدهوشاً بالكامل و هو ينظر إلى كارل و ذهنه في مكان آخر تماماً، حيث قبو منزله الذي يحتوي ثلاجة مملوءة بعشرات زجاجات المورفين مكسيكية الصنع التي حصل عليها بطرق غير شرعية، و لابد أن تعثر عليها الشرطة عندما تفتش منزله ..

لكن ما الذي حدث بالضبط ؟

الحقيقة أن باربرا كانت لديها عادة في كتابة مذكراتها اليومية بشكل روتيني و قد ذكرت فيها بالتفصيل الحوار الذي دار بينها و بين سبيروزار في المشفى، لذا بعد وفاتها بأيام و بسبب طريقة وفاتها المنتحرة بحث زوجها كارل المتدين المتطرف على أي دليل يقوده إلى الشخص الذي زودها بالمورفين حتى عثر على تلك المذكرات، فاستشاط غضباً و استشار محاميه الذي نصحه باللجوء إلى الشرطة و التعاون معها، و بالفعل وضعت الشرطة تلك الخطة المحكمة معه على الإيقاع بسبيروزار بعد أن اشتبهت بضلوعه بعشرات حالات القتل الرحيم سابقاً، و كانت الحركة الأخيرة التي ضمنت نجاح القصة هي تخلي

سبيروزار عن حذره و انتصار عاطفته تجاه تجربة والدته على عقله ..

*****

جلس سبيروزار مع محاميه الخاص **ألفريد** الذي بدا مكتوف اليدين أمام الأدلة الدامغة بحق موكله من مذكرات المريضة باربرا إلى العدد الهائل من زجاجات المورفين المكسيكية في منزله انتهاء بالإمساك به متلبساً يقوم بالقتل الرحيم للمريض خوسيه مع تسجيل اعترافاته بالقتل الرحيم المتكرر بالصورة و الصوت ..



كانت محاكمة سبيروزار شكلية إلى حد بعيد، و لم يكن هنالك من دور هام لمحاميه في الدفاع عنه، فالأدلة ضده كانت دامغة و كثيرة.. و صدر الحكم عليه بالسجن **10**

سنوات مع دفع تعويض مادي للسيد كارل ..

نقل سبيروزار إلى سجن ميامي المركزي ليودع حياة الطبيب ربما إلى الأبد و يقبل على حياة السجين ..

*****

لا شك عزيزي القارئ أنك قد سمعت من قبل بمصطلح الموت الرحيم الذي تناولته القصة القصيرة السابقة.. و ربما كنت من أنصاره ، و ربما من معارضيه .. و في مغالطتنا الجديدة التي تحمل اسمه (**الموت الرحيم**) سنقوم بالتعرف أكثر على هذا المصطلح الشائك من زوايا مختلفة كي نتوصل سوياً إلى نتيجة منطقية معقولة بخصوص شرعيته من عدمها ، فنجيب على سؤال مغالطتنا البسيط للغاية:

(هل الموت الرحيم هو انتحار و قتل ؟! .. أم أنه غير ذلك و هذا الفهم الشائع له مجرد مغالطة في حياتنا كغيرها)

و للإجابة على هذا السؤال سنقوم بالتطرق إلى **7**زوايا هامة تحيط بمفهوم الموت الرحيم بشكل كاف كما آمل و من مختلف النواحي .. فهيا بنا عزيزي القارئ نرفع النقاب عن هذا المفهوم الحساس و المعقّد و المختلف عليه على نطاق واسع بين البشر ..

❁ **تعريف الموت الرحيم** : هو ببساطة :

(القيام بإجراء متعمد مع الإعلان عن النية في إنهاء الحياة، للتخفيف من معاناة مستعصية على الحل)

أي أن له شرطين ضروريين يميزانه عن القتل أو الانتحار (**المعاناة** + **لا حل لها أبداً**) ..

❁ **أنواع الموت الرحيم** : و هي ثلاثة :

① **طوعي** : و يجرى بموافقة المريض ..

② **غير طوعي** : و تكون موافقة المريض غير متوفرة ، و من الأمثلة على ذلك القتل الرحيم للأطفال، و هو غير قانوني في جميع أنحاء العالم ما عدا في ظل ظروف محددة و معينة في **هولندا** بموجب **بروتوكول جرونينجن الهولندي ..**

③ **قسري** : ضد إرادة المريض ، و هذا قتل بلا شك إذا كان المريض واعٍ لقراراته أي لا غياب للملكات العقلية.

❁ **جذور الموت الرحيم** :

أول استخدام واضح لمصطلح (القتل الرحيم) يرجع للمؤرخ الإغريقي **سوطونيوس** الذي وصف كيف مات

الإمبراطور أوغسطس بسرعة وبدون معاناة في أحضان زوجته **ليفيا**، مما حقق الموت الرحيم الذي كان يرغب فيه طوال حياته ..

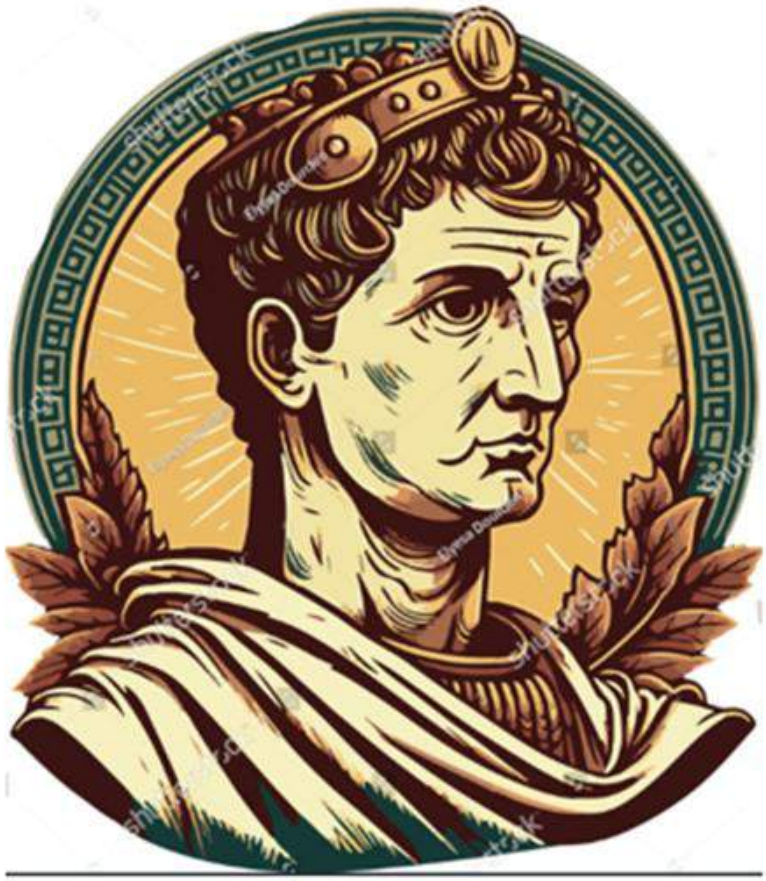

أما أول استخدام لمصطلح القتل الرحيم في سياق طبي فكان من قبل الفيلسوف الفرنسي **فرنسيس بيكون** في القرن **17**، للإشارة إلى وسيلة موت سهلة، سعيدة و غير مؤلمة ..

في حين نجد أكبر عملية قتل رحيم قسري جماعي معروفة حدثت في التاريخ هي قتل النازيين لحوالي **9772** شخصاً في **غرف الغاز** في **مركز براندنبورغ** للقتل الرحيم في عام **1940** و أطلقوا على هذه العملية

اسم (أكتيون **T4**) ..

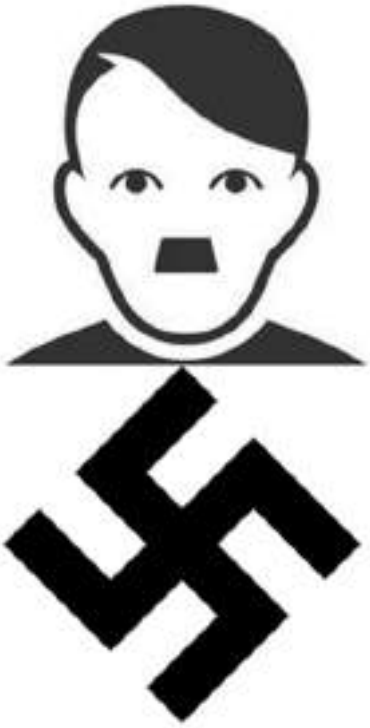

أما في الطبيعة فنجد الموت الرحيم عند النسور عندما تشيخ فتقل قدرة بصرها و يخف ريشها و ينعقف منقارها ، فتصبح غير قادرة على الصيد أو الطيران جيداً ، هنا ينطلق النسر إلى قمة جبل عالية ثم يلقي بنفسه منها في سقوط حر نحو الأرض حتى يصطدم بها و يموت محتفظاً بكرامته **!!**



❁ وجهة نظر العلم :

في العلم هنالك **5** حالات طبية قد تبرر الموت الرحيم و هي بلا شك تستدعي التأمل و التفكير لأنها منطقية للغاية و عدا هذه الحالات فأي قتل عمد هو جريمة قتل أو انتحار بكل تأكيد من وجهة نظري الشخصية .. و هذه الحالات هي :

- **أي حالة مرضية مترافقة مع ألام يتوفر فيها الرباعي التالي** :

① ألام تفوق القدرة البشرية على الاحتمال ..

② ألام مستمرة ..

③ ألام غير قابلة للتسكين ..

④ ألام غير قابلة للعكس ، و هذا ما ينطبق على ألام السرطان الانتهائي على سبيل المثال ..

- **الموت الدماغي** : و هذه حالة غير عكوسة و تعني الوفاة فعلياً ، و الموت الرحيم هنا مبرر بلا شك ..

- **الأذيات الدماغية التي تذهب بالعقل بشكل غير عكوس** : كالزهايمر المتقدم أو داء البريون مثلاً أو الجنون العضوي .. حيث يصبح المريض خطراً بالأساس على نفسه و على من حوله .. كما يتحول إلى كائن غريزي بلا صفات إنسانية .. و موته في هذه الحالة هو

أمان للمحيطين به و صون لكرامته الإنسانية و ماضيه من التدنيس بتصرفات غير لائقة إنسانياً .. و في الحقيقة أذيات الدماغ هذه لا تختلف عن الموت الدماغي بشيء ، بل هنا الوضع أسوأ لأن ما يعانيه المريض هو موت روحي عندما يقوم بشتم من يحيط به من عائلة و غيرها .. أو يخرج عرياناً في الشارع ليتبول أو يتبرز أمام المارة و غيرها ، و كل هذا إهانة روحية له و لماضيه .. أما بالنسبة لأمان محيطه فهذا النوع من المرضى قد ينسى الغاز مفتوحاً أو يشعل النيران بلا وعي أو يطعن أحدهم بالسكين و غيرها .. فأنت فعلياً تتعامل مع شخص بلا وعي لتصرفاته و كل شيء متوقع منه ..



- **الإجهاض** : في حال شكّل الجنين خطراً على حياة

الأم أو تبين بالايكو أنه يعاني من تشوهات خلقية شديدة أو من بعض المتلازمات التي تترافق بتخلف عقلي شديد للغاية ..





- **الأطفال الذين يعانون مما ذكر آنفاً من تشوهات خلقية شديدة أو من بعض المتلازمات التي تترافق بتخلف عقلي شديد** ، و لم يتم اكتشافهم بالايكو خلال الحمل .. فالإنسان له حق بالعيش بكرامة من جهة و يفترض امتلاكه للحد الأدنى من الوعي كإنسان .. عدا ذلك أنت تهين الإنسان أو تتعامل مع كتلة من اللحم و العظم لا أكثر ستعيق حياة عائلته و بالتالي المجتمع بلا

نتيجة مرجوّة تذكر ، و بالطبع نحن لا نقصد هنا متلازمة داون مثلاً التي يمتلك الطفل فيها وعياً مناسباً يتوافق مع الإنسانية ، بل عن حالات عدم تكوّن الدماغ مثلاً ، أو حالات تلف الدماغ بالكامل ..

۞ وجهة نظر الدين :

لقد نهانا الله في القرآن عن الانتحار بشكل صريح بقوله

((و لا تقتلوا أنفسكم إنَّ الله كان بكم رحيماً))

أما فيما يتعلق بموضوع الموت الرحيم فنجد الموضوع مختلفاً جذرياً فيقول البارئ الرحيم :

((و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون))

و هنا مربط الفرس في القضية كلها .. ما هو تعريف **الحق بقتل النفس** ؟! هل هو فقط **العقاب الجنائي** ، علماً أنه بالأساس عقاب بشري يحكم على المجرم أن يموت مفعماً بالخطايا و الذنوب بدون فرصة للتغيير أو التوبة أو حتى العلاج إن كان إجرامه على خلفية مرض جسدي أو .. أم أنّ الحق بقتل النفس هو قتل النفس التي تعرضت لمرض جسدي مشوّه بشدة أو مغيّب للعقل أو مؤلم بشكل غير إنساني و مستمر دون إمكانية عكس ذلك و تصحيحه ؟!

و لقد تطورت نظرة رجال الدين أكثر لمفهوم الموت

الرحيم في السنوات الأخيرة فنجد مثلاً أنّ مجمع الفقه الإسلامي الدولي أصدر في دورته العاشرة موافقته الشرعية على الموت الرحيم في بعض الحالات :

- نزع أجهزة الإنعاش عن الميت دماغياً ..



- الإجهاض العلاجي الاضطراري ، و يُلجأ لهذا النوع في حالة وجود خطر يهدد حياة الأم في حالة استمرار الحمل، ويكون إجهاض الجنين هو الحل الوحيد لإنقاذ حياة الأم ..

❁ **وجهة نظر القانون** : الموت الرحيم يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون في أغلب دول العالم باستثناء **بلجيكا، لوكسمبورغ، هولندا ، سويسرا، و بعض ولايات**

الولايات المتحدة الأمريكية مثل أوريغون و واشنطن ، حيث يشرع الموت الرحيم الطوعي في هذه الدول بموافقة المريض و طبعاً بشروط معينة و إلا فهو يعتبر مساعدة من الطبيب للمريض على الانتحار و يعاقب عليها القانون ..

❁ **وجهة نظر الأخلاق** : الواجب الأخلاقي للإنسان هو أن يتشبث بالحياة كي يحقق غايته السامية على هذه الأرض تجاه نفسه و تجاه الآخرين .. أما الحق الأخلاقي للإنسان في إنهاء حياته فيشمل ثنائية غاية في المنطقية و الأهمية :

● أن تتحول حياة الإنسان إلى ألم (جسدي أو نفسي) **مستمر رهيب و غير عكوس** ، فهذه حالة غير إنسانية بشكل بديهي !

● أن يفقد الإنسان ملكاته العقلية لسبب ما و بشكل غير عكوس ، فعندها سيفقد إنسانيته و يتحول إلى كائن خطير على نفسه و على الآخرين ، و يهين نفسه و محيطه و ماضيه ، و هذه كلها تعبر عن حالة غير إنسانية بشكل بديهي أيضاً !

فهاتان الحالتان بلا أي ذرة من الرحمة ، و باعتبار أن الله رحيم بلا شك .. فتحقيق رحمته تقتضي بالضرورة إنهاء حياة من يعاني منهما كرحمة إلهية أخيرة .. ليصبح لقب الرحيم لائقاً بهذا النوع من الموت ..

هذا باختصار هو الموت الرحيم من مختلف زواياه .. فما هي وجهة نظرك عزيزي القارئ بالموت الرحيم .. ؟! هل هو انتحار و قتل دوماً أم مبرر دوماً أم مبرر أحياناً في ظروف خاصة كالتي ذكرناها في الزاوية العلمية و التي أدعمها شخصياً بشرط التشخيص الدقيق للحالة بالطبع و استيفاء الشروط المذكورة كلها ؟!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الموت الرحيم**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أنا ضدّ إنهاء الحياة مهما كان السبب ..فالله لو يريد للمريض أن يموت فيمكنه إنهاء حياته ببساطة ..!!

بل أن نقول :

= هذه المقاربة غير منطقية البتة .. فهل يمكننا القول ، إذا كان الله يريد شفاء المريض فسيشفيه في لحظة فلماذا يذهب إلى الطبيب !؟ بالطبع لا .. و الله شرع لنا قتل النفس بالحق ، و لا حق لإنهاء حياة مريض أكبر من حقه عندما يريد ذلك إن كان يعاني من :

- آلام مبرحة دائمة غير عكوسة و غير قابلة للتسكين فهذا يتعارض مع الرحمة الإلهية و الحقوق الإنسانية
- موت دماغي ، فالمريض ميت فعلياً ..
- غياب العقل و الوعي بشكل غير عكوس ، فيهين

المريض نفسه و ماضيه و يشكل خطراً على نفسه و على المحيطين به ..

- جنين مشوه بشدة أو يشكل خطراً على حياة أمه.
- طفل مشوه بشدة أو بلا عقل و لا يمكن تصحيح ذلك

في المشهد الختامي من فيلم **v for vendetta** و على غرار الامبراطور **أوغسطس** و زوجته **ليفيا** ، تمسك **EVE** بجسد **V** و قد تلقى رصاصة في صدره ، فتقول له (**لا أريدك أن تموت .. سأنقذك**) فيجيبها (**كلا لا أريد .. موتي راحة لي .. إنه أجمل شيء قد يحصل لي الآن**) فتستجيب لطلبه و تدعه يرحل في سلام ..



و كان هذا شكل من أشكال الموت الرحيم عندما نعرف بأن شخصية **V** تعرضت في الماضي لحروق شديدة في

كامل جسده بسبب انفجار بعد احتجازه في سجون و تعذيبه و إجراء تجارب عليه تشبه ما فعله النازيون في تجربة (أكتيون **T4**) المتوحشة مما شوّه جسده بالكامل و جعل حياته كإنسان طبيعي أمراً مستحيلاً ..

يقول المثل الشعبي: (**إن جرحت يدك اليمنى ، فلن تؤلمك يدك اليسرى**) أو (**من يده في الماء غير الذي يده في النار**) و لذلك فإن رأي الناس في قضايا حياتية كثيرة و من بينها قضية الموت الرحيم يبقى من موقع **التنظير** لا أكثر طالما أنهم لا يعانون من هذه الحالة التي يدلون بآرائهم فيها .. لأن الإنسان عندما يعاني هو بنفسه أو من يحب من هذه الحالة ستتغير المعايير و الآراء **180** درجة ..

مغالطة مخمّس

الشيطان

(بانوميت)

= ها قد وصلنا إلى لوحة جديدة في جولتنا السياحية على لوحات متحف اللوفر في قلب باريس ..

= أظن أنها لوحة (كش مات) أيها المرشد !



= أصبت .. و هذه اللوحة هي لفنان ألماني من القرن 18 يدعى فريديريك ريتز ، و قد صور فيها كما ترون بأنفسكم لاعبي شطرنج ، الأول هو الشيطان الذي يبدو مفعماً بالثقة و الغرور من الفوز بسبب سيطرته على الرقعة، و اللاعب الثاني هو إنسان تبدو عليه علامات اليأس، لأنّ الشيطان الذي يبدو منتصراً في اللوحة سوف يربح روح ذلك الرجل و يسيطر عليها في حال هزيمته.. و بين اللاعبين يقف ملاك يراقب المعركة على الرقعة بصمت .. و يمكن وصف اللوحة باختصار بأنها انتصار الشيطان بدهائه على الإنسان .. لننقتل إلى اللوحة التالية ..

مضت المجموعة السياحية في زيارتها بقيادة المرشد ، لكن أحد أفرادها و هو بطل عالمي متمرس في لعبة الشطرنج ، لم يتحرك معهم وبقي يتأمل لوحة (كش مات) بدقة و عمق، فنادى عليه المرشد ..

= هيا سيدي ، سيفوتك شرح اللوحة القادمة ..

= من فضلك حضرة المرشد ، هلا عدت قليلاً إلى لوحة كش مات ..



تفاجأ المرشد من هذا الطلب الغريب لكنه عاد على مضض ..

= ماذا هنالك سيدي ؟

= حضرة المرشد ، يجب إما تغيير اسم هذه اللوحة أو إزالتها من المتحف، أنا كلاعب شطرنج محترف أرى أن ملاك الإنسان لا يزال أمامه فرصة للمناورة، إذ يمكن

تحريكه بهذه الطريقة وبعدها سوف يربح الإنسان ويخسر الشيطان .. إن عنوان هذه اللوحة يروج لفلسفة خاطئة في الحياة بأنه لا أمل للإنسان في معركته مع الشيطان و عليه إعلان الاستسلام على خلاف الواقع ، فالإنسان المؤمن بالله واثق بنفسه و سيتمكن من هزيمة الشيطان لا محالة بعون من الله و الملاك المراقب للعبة.

هزّ المرشد رأسه بدهشة و قال ..

= مذهل و معبر للغاية !!

*****

الشيطان .. العدو الأول للإنسان عبر الزمن ..

كثيراً ما تم تصويره كمخلوق حي يهمس في أذنك بالخطيئة أو يوسوس في صدرك بالفسوق .. لتنحدر حياتك إن أنت أذعنت له إلى الهاوية السحيقة ..

فهل الشيطان موجود فعلاً ككائن يتربص بمليارات البشر ؟ و كيف يمكنه فعل ذلك بنفس اللحظة بين الجميع ؟! أم أن هذا التصور عن الشيطان هو مغالطة جديدة يوسوس بها شيطان المغالطات في عقولنا ليبعدنا عن بلوغ الحقيقة المجردة الملاك ؟!

هذا ما سنحاول معرفته خلال الصفحات التالية ، عبر مقاربة مغالطتنا الجديدة (**مخمّس الشيطان**) ، من **4** زوايا هامة للغاية :

① **الشيطان في التراث ..**

② **عبدة الشيطان ..**

③ **الشيطان فكرة لا شخص ..**

④ **كيف تهزم شيطانك ؟ ..**

و أياً كان ، الشيطان تعوذ منه عزيزي القارئ و هيا بنا نحلل مغالطتنا بتفصيل أكثر بسم الله الرحمن الرحيم ..

أولاً ، الشيطان في التراث :

إنّ أغلب الديانات الأرضية و جميع الديانات السماوية وصفت حياة البشر كصراع بين الخير و الشر ، فيرمز للخير عادةً بالإله ، أما الشرّ فيرمز له بعدة طرق حسب الحضارة السائدة ، فهو :

- **إله** أيضاً كحال الإله **أهرمان** في الديانة الزرادشتية الذي يواجه إله الخير **أهورا مازدا** ، و الإله **ست** عند الفراعنة ...
- **مخلوق** تمرد على الإله الخالق و وعده بإغواء خلقه عن عبادته كحال **إبليس** عند المسلمين و **الشرير** عند المسيحيين و **الشيطان** عند اليهود ..
- **النفس الأمارة بالسوء** التي تغري الإنسان كي يعصي الآلهة فيستحق عقابها كما هو الحال عند الإغريق مثلاً ..

و أسماء الشيطان تتنوع بتنوع الحضارات فهو **إبليس** ، **الشرير** ، **لوسيفر** ، **عزازيل** ، **بافوميت** ، **بعل زبول** ، **مفستو فيلس** ، **ساتان** ، **عفريت الجنّ** و غيرها ..



و الشيطان أياً كان اسمه أو تكوينه من إله أو مخلوق أو فكرة فقد أثبت قوته عبر الزمن و كثيراً ما يكسب معركته مع البشر .. لماذا ؟ لعدة أسباب لعلّ أهمها :

۞ خياراته أكثر من خيارات الإنسان ، فللخطأ أوجه لا نهائية أما الصواب فله وجه وحيد ..

۞ لا يوجد رادع أخلاقي أو خطوط حمراء تحدد حركاته.

۞ إتقانه للعبة الضياع بين (**الماضي**) بذكرياته الأليمة و خسائره و فشله ، و (**المستقبل**) المبهم المخيف غير المضمون .. فينطحن الإنسان ضعيف الإيمان بين مطرقة الوقوف على الأطلال و التأسف على ماضٍ لن يعود و بين سندان القلق من مستقبل مجهول قد يعيد إحياء

الماضي بكوارثه مجدداً ، فيغفل الإنسان عن أهم ثروة يملكها في حياته أي (**الحاضر**) ماضي الغد و محدد هيئة المستقبل الآتي ،فيعتكف عن العمل و الإنجاز و يستسلم لواقعه الكئيب دون ردة فعل

❁ يعزف بحرفية على أوتار **الغرائز و الحاجة و الطموح** وهذا هو مثلث برمودا الذي يختفي فيه ضمير الإنسان دون أثر ..

❁ أتباعه هم الأكثر في كل زمان و مكان بسبب المغريات التي يقدمها ، مما يجعل طريق الحق و الصواب الوعر بالأساس شحيحاً برواده مما يصعّب عليهم المعركة أكثر ..

ثانياً ، عبدة الشيطان :

بسبب الأسباب الصريحة و القوية السابقة و كثير غيرها نجد للشيطان أتباعاً بالملايين عبر صفحات التاريخ ، بل وصلت الحالة ببعضهم إلى عبادته و تقديسه دوناً عن الله خالقهم ، حتى أنهم يمارسون طقوسا خاصة بهم و يروجون لرموز و قرائن شيطانية مميزة من قبيل :

- **النجمة الخماسية المقلوبة**
- **رأس الكبش**
- **رقم 666**
- **الصليب المقلوب**

- **رفع السبابة و الخنصر مع ثني بقية الأصابع**
- **الوشوم المتعددة و الموسيقى الصاخبة**

وغيرها ..

بل أكثر من ذلك ، فقد قام الكاهن و المشعوذ الأمريكي اليهودي**أنطون لافي** الملقب (ابن الشيطان البار) هناك في بلاد العام صاموئيل و يلسون (سام) أو أمريكا بالترويج لعبادة الشيطان بشكل علني و رسمي بل أسس له كنيسة حملت اسمه (**كنيسة الشيطان**) في مدينة سان فرانسيسكو لتقام فيها طقوس عبادة الشيطان على نحو جريء فاضح و قانوني دون رقيب أو حسيب.



كما أصدر لافي كتابه (**الإنجيل الأسود**) الذي جاء في نصه في الفصل الثامن:

(اقتلوا الأجّنة في بطون أمّهاتهم، واشربوا دم الصغار، واصنعوا منه حساءً، واخبزوا في الأفران لحومهم، واصنعوا من عظامهم أدوات للتعذيب)

فمبادئ عبدة الشيطان بحسب التسريبات و التصريحات كثيرة و على رأسها **الثالوث الأسود المقدس** :

① **تحقيق شهوات النفس المتنوعة** ورغباتها دون قيود حتى لو اضطرهم ذلك للقتل أو القيام بممارسات جنسية جماعية ، بل حتى مع المحارم ليكونوا أقرب للشيطان ..

② **تقديم القرابين للشيطان** و يفضل أن تكون من الأطفال .. و التشجيع على الإجهاض و الانتحار..

③ **الانتقام**، وتدمير كل من يحاول مضايقتهم بلا أدنى هوادة أو رحمة و بأبشع الوسائل و الطرق ..

و قد نالت منظمتهم شعبية لا بأس بها بسبب استقطابها للمختلفين في المجتمع الذين تم رفضهم أو التضييق عليهم من قبل العامة ، كالأقليات و المختلفين جنسياً و الأعراق الأخرى غير العرق الأبيض كالهنود الحمر أو الأفارقة أو الضعفاء الذين يتعرضون للتنمر و غيرهم.

و للأسف فإن كل هؤلاء يلجؤون من الظلم و أذى الآخرين لهم إلى الفسوق و هو أذى أكبر لهم و بأيديهم في مفارقة غريبة و مؤلمة .. فالطريقة الأصح كي يقوي الإنسان روحه أن يلجأ إلى الله و السماء فهو المعين الوحيد من نكبات الدهر الذي لن يخذلك أبداً..

و يحاول عبدة الشيطان الترويج لأنفسهم كجماعة لطيفة تبحث عن العدل و نصرة المظلومين ، لكن ما يتسرب من مبادئهم و طقوسهم للآخرين يفترض عكس ذلك تماماً.

ثالثاً ، الشيطان فكرة لا شخص :

كي نفهم طبيعة الشيطان ، علينا أولاً أن نفهم طبيعة الإنسان .. فالإنسان يأتي إلى هذه الحياة صفحة بيضاء طاهرة كالثلج و هذا ما نعوه براءة الأطفال ، لكن ما أن يشبّ هذا الطفل قليلاً و يتعرف على إغواءات الدنيا و متعها حتى يتنازل عن براءته و إرثه الأخلاقي النظيف و ينغمس في الملذات بأشكالها المختلفة ..

هل يذكرك هذا بشيء عزيزي القارئ ؟

بالضبط .. بوصف إبليس في الإسلام ، فقد كان ملاكاً من ملائكة الله يعبده ، ثم تمرد عليه و أسس امبراطورية من الفسوق خاصة به لإغواء البشر ..

بمعنى آخر .. الشيطان ليس بالضرورة شخص آخر يوسوس للإنسان .. بل الشيطان يكمن داخل الإنسان بالأساس ،و يعيد كل إنسان قصة حياة إبليس في حياته نفسها بالتحول من الطفل الملاك إلى الشاب الشيطان ، قبل أن يهديه الله إلى صراطه المستقيم مجدداً فيستعيد طهارة الطفولة ، و قد سبق و ناقشنا هذه الفكرة بتفصيل أكثر في مغالطة (**خوارزمية الله**) ، فالشيطان بالأساس

فكرة قبل أن يكون جسد أو غيره .. و هذه الفكرة يمكن تجسيدها بشعار عبدة الشيطان (النجمة الخماسية المقلوبة) ، إذ يجسد كل رأس فيها ركن من أركان سيطرة الشيطان على الإنسان :

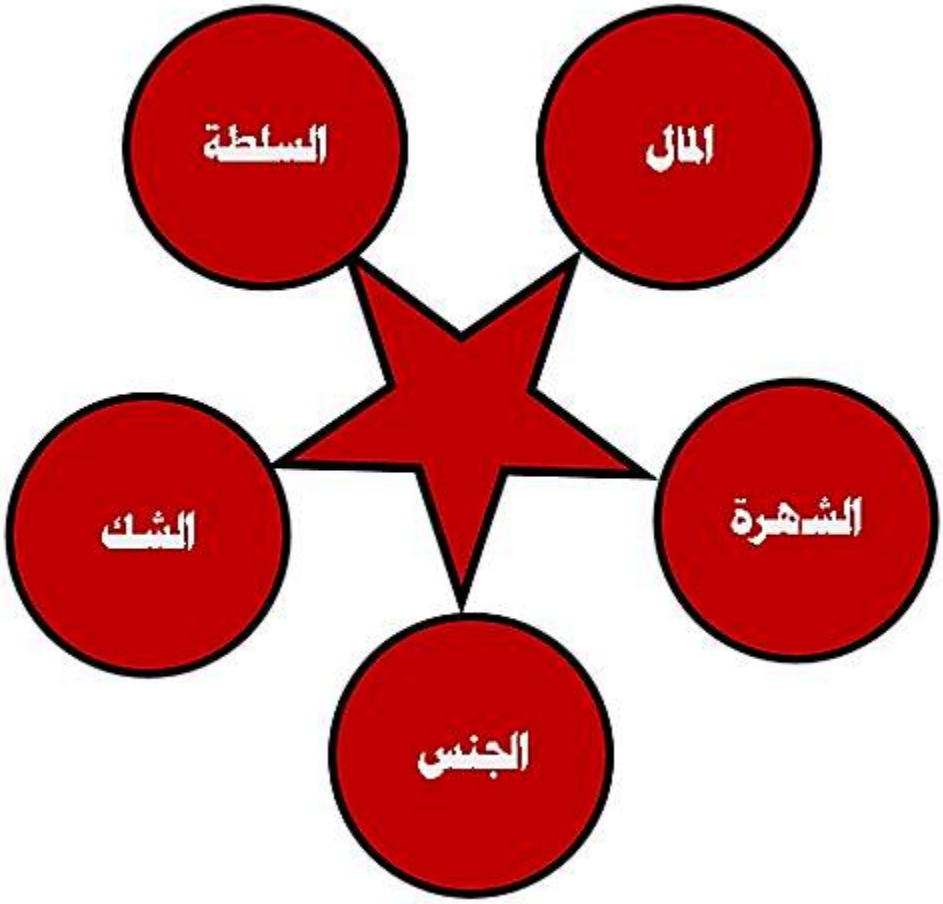

① **الغريزة** : و هو الركن الأخطر و الأكثر سيطرة على الإنسان ، فالإنسان الذي لا يتحكم بغرائزه و يوجهها بعقله ينحدر إلى قاع الأخلاق الرديئة ، فعندما تتحكم الغريزة بالعقل و ليس العكس ستنفتح أمام المرء أبواب الجحيم حرفياً .. و كي يقاوم الإنسان شيطانه هنا ، عليه تغليب العقل على الغريزة كي يسيرها وفق أصول معينة

لا تضره أو تضر الآخرين و هذا ما يسمى **جهاد النفس** ، و هو أصعب أنواع الجهاد ..

② **المال** : المال بالطبع ضرورة لا غنى عنها للبقاء على قيد الحياة أولاً ثم لتحقيق حياة كريمة ثانياً و ربما لتحقيق حياة رغيدة ثالثاً .. لكن أن يتحول حب الثراء السريع إلى هاجس عند الإنسان فذلك ينذر بأسوأ العواقب ، لأن الطريق لتحقيقه غالباً ستكون مليئة بمطبات الفساد و الغش و الاختلاس و السرقة و ربما الجريمة .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بالرضا بما رزقه الله و محاولة تحسين وضعه الاقتصادي بالطرق المشروعة .. فالحلال البطيء سيبقى بلا شك أحسن عاقبة من الحرام السريع ..

③ **الشهرة** : هوس الشهرة قد يصل بالبعض إلى ارتكاب كل أنواع المعاصي لتحقيقها .. رغم أن الشهرة بالأساس سراب بل مصيدة حقيقية كما فصلنا في مغالطة الشهرة من قبل .. لذا على الإنسان أن يسعى إلى الشهرة الإيجابية بالعمل الصالح المفيد للبشرية ، لا الشهرة السلبية بالتهريج و إيذاء الذات و تحطيم الآخرين و غيره .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بالتركيز على العمل الإيجابي الذي يطوره و يطور الآخرين ، و في الواقع الشهرة الإيجابية هي التي تقصد الإنسان الناجح و ليس العكس لذا ستأتيه الشهرة من حيث لا يحتسب..

④ **السلطة** : هوس المجد و الجاه و التحكم بمصير العباد حلم راود آلاف الطغاة عبر التاريخ ، و في سبيل تحقيقه حدثت مجازر و خيانات و انقلابات و طغيان ، فأن تقنع الملايين باتباع كلامك ليس أمر هين ، بل ينبغي أن يكون كلامك موزوناً و فيه مصلحة المجتمع و بعيد عن المكاسب الشخصية .. و هذا ما يتعارض مع أحلام السلطة و هوس التحكم بالآخرين ، لذا لن ينصاع الشعب لك ، و بالتالي ستلجأ للعنف و غيره لفرض سيادتك و كلمتك عليه .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بالوعي أن المناصب تكليف لا تشريف .. أي أن يبتغي من بحثه عن السلطة إحقاق العدل و تأمين الحريات و الحياة الكريمة للشعب لا استعباده و استغلاله ..

⑤ **الشك** : عندما ينخر سوس الشك بوجود الله و الحياة بعد الموت في روح الإنسان ، يفقد كل خصاله البشرية الحميدة ليتحول إلى وحش ناطق لا يردعه رادع عن تحقيق كل ما سبق .. و هنا الإنسان يقاوم شيطانه بأن يؤمن يقيناً أن الله حق و أن حياته على هذا الكوكب رحلة وجيزة ستنتهي قريباً و العاقبة في الآخرة حيث الحياة الأبدية .. فيزهد بدنيا قصيرة الأمد في سبيل آخرة للأبد .. لذا فالإيمان بوجود الله و بجنانه بعد الموت يعتبر نقطة الانطلاق و حجر الزاوية في هزيمة الإنسان لشيطانه المتغلغل في دماغه فيكتم صوته ويشل تأثيره عليه كلياً

لا تتوقع عزيزي القارئ أن يتجسد الشيطان أمامك كمخلوق يحاول زعزعة إيمانك و دفعك إلى الخطيئة ، فالشيطان فكرة قبل كل شيء .. فكرة من خمس أركان كما شرحنا و الشيطان يجلس في مركز هذه النجمة و يراقب عن كثب كيف يعيش الإنسان في حياته الصراعات الكبيرة مع **الغريزة و المال و السلطة و الشهرة و الشك ..**

يقول **بولس الرسول:**

(البسوا سلاح الله الكامل كي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس فإن معركتنا ليست مع شيطان من لحم و دم ، بل هي مع الرؤساء ، و السلاطين ، و ولاة العالم التابعين له على ظلمة هذا الدهر)

و يقول **الإمام علي بن أبي طالب** :

(و اتخذوا الشيطان لأمرهم مِلاكاً ، و اتخذهم له أشراكاً ، فباض و فرّخ في صدورهم ، و درج في حجورهم ، فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم)

و خلاصة هاتين المقولتين أن الشيطان ليس مخلوقاً مجسداً بذاته بل هو فكرة أنّ الإنسان عندما يهزم في معركته مع واحد أو أكثر من الخماسي السابق فإنه سيتحول بذاته إلى شيطان حقيقي يغوي الآخرين و يفسد في الأرض .. فالشيطان مخلوق وحيد و البشر بالمليارات ، فكيف سيتمكن من الوسوسة لهم جميعاً في نفس الوقت

، ما يحدث على أرض الواقع **أن كل إنسان من هذه المليارات يتصارع يومياً مع مخمس (الغريزة و المال و السلطة و الشهرة و الشك) الذي هو الشيطان الحقيقي فإما أن ينتصر المرء و يعيش كملاك حقيقي أو ينهزم و يتحول إلى شيطان بنفسه !!**



في ليلة القبض على السيد المسيح قبيل صلبه كما تقول الروايات المسيحية تجسد أمامه الشيطان على هيئة أفعى و أخذت تغويه كي يستسلم و يتراجع عن إكمال ما تبقى من رسالته فينقلب على خالقه ، عبر إخافته من عذابات الضرب و الصلب ، و توهين عزيمته بأن أحد تلامذته خانه و البقية سيتخلون عنه ، و كأن كل حياته كانت عبثاً و فشل في رسالته و مسعاه .. فالله بذلك تخلى عنه فلماذا يتعلق به ؟.. لكنّ المسيح قاوم كل ذلك و تجاهل كلام

الشيطان بصلابة و شجاعة فداس رأس الأفعى و سحقه .. فما الذي حدث بالفعل ؟

المسيح تعرض لأحد أركان المخمس الشيطاني و هو **الشك** ، لكنه تغلب عليه و مضى برسالته إلى النهاية.



رابعاً ، كيف تهزم شيطانك ؟

إن أردنا توصيف أقوى سلاح للشيطان في معركته مع الإنسان فلن نجد أنسب من كلمة واحدة (استسلم) ..

استسلم لفقرك فاسرق .. استسلم لكسلك فغش ، استسلم لفشلك فلا تحاول ، استسلم لضعفك فلا تقاوم ، استسلم لغريزتك فاتبعها ... استسلم على طريق الصواب الوعر

فاتخذ الطريق المختصر بالخطأ و الخطيئة كي تبلغ أهدافك و رغباتك بأقل جهد ممكن ..

بالمقابل فإنّ أقوى سلاح للإنسان في مواجهة شيطانه هو : (**حاول ، قاوم و استمر**) .. و تذكر أن هزيمتك لا تكون من خارجك أبداً بل تبدأ من أعماقك أولاً ، فكل إغواءات البشر و الظروف القاهرة من حولك تبدأ من كلمة واحدة (**موافق**) فإن أنت لم تنطقها ، عجزت جميع الأساليب الشيطانية الممكنة عن جرك إلى الخطيئة ..

و تذكر أن الإنسان الناجح الصامد يجد حلاً لكل مشكلة ، أما الإنسان الخنوع المستسلم فيجد مشكلة في كل حل ، أما حلول الله فلا تنتهي و تحيط بنا من كل حدب و صوب كأسلحة يزودنا بها في وجه دعوات شياطيننا للاستسلام لظروفنا القاهرة و مشاكلنا العويصة ليقول البارئ لنا :

(لا تستسلموا فالله معكم ، و من جعل نفسه في خدمة الله جعل الله كل شيء في خدمته)

كما قال تعالى في الذكر الحكيم :

(لا تيأسوا من روح الله)

بل ذهب القرآن بعيداً في ذلك فنجد الآية الأخرى :

(إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

و لنا في حكاية لوحة كش مات في مقدمة مغالطتنا عبرة في ذلك ..

فلا تيأس عزيزي القارئ مهما اشتدت بك الخطوب و أوصدت في وجهك أبواب الأرض ، فللسماء أبواب لا تغلق تتنزل منها الحلول و المساعدات و حتى المعجزات في اللحظة المناسبة دوماً ، فالله يختبر إيمانك و شجاعتك بالآخرين و بالظروف الصعبة ، و متى أثبت له وفاءك و ولاءك سخر الكون برمته لنصرتك و تحقيق أهدافك و إخراجك من بئر المكائد ، الفشل و الحاجة كي يدفع بملاكك إلى المعركة و يقول لشيطانك :

(كش مات)

بنقلة مفاجئة عبقرية لم تتوقعها و لم يتوقعها .. و لنا في رسول الله أسوة حسنة في معاركه الدفاعية ، فقد كانت الهزيمة آتية لا محالة بانتصار أعدائه عليه بالعدد و العدة و كل شيء مادي آخر ، فتدخل الله بقواته ليقول :

(فأنزل الله سكينته عليه و أيده بجنودٍ لم تروها)

فإن كان خالق كل شيء معك عندما تتبع طريق المنطق و الصواب فأي مخلوق سيهزمك بالخديعة أو الحيلة أو الإغواء التي لا تزحزح الصواب قيد أنملة !؟

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مخمّس الشيطان**) ، من الأنسب بعد اليوم ألا نقول :

= الشيطان يوسوس في رأسي كي أفعل كذا و كذا ..

بل أن نقول :

= الشيطان فكرة بالأساس .. و من يوسوس في رأسك هو صراعك الشخصي مع مخمس الشيطان (الجنس و المال و السلطة و الشهرة و الشك) ..

و ألا نقول :

= لقد أعلنت الاستسلام ، كيف أواجه عدواً بلا مبدأ أو رادع أو خطوط حمراء .. فالصواب يتيم و للخطأ ملايين الآباء ..

بل أن نقول :

= المعادلة في هذه الحياة بسيطة للغاية تقوم على ساقين لتضع ساقاً على ساق كملك متوج لا يقهر :

❁ **الصواب ثابت لا يتغير** ، و لا أحد قادر على لي ذراع قوانين الدنيا ، و لو قال مليار شخص أن **4 + 3 = 6** سيبقى الجواب هو **7** و لو اتبعه شخص وحيد أو حتى لو لم يتبعه أي إنسان ، فقد أتى بشر و رحلوا و أتى غيرهم و رحلوا و هكذا ، في حين بقيت القوانين راسخة لا ترحل، فهل من قوة أكبر من ذلك ؟!

❁ **المخلوق لا يمكن له أن يهزم خالقه** مهما فعل على نحوٍ بديهي .. فالخالق يعرف كل شيء عن مخلوقاته بأدق التفاصيل و مكامن القوة و مواطن الضعف فيها ، أما المخلوق فيجهل كل شيء عن خالقه إلا بما كشفه بنفسه

عن نفسه من كونه عادل ، جبار ، لا محدود القدرة .. فكيف لنا أن نتخلى عن هذا الخالق النبيل القوي لنتبع مخلوقاً وضيعاً محتالاً كشيطان يوسوس في صدورنا و يغوينا كي ندمر أنفسنا بأنفسنا سواء أكان كائناً حقيقياً أم مجرد فكرة تعيش في كل إنسان ..

كان اللواء **إيميليو مولا** القائد العام لجيش الشمال إبان **الحرب الأهلية الإسبانية** ، و أثناء مؤتمر صحفي مع صحفيين أجانب، سئل اللواء أي الطوابير الأربعة التي يتكّون منها جيشه سيفتح مدريد ؟ عندئذٍ رد اللواء مولا قائلاً أنّ هذه ستكون مهمة الطابور الخامس ، في إشارة ضمنية إلى الجماعات الفرانكية الموالية للملكية التي كانت تعمل في الخفاء داخل مدريد أي أنه كما الشيطان راهن على سقوط عدوه من داخله و ليس على قوته الخارجية على كبرها !!

و علينا جميعاً تمنيع أنفسنا من الداخل و القضاء على الطابور الخامس في ذواتنا أولاً و قبل كل شيء لنلتفت بعدها إلى قوى الأعداء من حولنا فنحن كفلاء بأنفسنا و الله كفيل بهم ، و هذا ما وعد الله عباده الصالحين ، كما يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان)

فالشيطان سيحاول التسلل إلى حياتك كحصان طروادة ، و عليك ببساطة ألا تسمح له بذلك بأن تحصن نفسك من إغواءات مخمس الشيطان ..

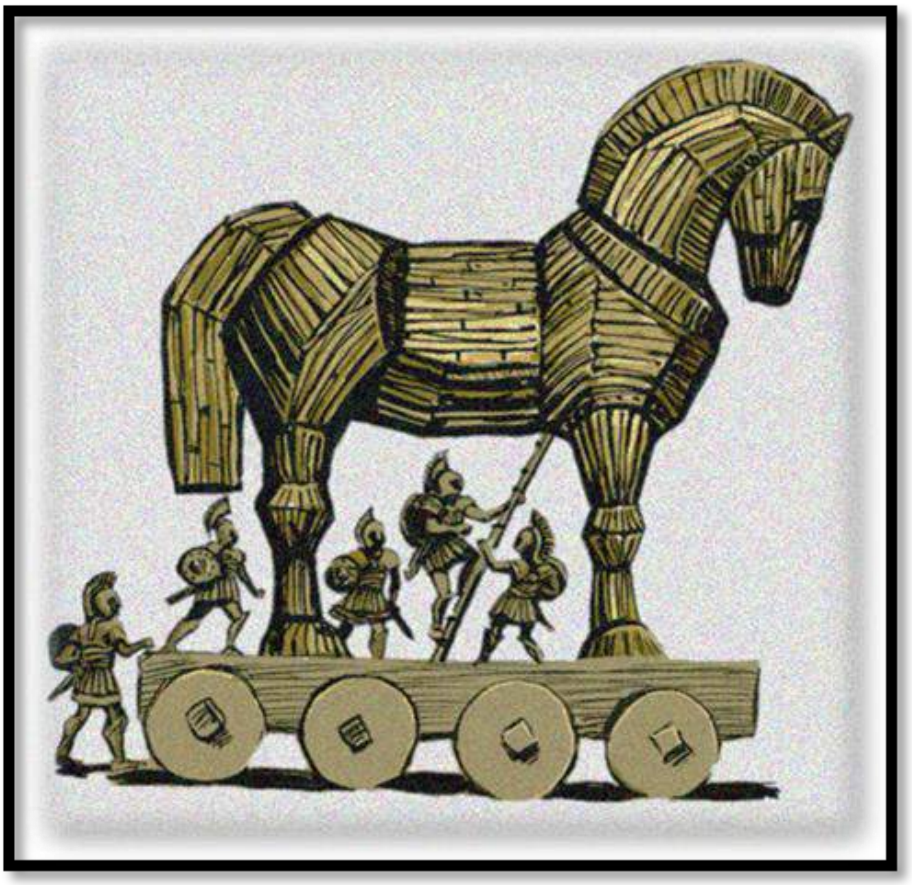

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

نظر إليه الصديق نظرة فيها كثير من التهكم و السخرية و قال بتعجّب :

= مقالة عن بعض القبائل الإفريقية التي لا تزال تعبد الأصنام حتى يومنا هذا ، و يقول أنهم يخرجون الهياكل العظمية لأجدادهم كل **7** سنوات كي يرقصوا معها و يحتفلوا بها .. هل فقد هؤلاء عقولهم **؟!** بالفعل كما يقال الدين أفيون الشعوب .. و أينما وجد الدين وجد التخلف و الخرافة **!!**



= و هل تعتبر نفسك في مأمن من تصريحاتك هذه ؟

= بالطبع .. أنا شخص ملحد لا اؤمن بالإله أو الدين من الأساس ..

= لكنني كما أرى قد حولت إلحادك إلى صنم بدوره ، تعبده بإخلاص و تفاني و تدافع عنه بضراوة مستهزئاً من كل شخص يخالفك قناعاتك ؟

= هل تمزح ؟! الإلحاد ليس بصنم !!

= الصنم ليس مادة ملموسة و محسوسة يعبدها البشر ، الصنم هو فكرة يجعل الإنسان عقله أسيراً لها ، و يسخر حياته و إمكانياته كي تنتصر و تنتشر .. عوضاً عن تسخير كل الأفكار قاطبةً لخدمته كي يحيا بحرية و يزدهر .. أما الاصنام المادية فليست سوى تجسيد لهذه الأفكار كي يراها الإنسان بنفسه .. تماماً كصور **ماركس و نيتشة و داروين** التي تعلقها على حائط غرفتك خلفك .. أوليست هذه الصور أصناماً بحد ذاتها كغيرها ؟! إنك تخالف وصية أحد هذه الأصنام و هو نيتشة عندما تركت عبادة أصنام معينة لتتورط بعبادة أصنام أخرى .. فانتبه جيداً لذلك يا صديقي !!

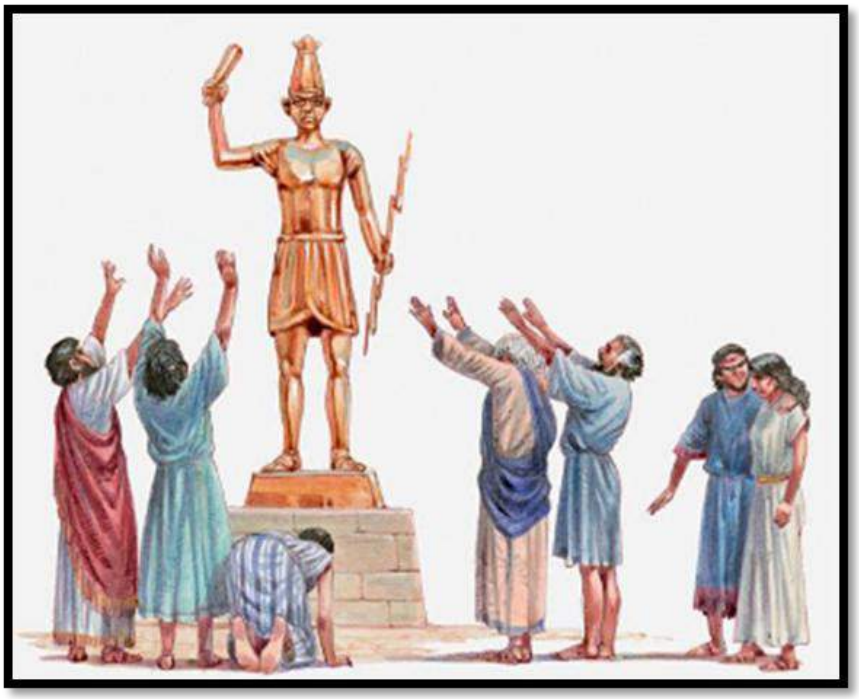

*****

يقال في التراث :

(من يصنع الأصنام لا يعبدها)

بمعنى أن من يدرك أنّ الأصنام صناعة بشرية يعي جيداً أنها لا تضر و لا تنفع ، لذا لا يقع في فخّ الإيمان بها ..

فهل هذه المقولة صحيحة على أرض الواقع ؟

في الحقيقة هذه المقولة ذات وجهين ، وجه منطقي بشكل مجرّد ، و وجه آخر غير صحيح البتّة على أرض الواقع و يجسّد إحدى أكبر و أشيع المغالطات بين البشر .. فالإنسان لا يصنع الأصنام كي يعبدها غيره كما تقول العبارة ، بل يصنع الأصنام بيديه لنفسه ، لأنه يحتاجها قبل أيّ شخص آخر ..

كيف يمكن لذلك أن يكون صحيحاً ؟ تعال عزيزي القارئ كي نفهم سوياً معنى هذا الكلام بعمق أكثر و تفصيل أكبر عبر تحليله من **4** زوايا بالغة الأهمية :

① **مفهوم الأصنام ..**

② **مطرقة نيتشة و تصنيف بيكون..**

③ **كيف تحطم أصنامك ؟ ..**

④ **أشهر الأصنام الفكرية ..**

فهيا بنا نحطم معاً أهم صنم في حياة البشر ألا و هو

صنم الفكرة ، الأب الشرعي لكل الأصنام المادية المحسوسة في كل مكان و زمان ..

أولاً ، مفهوم الأصنام :

إذن كما سبق و أوجزنا ، الأصنام بالأساس هي فكرة لا مادة ، ثم جسّدها الإنسان على شكل مادة كي تشترك كل حواسه بإدراكها فيصدقها أكثر و يشعر بأمان أكبر ..

و منذ بدأت الأصنام على زمن النبي **نوح** مروراً بأول صنم صنع في الجاهلية بيد **عمرو بن لُحَيّ الخزاعي** و كان **هبل** ثم تكاثرت هذه الأصنام إلى **اللات و العزّة و مناة الثالثة** و غيرها ، انتهاءً بأصنام العصر الحديث في غياهب أفريقيا .. كل تلك الأصنام لم تُعبد كمادة ، فالجميع يعي بشكل بديهي أنها حجر لا يفيد و لا يضر ، حتى أنّ أحد العرب في الجاهلية صمم لنفسه صنماً من تمر فلما جاع أكله ، بمعنى أنه يدرك جيداً ماهيتها .. لكن في الحقيقة البشر جسدوا فكرة وجود قوى غيبية (آلهة) تحكم العالم بتصميم مادي محسوس لا أكثر وعندما تعصّبوا بجاهلية له و قدسوه ، فهم بالأساس تعصبوا للفكرة التي يمثلها و التي يقدسونها ..

و هذا لا يختلف عن تعليق صورة لشخصية ما في غرفتك تدافع عنها بشراسة و لا تسمح لأحد بنقدها أو المساس بها، أو ارتداء قميص لنادي كرة القدم المفضل لديك و الدخول في عراك و مهاترات دفاعاً عنه .. باختصار

الصنم هو الانتماء الأعمى المتعصب لفكرة معينة يرمز إليها بشيء مادي ملموس و مرئي لا أكثر

أما درع الأصنام و حاميها عبر الأجيال فهو التواتر المقدس الخطير .. فكل جيل يقول لنفسه : **هذا ما وجدنا عليه آباءنا** .. و هكذا بحيث تستمر الفكرة و تتسع و تصبح أكثر صلابة و تتعشّق في عقول البشر بحيث تحتاج في النهاية إلى عملية جراحية كي يتم استئصالها ، كما فعل نبي الرحمة بأصنام قريش .. و هنا لم يحطم النبي الأصنام كمادة .. أبداً ، بل حطمها كأفكار مغلوطة في عقول البشر ، فالعرب في الجاهلية آمنوا بتعدد الآلهة في حكم الكون و محمد أثبت لهم بأنه إله وحيد لا إله غيره .. بمعنى أنه قدم معروفاً لهم بإيضاح الحقيقة المجردة لعقولهم عوضاً عن المضي أكثر في دروب الظلام الفكري و اتباع السراب و الأوهام .. و الأهم من ذلك كله ، أنه لم يمنع أي أحد من المحافظة على عقيدته بعبادة الأصنام و لم يحظر عليه وضع اصنام في منزله ، بل أتى القرآن ليقول :

(من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر)

و أيضاً :

(لا إكراه في الدين)

لكن محمّداً اعترض على وضع الأصنام في الكعبة كونها بيت الله ..



تماماً كما لو أن إفريقي جاء الآن إلى مسجد و أرغم المسلمين على وضع صنم فيه .. فالمسلمون لا يرغمونه على ترك عقيدته ، لكن لا يسمحون له بنفس الوقت أن يؤثر على عقيدتهم و يهين مقدساتهم ، فكل إنسان حر بقناعاته في منزله ، لا أن يفرض عقيدته في منازل الآخرين .. و أيضاً كما حدث عندما دخل المسلمون إلى فلسطين فأعطوا المسيحيين فيها الأمان و الحرية بعقيدتهم و كنائسهم و صلبانهم ، رغم أن المسلمين لا يؤمنون بصلب المسيح ، لكن لم يتدخلوا بحرية الآخرين بالإيمان أو تعليق الصلبان في منازلهم أو كنائسهم ، لكن بالطبع لا يجوز لمسيحي أن يفرض على المسلمين تعليق صليب في المسجد مثلاً !! و باختصار كل ما

سبق في عبارة واحدة معروفة و شهيرة :

(تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين)

فالكعبة كانت حرية الله و عندها انتهت حرية العرب الجاهليين عابدي الأصنام !!

و عوداً على بدء ، الأصنام هي أفكار بالأساس و على الإنسان تحطيمها في عقله أولاً قبل أن يحطم رمزها المادي ، لأنه ما إن يدرك الإنسان أن الفكرة التي يؤمن بها بشدة ، باطلة و وهمية سيقوم من تلقاء نفسه بإزالة الصنم المادي الذي يجسدها أو يحطمه إلى غير رجعة

ثانياً ، مطرقة نيتشة و تصنيف بيكون :

كي لا يتحول الفيلسوف الألماني **نيتشه** و أفكاره صنماً جديداً بحد ذاتها ، لا بد من الإشارة إلى الوجه المظلم لنيتشه ، و هو عدم الإيمان بأي شيء ، و تعميم صفة الباطل على كل المعتقدات و الجهل على كل البشر كما نستشفه من كثير من كتبه كحال كتاب (**هكذا تكلم زارادشت**) و كتاب (**أفول الأصنام**) حيث كرس فيها لفلسفة وحيدة و هي فلسفة القوة في عالم يجب ألا يسمح للضعفاء أو المختلفين بالوجود و الاستمرار ، و يحتقر المبادئ السامية و الأخلاق الرفيعة ، أما الجانب المضيء من نيتشه فهو كلامه المتسق مع ما سبق و ناقشناه حول الفكرة الصنم ، بحيث ابتدع مصطلحاً جديداً باسمه هو

(**مطرقة نيتشة**) التي تهدم الأصنام الفكرية قبل الأصنام المادية ، لأنها منبع الشر و الباطل





و كي لا يختلط وجها نيتشه معاً ، علينا أولاً أن نضع أي فكرة تحت مجهر البحث و التقصي بالمنطق و البراهين لنثبت هل هي صحيحة أم باطلة .. فإن كانت صحيحة فهي لوحدها ستدافع عن نفسها ، فلا شيء في الكون أقوى من الصواب المنطقي ، و إن كانت باطلة علينا تهشيمها بالمطرقة في عقولنا كما فعل نبي الرحمة بأصنام الكعبة .. قبل أن تتكاثر و تعشش في العقول بحيث يصبح نزعها من أقسى التجارب التي يعيشها الإنسان في حياته ..

و في الحقيقة قام فيلسوف آخر و هو الانجليزي **بيكون** بوضع تصنيف جميل و مميز للأصنام الفكرية بشكل عام فقسمها إلى **4** أصناف :

❁ **أصنام القبيلة**: وهي المفاهيم الخاطئة التي تنتج بسبب

الطبيعة البشرية، فالإنسان كالمرآة المعوجة التي تسبب انعكاسات مشوهة للأشياء وللموجودات التي تقع عليها.. و هذه التشوهات تصبح عرفاً في القبيلة التي تورثها لكل فرد جديد يأتي إليها بدون نقاش أو تفكير..

❁ **أصنام الكهف**: وهي مجموعة التصورات أو المعتقدات التي يؤمن بها الإنسان، دون امتلاك أي دليل على حقيقتها أو مصداقيتها، و يتحول عقل الإنسان بذلك إلى كهف من المعتقدات و القناعات الباطلة يأسره و يحتجز تفكيره و قراراته ..

❁ **أصنام السوق**: وهي المفاهيم الخاطئة المستمدة من التواصل مع البشر الآخرين، حيث تتسلل هذه المفاهيم إلى العقل بهدوء، ويتفاعل معها..

❁ **أصنام المسرح**: الانقياد الأعمى وراء المشاهير و الرموز في كل أفكارهم و أفعالهم و تصريحاتهم ، و لو كان قسم منها مغلوط بالكامل ..

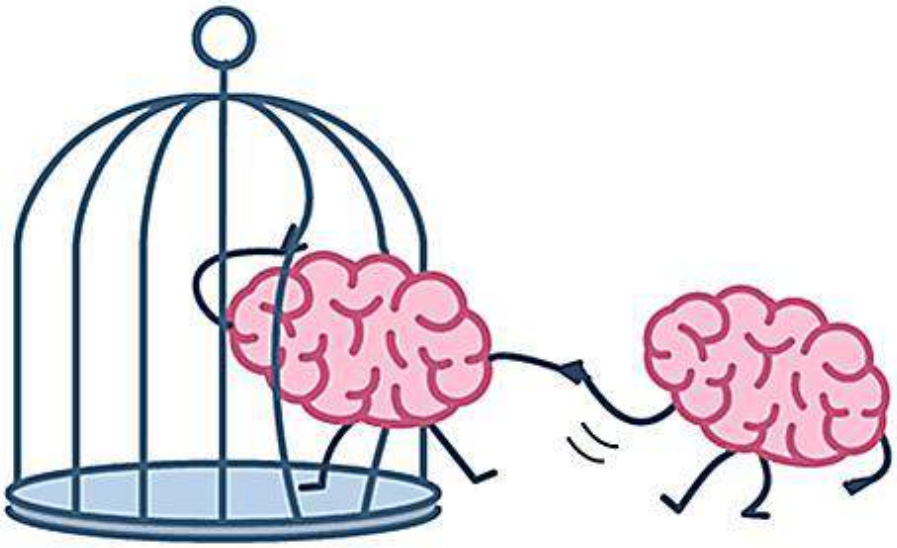

و علينا جميعاً أن نمسك **بمطرقة نيتشه** و نحطم بها هذا الرباعي الخطير كي تنتصر **فلسفة بيكون العلمية التجريبية التي تؤمن بالأدلة المنطقية فقط لا غير** ، عدا ذلك فهذا الرباعي سيعيدنا إلى جاهلية جديدة بدورنا ، و لنا في نبي الرحمة أسوة حسنة في مجابهة ذلك .. و هذا يقودنا إلى الشق الثالث من مغالطتنا ..

ثالثاً ، كيف تحطم أصنامك ؟

في الحقيقة هنالك بروتوكول فعال لتحطيم الأصنام الفكرية بل حتى وأدها في مهدها قبل أن تشيّد صروحها في عقولنا و تستعمرها ، و يقوم على **5** مبادئ هامة للغاية :

① البحث عن الحقيقة المجردة التي يبصم عليها العقل و المنطق

: ببساطة لا تقبل أي فكرة كانت و تتبناها إلا بعد أن تخضع لعملية فحص دقيق تحت مجهر المنطق الحيادي و بتجرّد بعيداً عن العاطفة أو المصلحة الشخصية أو القبلية ، فإن تبين لك أنها صحيحة اعتنقها ، وإن تبين لك أنها باطلة أرسلها إلى سلة المحذوفات ، و إن كانت مبهمة و غير مؤكدة تعامل معها على هذا الأساس ريثما يتم التأكد من صحتها .. بمعنى آخر لا تؤمن مباشرةً بأي فكرة تدخل دماغك من المحيط كمسلّمات ، بل تأكد بنفسك من صحتها ..

مثال : العمليات الحسابية صح مطلق ، ما لا تراه العين غير موجود خطأ مطلق ، وجود الفضائيين قد يكون صحيحاً أو لا ..

② **القراءة بكثرة** : لتحقيق البند السابق ليس هنالك أفضل من القراءة المكثفة و المطالعة لبناء أرضية معرفية تمكنك من دحض الأكاذيب أو تعلمك كيف و أين تبحث لتعريتها .. فالمعرفة قوة لا تضاهيها قوة ، و هي الضوء الذي ينير لك الطريق في الأنفاق المظلمة حتى تجد فوهة الخروج .. فالفكرة الخاطئة بحاجة لفكرة صحيحة تقف في وجهها كي تنهار ، أما إن وجدت نفسها بمفردها في الدماغ ستتكاثر و تتشعب و تستعمره و تستعبدك .. و القراءة هي مصدر الأفكار الجديدة المستمرة إلى دماغك للقيام بعملية تنظيف كالماء الجاري من كل ما هو خاطئ و يلوث المنطق ..

مثال : تناول السمك و اللبن يسبب التسمم فكرة سائدة في المجتمع و تدفع الناس إلى تجنب تناولهما معاً ، لكنّ أحدهم قرر التقصي علمياً عن حقيقة هذه الفكرة فقرأ مقالاً موثوقاً عنها ينفيها بالدليل و الإثبات ..

③ **نسبية الصواب و الخطأ** : كما أن هنالك أمور صحيحة بشكل مجرد ، فهنالك أمور صحيحة في مواضع معينة و خاطئة في مواضع آخر ، بحسب الزاوية التي تراها منها أو جملة المقارنة التي تستخدمها ، لذ حاول

ألا تقع في هذا الفخ ، بل أن تعتبرها صحيحة أو خاطئة بالنسبة للظروف الراهنة و ليس بشكل مطلق دائماً و أبداً

مثال : قتل النفس البشرية خطأ جسيم يتعدى فيه الإنسان على صفة يختص بها البارئ ، لكن قتلها في ظروف معينة كالموت الدماغي صواب و بتشريع من الله نفسه

④ **عدم التشبث بالرأي و الموروث** : أول خطوة لتحطيم الأصنام الفكرية أن تؤمن يقيناً أن **الأفكار التي تحملها في رأسك سواء بشكل موروث أو من البيئة أو من تجربتك الشخصية ليست كلاماً منزلاً و ليست أفكاراً مقدسة** ، بل تحتمل الصواب و الخطأ ، لذا اترك الباب مفتوحاً دوماً للأفكار الجديدة الأصحّ كي تدخل و تأخذ مكانها في دماغك في أي زمان و مكان ..

مثال : عندما أتى نبي الرحمة بالإسلام إلى قبيلته قريش ، تقبل البعض الدين الجديد برحابة صدر بعد رؤية المعجزات و البراهين ، أما البعض الآخر فتمسك بأفكاره الجاهلية و أوصد عليها الأقفال فحارب الإسلام و المسلمين بوحشية رغم أن الإسلام لم يحاربه شخصياً بالأساس بل طرح أفكاراً جديدة ليؤمن بها من يشاء..

⑤ **قبول الآخر و وجهات نظره** : الاقتناع التام بأنك تحتكر الحقيقة و أن الآخرين على خطأ ، أمر كارثي بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، لذا الأجدر بنا أن نترك قنوات اتصال و حوار و نقاش بناء بيننا و بين الآخرين كي

نتبادل وجهات النظر ، فقد يقنع كل منا الآخر و بالبراهين أن بعض أفكاره خاطئة فيقدم له خدمة العمر بإيضاح الحقيقة أمامه كي لا يتابع حياته يسير في الظلام و يلاحق سراباً لا وجود له ..

مثال : يميل الإنسان المتطرف و المتعصب دينياً أياً كان دينه إلى الإيمان التام بأنه يحتكر الدين الحقيقي و أن بقية البشر كفار، لذا يرفض الحوار معهم أو النقاش حول بعض أفكاره المتطرفة ، بمعنى أن الاصنام الفكرية في رأسه لن تتغير بل ستتكاثر في دماغه كالسرطان حتى تدفعه بالنهاية إلى الاقتناع بوجوب قتل جميع البشر المختلفين دينياً عنه ليتحول دون أن يشعر إلى مجرم يخالف جوهر الدين نفسه الذي يظن نفسه يدافع عنه ..

و شخصياً أرى الإسلام الحقيقي من أجمل الأديان على الكوكب ، فهو يحطم الأصنام الفكرية كلها باتباع البروتوكول السابق حرفياً ، فنجد مثلاً :

- الدعوة إلى التحقق من الصواب قبل تبنيه ، كما في الآية الكريمة التالية :

(إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا)

- الدعوة إلى القراءة المكثفة ، فكانت أول كلمة في تاريخ الإسلام هي (**اقرأ**) ..

● الدعوة إلى عدم الانقياد الأعمى خلف السائد و الموروث بدون تقصي و بحث تحت مجهر العلم ، فنجد الإسلام يذم فلسفة (**هذا ما وجدنا عليه آباءنا**) ، و يقدس العلم و العلماء (**العلماء ورثة الأنبياء**)..

● الدعوة إلى قبول الآخر و الحوار معه و الالتقاء في المنتصف .. كالآية الكريمة التالية :

(**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا و بينكم**)

و من يطبق كل هذا الكلام لن يبني في دماغه أصناماً فكرية تعيده إلى الجاهلية من جديد .. فنبي الرحمة حطّم الأصنام الفكرية قبل الأصنام المادية و منح كل مسلم مطرقة العلم كي يحطم أصنامه الخاصة من بعده ..

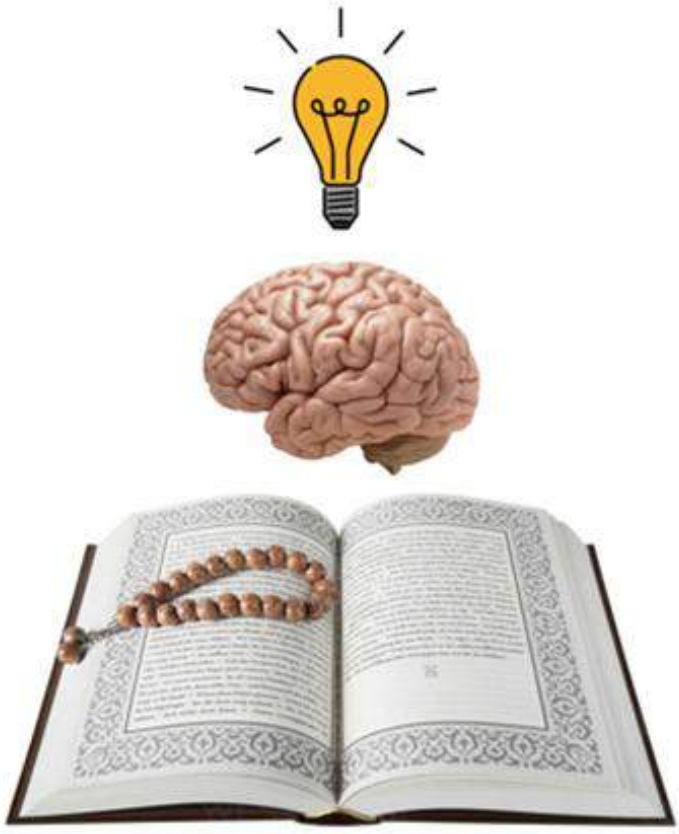

رابعاً ، أشهر الأصنام الفكرية :

الأصنام الفكرية كثيرة للغاية و تتغلغل في تفاصيل حياتنا اليومية و تتحكم بمصائرنا .. منها المحدود الذي يؤثر على حياة الفرد و منها الخطير للغاية الذي يهدد البشرية جمعاء ، و لعل أبرز الأصنام الفكرية الخطيرة هو :

❁ **الصنم من حجارة** : فكما سبق و ناقشنا في هذه المغالطة ، الأصنام ليست مادة محسوسة ، بل هي أفكار بالأساس و تم تجسيدها على شكل مادة كي يتواصل البشر معها حسياً فيصدقوها أكثر ، و معركتنا هي مع الأفكار و ليست مع الحجارة .. و هي معركة أعقد و اصعب فالمادة تحطم بمطرقة أما الأفكار فبحاجة لعملية شاقة من التقصي و البحث العلمي ..

❁ **المرأة عورة ناقصة عقل و دين** : بحيث تعامل كإنسان درجة ثانية ، فتحرم من حقوقها الأساسية و يحرم المجتمع من إمكانياتها و حكمتها و تحول مكانتها المرموقة كأم تهب البشرية الحياة إلى جارية بقصد المتعة في الدنيا و الآخرة ..

❁ **طبقات المجتمع** : من أشيع الأصنام الفكرية حول العالم أن أصابع يدك ليست كبعضها أو أن الناس مقامات مما يخلق طبقية في المجتمع تخالف الحق الإنساني بالمساواة بين الجميع على مبدأ الأخلاق و فقط كما قال نبي الرحمة : (**لا فضل لعربي على أعجمي و لا للون**

بشرة على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح) .. فالناس سواسية كاسنان المشط ..



❁ **الدين عبادة لا أخلاق و معاملة** : يحاول البعض في جميع الأديان السماوية و الأرضية أن يروج للدين كطقوس و عبادات و لو اقترن ذلك بتفريغ الدين من مضمونه الأسمى و هو الأخلاق القويمة و المعاملة الطيبة مع الآخرين ، فالدين بالأساس ألا تغش و ألا تسرق و ألا تعتدي لفظياً أو جسدياً و أن تمد يد المساعدة للآخرين و تنشر السلام حيثما وطأت قدماك ، و ليس الدين عبادات مكثفة و طقوس مفرغة من جوهرها لا تقدم للحياة سوى الرياء و المزاودة ..

❁ **العلم يكفي و لا حاجة للروحانيات** : فعلى المقلب الآخر ، اقتناع البعض أن الأديان و الروحانيات عبارة عن خرافات و أنّ قمة الذكاء و المنطق هو الإلحاد ،هو صنم فكري بحد ذاته ، فالدين هو الذي يمنح العلم غاية نبيلة سامية بوجود خالق للأكوان و وجود حياة أبدية بعد الموت .. عدا ذلك سيتحول الإنسان إلى جسد مادي يأكل و يشرب و يتكاثر بلا مبادئ و لا أخلاق فتنهار المجتمعات و تفنى البشرية .. فالدين و العلم توأم سيامي

ملتصق بلا انفصام ، كما وصف العالم **ألبرت أينشتاين** ذلك بإيجاز و إبداع :

(الدين بدون علم أعمى و العلم بدون دين أعرج) ..

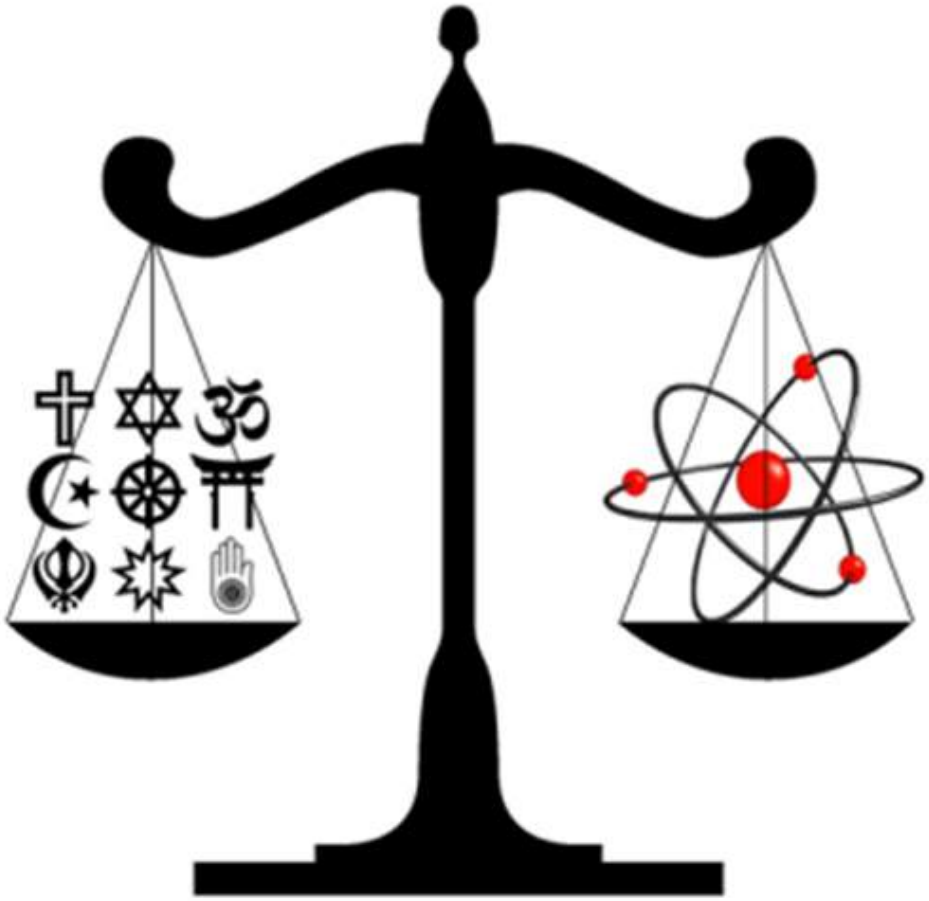

❁ **القوي يفرض كلمته و منطقه** : البقاء للأقوى هو من أخطر الأصنام الفكرية .. إذ يحول البشر إلى حيوانات تحكمها شريعة الغاب .. و الصواب الذي يجب أن يسود هو البقاء للأصلح الذي يفيد البشرية و يعمل على تقدمها و ازدهارها بالعلم و الأخلاق ، كما فعل الفيزيائي المبدع **ستيفن هوكينغ** مثلاً و هو ضعيف جسدياً للغاية بشلل تام ، أو ما فعلته الأديبة الكبيرة **هيلين كيلر** و هي عمياء و صماء و بكماء ، فإن طبقنا صنم البقاء للأقوى عليهما

سيتم إعدامهما لأنهما عبء جسدي على البشرية ، لكن إن طبقنا صنم العلم و الاخلاق فيجب على البشرية أن تقدسهما لكفاحهما المهول و ترك بصمات إيجابية لهما في الحياة رغم وضعهما الصحي العسير للغاية ، فما فعلاه يعجز أقوى الأصحاء عن فعله ..

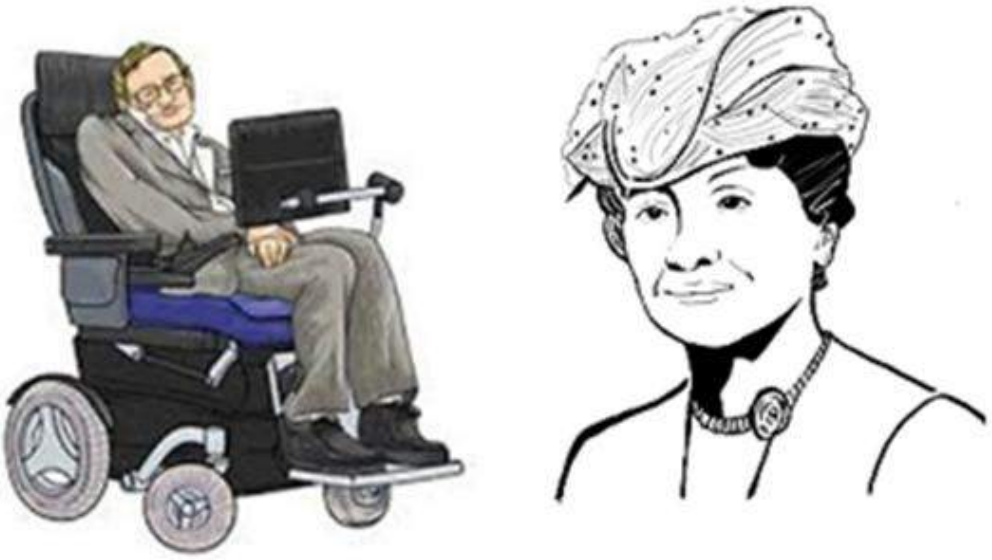

❁ **الشيوع يمنح الشرعية** : و هذا من أشهر و أخطر الأصنام الفكرية ، عندما تؤمن يقيناً بأن انتشار فكرة على نطاق واسع يؤكد صحتها ، فمثلاً آمنت جميع شعوب الأرض في فترة من التاريخ بوجود آلهة متعددة تحكم الكون ، ليتبين لاحقاً أنهم كانوا جميعاً على خطأ ، و هذا خير مثال واضح و بسيط يؤكد أن الشيوع لا يفرض المصداقية ..

❁ **الشرف و الجنس وجهان لعملة واحدة** : فربط الشرف بالجنس أمر خطير للغاية ، لأنّ الشرف ليس مفهوماً قزماً لهذه الدرجة ، بل هو كائن عملاق من

الأخلاق الرفيعة ، فالشرف ألا تغش و ألا تفسد في الأرض و ألا تقتل الآخرين .. و غيرها من المبادئ الأخلاقية السامية التي تنهض بالفرد و المجتمع معاً ..

❁ **المشهور معصوم** : أن تكون شخصاً مشهوراً فذلك يمنحك الحصانة و العصمة ، فيمكنك قول ما تريد و فعل ما تشاء ، لأن الشهرة تعني الصواب دائماً من منظور البعض الضيق ، و هذا الصنم الفكري الشائع خطير للغاية لا سيما في زمننا الراهن مع انتشار مواقع التواصل الاجتماعي و سهولة تحقيق الشهرة ، فيمكن مثلاً ليوتيوبر مشهور أن يستغل العدد المهول لمتابعيه كي يمرر أجندات ذات أهداف خبيثة يغسل بها عقول متابعيه بغياب الرقابة الشخصية أو العائلية أو الجماعية

❁ **الإكراه على الدين** : فاقتناع البعض أن السماء منحتهم شرعية فرض الدين على الآخرين بل خولتهم محاسبتهم و معاقبتهم هو افتراء على السماء و رمي لتعاليمها الواضحة و الصريحة عرض الحائط من حيث حرية المعتقد و القناعة طالما أنها تحقق الثنائي الذهبي ، (**لا تؤذي الغير ، و لا تفرض نفسها على الغير**) ..

❁ **التواتر كلام منزل** : و قد سبق و ناقشنا هذا الصنم الفكري الخطير في مغالطة مستقلة ، فالإيمان التام أن ما ورثناه من أفكار عن الأجداد هو صواب مطلق أمر خطير للغاية يجعل الجماعة برمتها محتجزة داخل قفص الأجداد دون أن تدرك ذلك ، و جميعنا يعلم تبعات ذلك على الفرد

و الجماعة و المجتمع و البشرية جمعاء ..



*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الأصنام الفكرية**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الأصنام حجارة لا تفيد و لا تضر و علينا تحطيمها.

بل أن نقول :

= الأصنام ليست مادة محسوسة ، بل أفكار مغلوطة أتتنا من **الأجداد** بالتواتر و من **البيئة** بالمحاكاة و التقليد الأعمى و من **أعماقنا** بقصور معرفتنا و من **الآخرين**

بالترويج للأفكار الظلامية الخاطئة بنوايا خبيثة ، و تحطيم كل هذه الأصنام الفكرية يتم بوضعها تحت مجهر العلم و المنطق بحيادية و تجرد و الالتزام بما تقوله الأدلة و البراهين بدون كبرياء أو عصبية جاهلية

بالعودة إلى مقدمة مغالطتنا ، فإن الفكرة المضادة للفكرة الصنم لا تعني الصواب بالضرورة ، بل ربما كانت صنماً جديداً بحد ذاتها كما ظنّ صديقنا الملحد بأنه تحرر من أصنامه بإلحاده أو كما روّج بعض الفلاسفة كنيتشه مثلاً ، بل ربما كانت الحقيقة تقف في المنتصف تماماً بين الفكرتين ، فالدين الذي يتم تطبيقه بشكل خاطئ هو صنم فكري ، و الإلحاد التام في مواجهته صنم آخر ، أما الفهم الصحيح للدين و تطبيقه بشكل سليم فهو **المطرقة التي تحطم الصنمين معاً** بمنتهى البساطة ..



مغالطة قارّة الأحلام

الذهبية

(قناع ماسكيباثا)

= كيف قضيت أمسيتك بالأمس يا صديقي ؟

= بأجمل صورة ممكنة ..

= و كيف ذلك ؟

= هل تتذكر مسلسل الرسوم المتحركة الذي عرض عندما كنا أطفالاً بعنوان (**الأحلام الذهبية**) ..



= بالطبع ، كان يتحدث عن يافع اسمه **استيبان** و **مدن الذهب المفقودة** في أمريكا الجنوبية على ما أذكر ..

= تماماً استيبان و زيا و تاو .. لقد كان مفعماً بالإثارة و التشويق و الغموض ..

= بالفعل .. و ما حاله ؟

= لقد انتهى المسلسل حينها بنهاية مفتوحة لم تحسم كثيراً من الأمور العالقة إن كنت تذكر ..



= أذكر بالفعل ..

= و بالأمس اكتشفت بينما كنت أقلب فيديوهات اليوتيوب أنه تم إنتاج ثلاثة أجزاء جديدة منه ..

= ياه !! بعد أكثر من **3** عقود ؟!

= بالفعل ..

= و ما سرّ هذا التأجيل الغامض ؟

= لا أعلم .. و لا يهمني .. ما يهم بالفعل أنني قضيت

سهرتي كلها أشاهد تلك الأجزاء بسعادة و حماسة أعادت لي شيئاً من روائح الطفولة العبقة ..

= و هل هذه الأجزاء بجودة الجزء الأول ؟

= بلا شك ، لكن كل جزء منها يدور في قارة أخرى تضم مدينة ذهب جديدة ، لذا يبقى الجزء الأول هو الأجمل ، كونه يدور في قارة أمريكا الجنوبية ، فهذه القارة لها سحرها الخاص و هي بالأساس التي ربطت بقصة مدن الذهب ..

= محق .. يراودني نفس الشعور حيال هذه القارة ، إنها قارة غامضة و حالمة و تكتنفها الأسرار من كل الجهات .. و سأقوم بمشاهدة الأجزاء الجديدة من مسلسل الأحلام الذهبية بدوري هذا المساء بلا ريب..



= أما أنا فقد أثار حوارنا هذا فضولي لمعرفة قارة أمريكا اللاتينية أكثر ، لذا سأقضي المساء سائحاً بين صفحات

الكتب و الإنترنت لجمع أكبر قدر من الحقائق و المعلومات الغامضة عنها ..

*****

ربما يعتقد البعض أن قارات العالم متشابهة ، و أن قارة أمريكا اللاتينية ليست سوى إحدى هذه القارات ، لكن في الحقيقة هذا الافتراض ينطوي على مغالطة حقيقية .. فهذه القارة لا مثيل لها .. قارة مجبولة من السحر و الغموض .. المكان الذي تلتقي فيه الأرض مع السماء فتتغلغل فيها الروحانيات رغم أنها لم تشهد أي نبي أو رسول من قبل .. و حتى **في ذروة وثنيتها عبدت السماء** و قدمت لها قافلة من القرابين لترضى، نبغ سكانها الأصليون في العلوم و هم معزولون حرفياً عن البشرية و لم يحتكوا بأي حضارة أخرى ، و كأنّ **الإبداع معجون بجيناتهم** .. و قدسوا الذهب بالفطرة رغم أنه لم يكن نادراً عندهم و لم يفدهم حتى بالتجارة أو تكوين الثروات .. بل استشعروا سحره الخاص الذي يشعّ غموضاً و جاذبية .. حتى شاع عنهم أنهم أسسوا مدناً كاملة من هذا المعدن الغريب .. و إن كان كل ذلك لم يقنعك عزيزي القارئ بأنها قارة مختلفة عن البقية ، تعال لأقص عليك أكثر قصة أمريكا اللاتينية ، القارة الحالمة المذهلة بأسرارها الدفينة المدهشة التي تفجر العقل حيرةً و خيالاً .. و سأروي حكايتها هذه عبر **4** محاور شيقة :

1. نبذة عن تاريخ أمريكا اللاتينية ..
2. أكثر الأمور غموضاً في أمريكا اللاتينية ..
3. مكانة الشمس عند الهنود الحمر ..
4. أشهر المعالم السياحية في أمريكا اللاتينية ..



فهيا بنا عزيزي القارئ نمخر عباب المحيط كي نعيد اكتشاف هذه القارة الساحرة من جديد سوياً ..

أولاً ، نبذة عن تاريخ أمريكا اللاتينية :

يمكن تلخيص تاريخ هذه القارة الحالمة عبر عدة نقاط :

- السكان الأصليون وصلوا الى الأمريكيتين من آسيا

عبر مضيق بهيرينغ و يقول البعض عبروا المحيط الهادي بقوارب من الأشجار و الجلد .. و أصل هؤلاء السكان من منطقة **جبال الألتاي** (التي تشكل نقطة التقاء الحدود المغولية و الصينية و الكازاخستانية و الروسية اليوم) و هاجروا إليها قبل **15-30** ألف عام ..



❁ أقدم و أعرق حضارة فيها : **نورتي شيكو** في البيرو **3500** قبل الميلاد ..

❁ حضارات لاحقة : **ناسكا & انكا & الأزتيك & المايا & الأولمك** .. و برعوا بالزراعة و علم الحساب و الفلك و البناء خاصة الأهرامات الفريدة ..

❁ اكتشفها الأوروبيون أول مرة بقيادة **كريستوفر كولمبوس** عام **1492** ،أثناء رحلته البحرية نحو الهند للتجارة بالتوابل ، و ظن أنها الهند لذا أطلق على السكان الأصليين فيها الهنود الحمر ، أما من اكتشف أنها عالم جديد فهو **أميريكو فسبوتشي** بعد كولومبوس بسنوات و

تم تسمية الأمريكيتين على اسمه .. و تقول بعض الدراسات أن الفايكينغ سبقوا كولمبوس إلى اكتشاف أمريكا الشمالية و الفينيقيون سبقوه إلى اكتشاف أمريكا الجنوبية تبعاً لبعض الآثار المكتشفة هناك ..



❁ أصل التسمية : معنى اسم القارة أمريكا اللاتينية الجنوبية :

= **أمريكا** : نسبة إلى أميريكو فسبوتشي ..

= **اللاتينية** : صيغ هذا الاسم في فرنسا تحت قيادة نابليون الثالث، ولعب دوراً هاماً في حملته، إذ لمّح إلى القرابة الثقافية بين هذه القارة و فرنسا اللاتينية ، لتحويل فرنسا إلى زعيم ثقافي وسياسي في تلك المنطقة، فتم تثبيت ماكسيميليان من قبل فرنسا كإمبراطور للمكسيك ..

= **الجنوبية** : لأنها تقع في نصف الكرة الجنوبي إلى الجنوب من أمريكا الشمالية ..

❁ وصل إليها الأوروبيون في القرن **16** ،أولاً الاسبان بقيادة **فرانشيسكو بيزارو و إنان كورتيز** حيث دارت معركة **كاخا ماركا** و أدت إلى سقوط مملكة الانكا ، ثم تبعهم البرتغاليون ..

❁ استعبد الإسبان و البرتغاليون السكان الأصليين ، و قتل أغلبهم في الحروب و التمرد و الأوبئة كالجدري و الحصبة و الطاعون التي انتقلت إليهم من أوروبا ..

❁ قام الأوروبيون بنقل العبيد من إفريقيا للعمل فيها خاصة في المناطق التي لا يتواجد فيها سكان أصليون

❁ **المستيزو** : هو جيل نشأ من تزاوج الأوروبيين مع الهنود الحمر ..

❁ عندما غزا نابليون الفرنسي إسبانيا في القرن **19** استغل إسبان أمريكا الجنوبية الفرصة و أعلنوا الاستقلال عن إسبانيا بقيادة الفنزويلي **سيمون بوليفار** & الأرجنتيني **خوسيه دي سان مارتن** ..



فأسس بوليفار أول دولة مستقلة عن التاج الاسباني باسم (**كولومبيا الكبرى**) التي ضمت دول شمال أمريكا الجنوبية ثم تفككت الى الدول المعروفة حالياً

في حين أسس خوسيه اتحاد (**ريو دي لابلاتا**) و ضم دول غرب أمريكا الجنوبية و تفكك لاحقا ايضاً ..

ثم تلا ذلك استقلال البرازيل عن البرتغال ..

- آخر دولها استقلالا في القرن **20** هي دول شمال القارة (**غيانا** عن بريطانيا & **سورينام** عن هولندا في حين لا تزال **غيانا الفرنسية** تابعة لفرنسا إلى اليوم)
- من أشهر شخصياتها في العصر الحديث : خوزيه موخيكا و تشي غيفارا و غابرييل غارسيا ماركيز و بابلو نيرودا و خوخيه بورخيس و فريدا كالو و بيليه و مارادونا و ميسي .. و القائمة تطول ، فما ذكر على سبيل المثال لا الحصر بالطبع ..
- رموز خاصة بالقارة : مشروب المتة & رقص السامبا & حيوان اللاما ..





ثانياً ، أكثر الأمور غموضاً في أمريكا اللاتينية:

في هذه القارة كوكبة من الاكتشافات الغامضة التي تتوزع على مختلف دولها و بعضها يمثل لغزاً حقيقياً عصياً على التفسير حتى يومنا هذا ، و نذكر من هذه الاسرار أشهرها..

① مدن الذهب الغامضة :

واحدة من أكثر الأساطير شهرة و غموضاً حول العالم و التي قتل في سبيل استكشافها المئات من المغامرين و الحالمين بالثراء .. و في الحقيقة أثبتت الدراسات و المخطوطات الأثرية ، أن وجود مدن كاملة من الذهب غير مرجّح ، لكن الأكيد هو وجود مدينة في أمريكا الجنوبية كان يقطنها الهنود الحمر منذ قرون بعيدة ، و كان يدعى زعيمها (**إلدورادو**) أي (**الشخص المطلي بالذهب**) حيث كان يطلي جسده يومياً بالذهب ليغتسل لاحقاً في مياه بحيرة مقدسة في المدينة .. و اليوم حرّف اسم إلدورادو إلى مدينة الذهب .. و أظهرت الاكتشافات أن الزعيم كان خلال الاحتفالات الدينية يحيط نفسه بأربعة من كبار الكهنة يزينهم الريش والتيجان الذهبية إلى جانب زينة جسدية، وكان عارياً إلا من غبار الذهب، ثم يُقدم قرباناً من القطع الذهبية والزمرد والقطع النفيسة الأخرى للآلهة من خلال القاءها في البحيرة المقدسة.. و كانت شواطئ البحيرة المستديرة تمتلئ بالجمهور المتفرج الذي كان يحرص على وضع الزينات وعزف الموسيقى

.. و هذا يؤكد أن قاع تلك البحيرة يحوي كنزاً حقيقياً من الذهب و المجوهرات لا يقدر بثمن ، مما يعني بأن مدن الذهب ليست خرافة بل أسطورة لها ما يدعمها على أرض الواقع ..!! و لا نزال نرى آثاراً من تلك الاحتفالات في كرنفالات البرازيل لاسيما في ريو دي جانيرو حيث يتزين السكان و يرقصون و يهتفون للسماء مع استبدال الإلدورادو الذهبي بالمسيح الفادي مع انتقال شعوب القارة من الوثنية إلى المسيحية ..

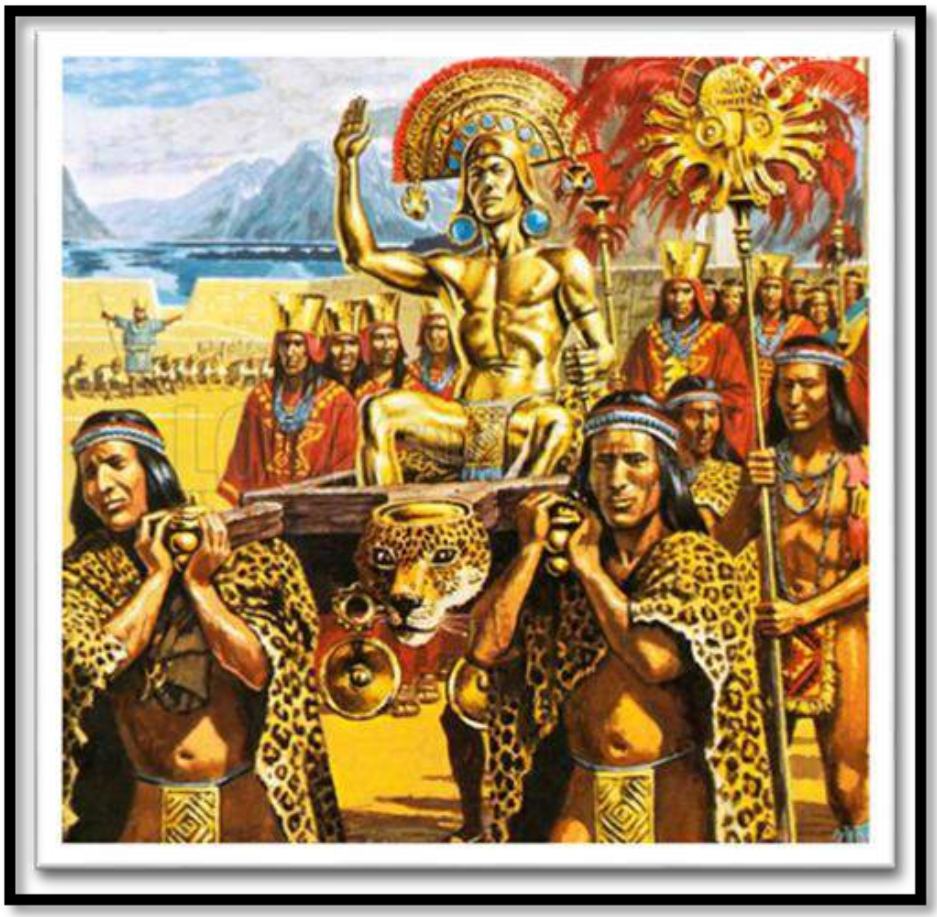

② أهرامات الشمس :

قد يظن البعض أن الأهرامات حكر على الحضارة الفرعونية ، لكن في الحقيقة الأهرامات منتشرة في كل

قارات العالم ، إذ عثر على أهرامات في السودان الذي يحوي أكبر عدد من الأهرامات في العالم و روما و جزر الكناري و إندونيسيا و الصين و اليابان و القارة القطبية الجنوبية **و** البوسنة و غيرها ، لكن تبقى الأهرامات الأكثر شهرة بعيداً عن أهرامات مصر هي أهرامات الهنود الحمر في أمريكا الجنوبية خاصة عند حضارات المايا و الإنكا و الأزتيك .. و التي شيدت على نحوٍ غريب بطريقة مشابهة لأهرامات مصر رغم عدم وجود أي احتكاك ممكن بين الحضارتين ، فهل هذا مجرد تخاطر ذهني أو تشابه في الخيال ، أم أن هنالك جهات غامضة أخرى ساعدت الحضارتين على تشييد هذه الأهرامات كالفضائيين بحسب زعم البعض ؟!!



و الغاية من تشييد أهرامات الهنود هي أن تكون مسكناً للآلهة و مكاناً لإجراء طقوس الأضاحي و القرابين البشرية في سبيل تلك الآلهة .. و غرف الأهرامات تعج بالرسومات الغريبة بعضها مفسر و يوضح تلك الطقوس و بعضها الآخر لا يزال لغزاً حتى اليوم .. و يعتبر أشهر تلك الأهرامات هو **هرم الشمس** في المكسيك و **هرم معبد ساسكوامان** في البيرو .. و يعتقد البعض أن مدن الذهب المخفية عبارة عن اهرامات مصنوعة برمتها من الذهب.

③ خطوط نازكا :

سلسلة من النقوش في أرض الصحراء الحصوية أو ما يعرف باسم (جيوغليف) تقع في صحراء نازكا في جنوب **البيرو**، اكتشفت صدفة عام **1926** من أعلى تل ، ليتم دراستها لاحقاً عبر طائرة من السماء لتظهر الحقيقة العجيبة الصادمة ، عدد هائل من الرسوم تمتد لأكثر من **80** كيلومتر بين بلدتي **نازكا** و **بالبا**.. وتمثل أشكالاً هندسية و بشرية و حيوانية وأكبرها يمتد لمسافة **200** متر، ويعتقد العلماء أنها نحتت لأغراض دينية. وبسبب المناخ الجاف، لم تختف تلك النقوشات عبر الزمن ، و يعتقد أنها تعود لحضارة نازكا التي ازدهرت بين عامي **400** و **650** ميلادي .. و لا تزال الآلية التي رسمت بها بدقة على هذه المساحات الشاسعة أحد أكبر الألغاز البشرية إذ أنّ هذا الرسم الدقيق يتطلب رؤية واسعة من

السماء لم تكن متوفرة بالطبع في تلك الفترة التاريخية ، فهل للفضائيين دور في رسمها مجدداً ؟!! ، كما أن الغاية الدقيقة منها بالأساس لا تزال مجهولة بدورها ..



④ جزيرة القيامة :

أو تعرف أيضاً باسم جزيرة الفصح تقبع جنوب شرق المحيط الهادئ بعيداً عن شواطئ دولة تشيلي التي تتبع لها بحوال **3700** كم ، و تعج بمئات التماثيل لرؤوس عملاقة ، حوالي **1000** تمثال ضخم تسمى **مواي**، و التي أنشأها شعب **رابا نوي** الأوائل الذين زفوا إلى هذه الأرض العذراء منذ مئات السنين حوالي عام **800** م ثم توسعوا فيها ليبلغ تعدادهم حالياً **7750** شخص.. أما سبب تسميتها جزيرة الفصح أو جزيرة القيامة فيعود

لأول زائر أوروبي للجزيرة، وهو المستكشف الهولندي **جاكوب روجيفين** ، الذي صادف وصوله إليها يوم الأحد عيد الفصح أو القيامة عام **1722** م .. و لا تزال هذه الرؤوس لغزاً عصياً على التفسير سواء من حيث سبب نحتها أو طريقة فعل ذلك فهي ضخمة بالفعل و لا يمكن للأدوات و المعدات المتوفرة في تلك الآونة أن تنجز مثل هذا العمل الفني الضخم و المتقن !!



⑤ مدينة ماتشو بيتشو :

أو تعرف أيضاً باسم **قمة الجبل القديم** أو **القلعة الضائعة** و بنيت من قبل شعب الإنكا في القرن **15** ميلادي،

اكتشفت عام **1911** ثم صنّفت بعدها من عجائب الدنيا السبع الجديدة بسبب بنائها الهندسي المذهل الذي لا ينسجم أبداً مع الأدوات و الإمكانيات التي كانت متوفرة في تلك الحقبة من التاريخ ، وتقع في منطقة **كوزكو** في دولة البيرو ، حيث يحيط بها جبلان من سلسلة جبال الأنديز، وترتفع لأكثر من **2000** متر فوق سطح البحر .. و تعتبر أهم ثلاث مناطق فيها هي **جبل هوبانا المقدس** و **معبد الشمس** و **معبد القمر** .. و كان يتم فيها تقديم القرابين البشرية للسماء خاصة من الإناث ..



⑥ اكتشافات صادمة :

في أرجاء هذه القارة الغامضة تم العثور على اكتشافات غامضة حيرت العلماء و أثارت عاصفة من الأسئلة بلا أجوبة ، نذكر منها :

❁ **هيكل أتاكاما** : هيكل عظمي طوله **15** سم فقط ، عثر عليه في حافظة جلدية في **صحراء أتاكاما** في تشيلي .. أثار زوبعة من التصريحات و الأسئلة و الافتراضات و اعتبره كثيرون كائناً فضائياً ، و يقول العلماء أن تحليله الجيني يرجح أنه بشري لكن مصاب بعدد كبير من الطفرات الجينية معاً ، في حين يعتقد البعض أنه فضائي بالفعل و تم تزييف حقيقته كالعادة !!



❁ **تحف كويمبانا** : تصاميم صغيرة لطائرات عثر عليها في دولة **كولومبيا** ، و أثبت التحليل أنها تعود لقرون بعيدة عندما كانت الطائرات غير موجودة ، مما طرح فرضية الفضائيين مجدداً ، إذ كيف لحضارة معزولة كالهنود الحمر أن يبتكروا تصاميم لطائرات بالأساس ؟! كما ربطت هذه الهياكل بخطوط نازكا ، فهل نجح الهنود

الحمر بالطيران بالفعل ؟!



۞ **هياكل باراكاس** : هياكل عظمية شبيهة بالكائنات الفضائية بجماجمها المتطاولة ، عثر عليها في دولة **البيرو** ، كما عثر أيضاً في **الأوروغوي** و **الباراغوي** بحسب زعم البعض على مومياوات ذات ثلاثة أصابع فقط و مغطاة بمسحوق أبيض بالكامل .. و الأكثر غرابة أن البرلمان **المكسيكي** عرض عام **2023** و بشكل رسمي مومياوات قال بأنها لكائنات فضائية !!



❁ **بوابة الشمس** : بوابة حجرية صنعتها حضارة **تايوانكا** في **بوليفيا** قبل حوالي **1500** سنة.. قرب **بحيرة تيتي كاكا** على أرتفاع حوالي **4000** متر فوق سطح البحر بشكل موازي للعاصمة البوليفية **لاباز** ، طولها **3** متر و عرضها **4** متر ويقدر وزنها بعشرة أطنان كقطعه حجرية متصلة .. و عليها مجموعة رموز يصل عددها إلى **48** رمزاً بالإضافة إلى رمز واحد مركزي.. تمثل **32** من هذه الرموز وجوهاً بشرية أما **16** رمزاً المتبقية فتمثل رؤوس طائر الكندور، وجميع هذه الوجوه تنظر للرمز المركزي الذي يعتبر بمثابة رمز مقدس يخرج من حوله **24** شعاع قد تمثل أشعة الشمس، يعتقد بعض المؤرخين وعلماء الآثار أن الرمز المحوري يمثل **إله الشمس**.. و قد ربط البعض رموز بوابة الشمس بمدن الذهب الغامضة المخفية و ربطها آخرون بخطوط نازكا في البيرو ..



❁ **صفارات الموت** : عثر علماء الآثار أثناء التنقيب في أواخر تسعينيات القرن الماضي، على رفات شاب يبلغ من العمر **20** عاماً مقطوع الرأس، ويجلس في وضعية القرفصاء عند قاعدة الدرج الرئيسي لمعبدٍ دائري يخصّ **الإله إيكاتل**، إله الريح عند شعب الآزتيك.. و الهيكلٍ العظمي يعود لأحد قرابين ممارسات التضحية البشرية، و كانت بيده صفارات صغيرة مزيّنة بوجهٍ غريب قال البعض أنه وجه فضائي و البعض الآخر قال أنه لجماجم بشرية ..



لكنّ علماء الآثار أثبتوا لاحقاً أن صورة الوجه تُمثل **الإله كولمزتلي** ، إله العالم السفلي عند الآزتيك .. و على نحو يفسر كل ذلك اكتشف العلماء في إحدى صفحات **مخطوطة كوديكس بورجيا** العائدة لتراث حضارة الإزتيك رسماً للإلهين **إيكاتل** و **أكولمزتلي** يقفان و ظهراهما لبعض، بحيث يحرسان مدخل العالم السفلي

بحيث يُمثّلان ثنائية الموت والحياة معاً .. مما يفسر العثور على الصفارات قرب ذلك المعبد .. و لا تزال وظيفة هذه الصفارات المرعبة مجهولة حتى اليوم ..!!

❁ **تماثيل أكامبارو** : **33** ألف تمثال اكتشفت عام **1944** من قبل **فالديمار** في بلدة **أكامبارو** المكسيكية الصغيرة قرب العاصمة مكسيكو سيتي، و التي تجسد بشراً يروضون ديناصورات مع مجسمات لسفن فضائية ، ظن البعض أولاً أنها دفنت حديثاً في المنطقة ، لكن العلم أثبت أنها تعود لقرون خلت قبل اكتشاف الديناصورات أو وضع فرضية وجود فضائيين ... مما يطرح العديد من الأسئلة العجيبة عن هوية مصممها !!



❁ **فالي دو جافاري** : وادٍ اكتشف في ولاية **أمازوناس**

في **البرازيل** و هي مناطق من غابات الأمازون لم يزرها بشري من قبل و تحوي سكاناً أصليين لم يحتكوا بالحضارة البشرية الحديثة بعد .. و يعتبر هذا الوادي أحد أكبر ألغاز العالم ..

❁ **آثار سومرية قديمة في بوليفيا :** عُثر ضمن آثار موقع تيوانكو الأثري في بوليفيا على أوانٍ أثرية سومرية من **العراق**، تعود إلى العام **3500** قبل الميلاد، مما يوضح لنا وجود علاقات بين العالمين القديم و الجديد بشكل أبكر بكثير ممّا نتخيّل!!



ثالثاً ، مكانة الشمس عند الهنود الحمر :

كان للشمس دور محوري في تاريخ هذه القارة الغامضة ، فقد آمن الهنود الحمر قديماً أن **إله الشمس** (**آه كين**) هو من خلق الكون و هو في عقيدتهم الإله الشاب الذي يتقدم لخطبة **إلهة القمر أكنا**، و في الوقت نفسه يحمي البشر من قوى الشر المرتبطة بالظلام ، لذا لا عجب أن نجد القرابين كلها كانت تقدم له..

و لا عجب أنّ بناء أهراماتهم تم تبعاً لمواقع الشمس و النجوم في السماء و أطلقوا عليها أهرامات الشمس..

و لا عجب أن اشهر طقوسهم هي رقصة الشمس ..

و لا عجب أن بوابة الشمس في بوليفيا نقش في مركزها إله الشمس الذي تتجه إليه نقوش البشر و الكوندور من حوله ..

و لا عجب أن أهم موقع في أهم مدنهم (مدينة السماء ماتشو بيتشو) هو معبد الشمس حيث تقدم القرابين ..

و لا عجب أن أهم أعيادهم كان عيد الشمس (**انتي رايمي**) ويتم الاحتفال به في **21** حزيران من كل عام وهو التاريخ الذي اختاره حكام امبراطورية الأنكا القديمة للاحتفال بالعيد الديني الأهم و هو عيد إله الشمس ..

و لا عجب أنهم اعتمدوا التقويم الشمسي (الروزنامة

الشمسية) و برعوا بعلوم الفلك و قراءة السماء ..

و لا عجب أن تفرض التقاليد على الملك ارتداء قناع ذهبي على شكل شمس اسمه (**ماسكيباثا**) ..

و لا عجب أن يطلق على الرهبان و الكهنة لديهم برهبان الشمس ..

و لا عجب أنّ خلق الإنسان في عقيدتهم تم من نبات الذرة المقدس لديهم و كأنّ كل حبة ذهبية من العرنوس تمثل إنساناً مستقلاً ..

و لا عجب أن للذهب قيمة كبيرة بالنسبة لهم فتم تقديم التحف الذهبية بالتحديد لإله الشمس و ولدت عندهم أسطورة مدن الذهب الغامضة و الكوندور الذهبي و الملك الإلدرادو المطلي بالذهب ..

و بالمحصلة لا عجب أن نجد الشمس أو النجم متواجداً بكثرة في أعلام دول القارة حديثاً ..



رابعاً ، أشهر المعالم السياحية في أمريكا اللاتينية :

هذه القارة الغامضة تعجّ بالمعالم السياحية التي تستحق

المشاهدة ، و نكتفي بذكر أشهرها على مستوى العالم :

- جزيرة القيامة في **تشيلي** ..
- مدينة ماتشو بيتشو في **البيرو** ..
- تمثال المسيح الفادي و شاطئ كوبا كابانا في ريو دي جانيرو في **البرازيل** ..
- شلال كايتيور في **غيانا** و هو أعلى شلال مفرد في العالم ..
- نهر بيريتو مورينو الجليدي في **الأرجنتين** ..
- جزر غالاباغوس الساحرة في **الإكوادور** ..
- شلالات آنجل في **فنزويلا** ..
- غابات الأمازون المذهلة المنتشرة في عدة دول ..



*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**قارة الأحلام الذهبية**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= أمريكا الجنوبية قارة كغيرها ، ما المثير فيها ؟!

بل أن نقول :

= أمريكا الجنوبية قارة ساحرة غامضة و حالمة تعجّ بالأسرار و يكتنفها الغموض من كل الجهات ، و يكفينا كدليل على ذلك عدد مرات ذكر الفضائيين في هذه المغالطة كي نعرف أن أغلب الاكتشافات فيها لا تزال لغزاً عصياً على التفسير من قبل العقل البشري رغم تطور العلوم و التكنولوجيا ..

لطالما ارتبطت هذه القارة الغامضة و الساحرة بالأحلام الذهبية .. فكم من مغامر اقتحم غياهب المحيطات و واجه العواصف الهوجاء كي يصل إليها بحثاً عن حلم الثراء بالعثور على مدن الذهب المخفية .. لكنّ الحقيقة الأهم التي جهلها هؤلاء أنّ الذهب كان يقبع في أعماقهم طول الوقت ، فالإنسان بحد ذاته تحفة ذهبية نفيسة لا يضاهيها أي شيء آخر في الكون ، حبة ذهبية من عرنوس ذرة ذهبي ، فإن وعى الإنسان إلى حقيقته هذه و زرع في تراب الحياة أثراً طيباً له ، نبت من حبتة المفردة بيادر ذرة كاملة .. و من أراد تقديم قربان للشمس على خطى الهنود الحمر فليضحي بنصفه المظلم للسماء كي يشرق

نصفه المضيء على من حوله و تزدهر الحياة البشرية برمتها ..





مغالطة أكثر

من مكّاز

(ولي فيها مآرب أخرى)

= الحمد لله على سلامتك يا صديقي ..

= أشكرك على الزيارة و الاطمئنان ..

= و كيف كسرت ساقك ؟

= تعرضت لحادث سير بينما كنت أقود دراجتي النارية



أشار الصديق بيده إلى الرواق خارج غرفة المشفى و قال بضيق ..

= الأصوات في الخارج مزعجة للغاية .. سأغلق الباب إن كنت لا تمانع ..

= لا أمانع بالطبع .. لكن لا داعي لأن تنهض من مكانك .. أنا سأغلقه ..

ابتسم الصديق ..

= أظن أن ساقك المكسورة لديها أقوال أخرى !!

= صحيح .. لكن الكلمة الفصل هي لعكازي لا لساقي أمسك المريض عكازه ثم مده و أغلق به الباب و هو يبتسم ..

قال الصديق ضاحكاً ..

= لقد ذكرتني بعصا النبي موسى ، فقد كان له فيها مآرب أخرى ، كحالك تماماً ..



= محق .. لكنني أظنه يبالغ في كلامه قليلاً.. ما الذي يمكن لعصا أن تفعله .. مجرد جماد نحيل أصم و أجرد

= أخالفك الرأي تماماً .. فللعصا استخدامات لا حصر لها .. لذا لم تكن الجماد الوحيد الذي ذكر في القرآن عن عبث

= لقد ذكر قميص يوسف أيضاً !!

= أجل لكنه من صنع الإنسان .. أنا أقصد الجماد الذي نستخدمه من الطبيعة كما هو بعيداً عن الجبال و البحار و الصخور التي تكون الأرض بطبيعتها ..

= و ماذا يمكن للعصا أن تفيد بعيداً عن التعكز عليها ؟!

= تعال لنكسر روتين المشفى الممل و نتحدث قليلاً عن العصا السحرية العجيبة التي ميزها القرآن عن كل شيء آخر ..

*****

يقول النبي موسى في الذكر الحكيم مخاطباً البارئ :

(هي عصاي أتوكأ عليها و أهش بها على غنمي و لي فيها مآرب أخرى)



فما الذي يمكن للعصا أن تفعله على أرض الواقع ؟ و هل كلام صديقنا المريض عنها بأنها جماد نحيل أصم و أجرد لا غير صحيح أم أنه مغالطة شائعة بين الناس بشكل ظالم للعصا و مجحف بحق قواها السحرية ؟

للإجابة على هذا السؤال سنحاول رؤية العصا من منظور آخر غير مادي .. **منظور فلسفي** .. بما يمكن للعصا أن تختزله من معانٍ عميقة و كنايات و توريات و غيرها ..

فهيا بنا عزيزي القارئ في هذه المهمة العميقة و الطريفة والشيقة لنضرب بحر المعرفة بعصانا فنشقه نصفين، المغالطات من جهة و الحقيقة المجردة من جهة ثانية ..

① العكاز :

الفائدة الأشيع للعصا كما هو معروف هي التوكؤ عليها كعكاز يعيننا عندما نمرض أو تعصف بنا رياح الشيخوخة ..



لكن تذكر عزيزي القارئ أن العكاز فكرة فلسفية قبل أن تكون مادية فهو يرمز إلى السند الذي نعتمد عليه في

صراعنا مع مصاعب الحياة .. و غالباً ما يلجأ البشر إلى سند مادي كالعكاز نفسه أو بشري كشخص أو معنوي كفكرة .. لكن هذا السند المادي مجرد سراب سيتلاشى عندما تتغير الظروف من حوله ، فالشي يكسر و الإنسان يهجر و الفكرة تخسر ، أما العكاز و السند الحقيقي الذي لن يخذلك أبداً فهو البارئ تعالى ، الذي يترفع عن تلك الصفات السلبية و الانهزامية .. و من وضع ثقته في الله ما خاب أبداً .. و من وضعها في غيره خسر لا محالة .. و خير تجسيد لذلك هو عصا النبي موسى التي تجسد **العكاز الإلهي** الذي يذلل الصعاب و يجترح المعجزات كأن يتحول إلى أفعى حقيقية أو يشق البحر أو يفجر الينابيع و غيره .. أما أي عكاز آخر فما هو إلا سراب الواهمين كسحرة فرعون و جيشه و سيتم التهام خرافاتهم كلها بعصا الحقيقة و المعرفة .. فيكون أول تشبيه فلسفي للعصا لدينا هو (**السماء**) التي لن تخذلك إن تعكزت عليها و اعتمدت عليها دوناً عن أي شيء آخر من بشر أو جماد أو أفكار ..

② عصا التأديب :

يقول المثلى الشعبي : (**العصا لمن عصى**) و أيضاً : (**العصا من الجنة**) .. و إذا وضعنا هذه الأمثال إلى جانب قصة أبي البشر و أول الأنبياء آدم مع أمنا حواء في الآية القرآنية الكريمة :

(و عصى آدم ربه فغوى)



نجد أن عصيان آدم و حواء لوصية الإله أخرجتهما من الجنة ،و هذه هي الخطيئة ذاتها التي أصابت الزيتونة شجرة السماء في الكون الأكبر ذات يوم عندما فقدت النعم من حولها قيمتها في عينيها فبطرت بها و دفعت الثمن.. و من هنا نجد أن العصا ليست مرادفاً للتوبيخ بالضرب .. بل كناية عن الصرامة و الحزم عند الخطأ ، فالبارئ لم يعنف آدم و حواء جسدياً رغم اقترافهما لمعصية لا مثيل لها ، و هي عصيان أمر خالقهما .. بل لجأ إلى العقوبة المناسبة التي تصحح العيب النفسي فيهما الذي قادهما إلى الخطيئة و المعصية و هذه العقوبة هي الخروج من الجنة و الهبوط إلى الأرض ، حيث سيعانيان هناك من الحاجة و الحرمان و الخوف و القلق و غيرها

من المشاعر السلبية التي لم يعرفاها في الجنة ، و كل ذلك سيجعلهما يقدران بحق قيمة الجنان و نعم الله فيها ..

و في نفس السياق نجد الشاعر العبقري المتنبي ينشد :

لا تشترِ العبد إلا و العصا معه

إنّ العبيد لأنجاسٌ مناكيد

من علّم الأسود المخصيّ مكرمةً

أقومه البيض أم آباؤه الصيد

و هنا نجد كناية أخرى للعصا .. فالعبيد ليسوا بشراً مرهونين بلون بشرة محدد بل كانوا من مختلف الأعراق عبر التاريخ ، كذلك كل شخص يترك الله و يتشبث بمغريات الحياة على حسابه هو عبد للدنيا ، و الله سيتعامل بحزم معه كي يفكر أكثر بدار البقاء الآخرة فيهذب أخلاقه و يقدر نعم الله بين يديه .. و بذلك تكون العصا رمزاً **للتأديب و العقاب المناسب** ..

③ عصا الراعي :

كثيراً ما يعتمد الراعي على عصاه كي يوجه قطيعه نحو الاتجاه الصحيح أو يبعده عن المخاطر ، أو يهش بها على الأشجار كي تتساقط أوراقها كغذاء للأغنام ..

و فلسفياً عصا الراعي هي تجسيد لمنهجية الحاكم في

توجيه بلاده و قيادتها لحمايتها و تأمين متطلباتها فالعصا المستقيمة تكون بيد الحاكم العادل ، و العصا المعوجة تكون بيد الحاكم الظالم ..



④ عصا الأعمى :

من الأمور المادية التي ترمز إلى الشخص الأعمى هي النظارات السوداء التي تشير إلى الرؤية العاتمة أي أنه لا يرى أمامه ، و العصا البيضاء التي تشير إلى النور الذي يضيء له الطريق ..



فالعصا هنا ليست للتوكؤ ، بل رمز موجه للناس المحيطين يدلهم على أن حاملها شخص أعمى كي يفسحوا له المجال أو يساعدوه إن احتاج .. و كأنّ شعاع الضوء الأبيض جُسّد مادياً على هيئة عصا تنير الدرب أمام الشخص الأعمى ..

و في الميثولوجيا الإغريقية ذكر لعصا الأعمى في أسطورة شيقة تقول أنه أثناء سير شخصية إغريقية اسمها تيريسياس عبر الجبال ذات يوم ، وجد ثعبانين في حالة تزاوج فأراد فصلهما لذا ضرب الأنثى بعصاه و قتلها .. فغضبت منه الآلهة بسبب فعلته و غيرت جنسه إلى أنثى ، ثم عاش تيريسياس هكذا لمدة **8** سنوات ، ثم في أحد الأيام قابل مجدداً في الجبال ثعبانين آخرين في حالة تزاوج أيضاً لكن هذه المرة كان أكثر حكمة فقام بضرب الذكر وقتله ، فعاد ذكراً مجدداً ..



بعد سنوات ، كانت الآلهة زيوس و زوجته هيرا في نزاع حول أي من الجنسين يجب أن يتحمل مسؤوليات أكبر.. فتم اختيار تيريسياس قاضيا لأنه عاش كرجل وامرأة في حياته ، فقرر تيريسياس أن مسؤوليات المرأة يجب أن تكون أكبر مما أثار حفيظة هيرا فعاقبته بأن جعلته أعمى .. و كتعويض عن ذلك أعطاه زيوس هبة الاستبصار مما جعل تيريسياس أحد أشهر العرافين في الأساطير الإغريقية ..

⑤ عصا الساحر :

من رموز السحر الشهيرة هي عصا السحرة التي يضربون بها على القبعة لتخرج منها الحمائم من العدم كما يظن المتفرجون ..



و في الحقيقة عصا الساحر قديمة للغاية فنجدها أيضاً في أساطير الإغريق حيث ذكرها الشاعر الشهير **هوميروس**

في ملاحمه ، ففي **الإلياذة** ذكر أن **هيرميز** استخدم بشكل عام **عصاه السحرية كاديوس** ليجعل الناس ينامون ويستيقظون .. و في **الأوديسة** ذكر أنّ **أثينا** استخدمت عصاها السحرية لتجعل **أوديسيوس** كهلاً ثم شاباً مرة أخرى وأن **سيرس** استخدمت عصاها السحرية لتحويل رجال أوديسيوس إلى خنازير ..

و في الواقع العصا السحرية هي تجسيد لمعجزات الآلهة و السماء التي تفرق بين الخالق و المخلوق ، **فعصا الخالق يمكنها ليّ قوانين الطبيعة أما عصا المخلوق فتبقى عصا لا تقدم و لا تؤخر** .. لذا يحاول السحرة من خلال عصاهم أن يوهموا الناس بأنهم قادرون على اجتراح المعجزات كالسماء ، و هذا غير صحيح كما وضحنا في مغالطة سحرية سابقة !!

⑥ السلاح :

يمكن للعصا أن تستخدم كسلاح بيد الإنسان ، كرمح المقاتل أو عصا محارب الكونغ فو أو عصا الشرطة .. و العصا هنا كناية عن **الدفاع عن النفس و تقويم اعوجاج الظلم الذي يطال الإنسان** ..



⑦ عصا الخيمة :

كي تنصب الخيمة بشكل صحيح و لا تهبط على الرؤوس يجب وضع عصا محورية في مركزها كي ترفعها و توازنها .. و هنا يرمز لهذه العصا **بعمود الخيمة** و هو كناية عن الشيء أو الشخص المحوري الذي يحقق التوازن في موقع معين فإن كسر تهدم كل شيء فوق رؤوس الناس المحيطين ، كما هو حال ربّ الأسرة مثلاً



⑧ عصا السياسة : للعصا استخدامات رمزية كثيرة في السياسية نذكر منها :

- **سياسة العصا و الجزرة :** أي سياسة الترغيب و الترهيب ، فإن أطعت تنعمت و إن عصيت عوقبت
- **امساك العصا من المنتصف** : و تشير إلى الالتقاء في المنتصف و التوازن بين أطراف الحوار ، أو موازنة

السلبيات و الإيجابيات في شخص أو مجموعة أو فكرة ما ..

- **سياسة العصا الغليظة** : أي استخدام القوة المفرطة و خاصة العسكرية لفرض الأمر الواقع و إن كان ظالماً ..

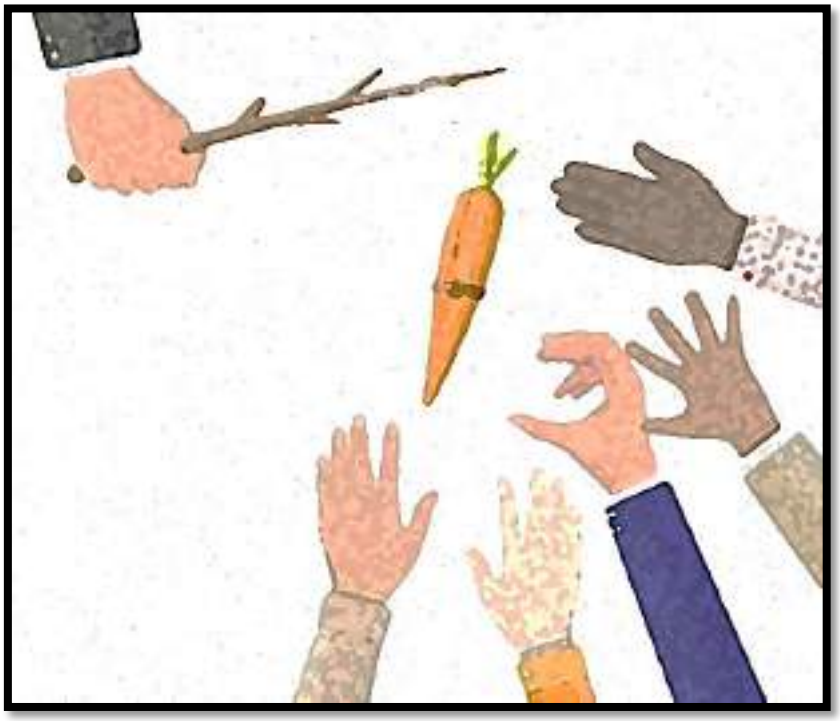

⑨ **عصا الطب** : نجد العصا كذلك في شعار الطب و الصيدلة كعصا تلتف حولها أفعى .. و في الحقيقة هذه العصا كناية عن أسطورة إغريقية أخرى تدعى **أسكليبيوس** الذي خرج يبحث عن العشبة التي تعيد الحياة للموتى مخالفاً بذلك القوانين التي وضعت من قبل الآلهة الثلاثة الكبار (زيوس وبوسيدون وهاديس) بأنّ الموتى لا يعودون إلا بأمر إله الموت هاديس و الذي كان لا يسمح بذلك .. لكن أسكليبيوس سافر باحثاً عن تلك العشبة وفي سفره كان يتكأ على العصا، التي هي رمز للسفر

بحثاً عن المعرفة، وفي الطريق تراءى له ثعبان ميت و رأى ثعبان آخر يخرج و في فمه عشبة وضعها في فم الثعبان الميت فعادت إليه الحياة وبذلك أصبح أسكليبيوس يعرف سر إعادة الحياة بسبب ذلك الثعبان و عشبته الذي صار رمزاً للطب و الصيدلة مع العصا .. و أسكليبيوس هو إله الشفاء عند الإغريق ..



⑩ **عصا الموسيقى** : العصا هي ناظمة الإيقاع في الأوركسترا الموسيقية ، فنجد قائدها يحملها بيده و يوجه العازفين بتكنيك معين ، كذلك نجد العصا كأداة موسيقية في آلات كثيرة .. و هي هنا كناية عن اتحاد الجميع في عزف واحد متناغم يطرب الآذان ، فبدونها سنجد النشاز و الخروج عن الإيقاع ..



⑪ **عصا الحرف و الرقم** : في علم الأرقام و الأحرف تمثل العصا بداية كل شيء فهي أول الأرقام **1** و أول الأحرف الألف آ.. و هذا بحد ذاته تكريم سماوي لهذا الرمز العظيم كما كرّم في القرآن تماماً ..

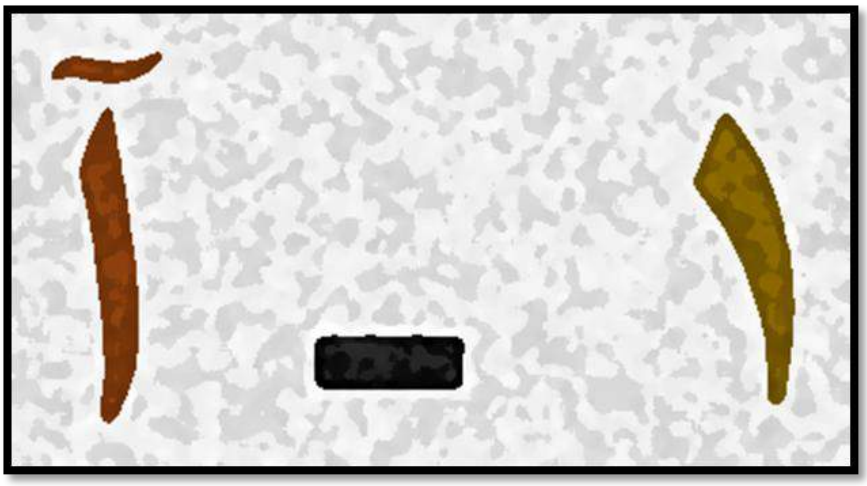

⑫ **عصا السارية** : سارية العلم هي عصا بحد ذاتها و كأنها تقول لنا حكمة عميقة للغاية :(**تتغير الانتماءات و الأعلام و تبقى السارية واحدة لا تتغير ، كذلك تتغير الأعراق و الأديان و يبقى الإنسان واحداً في كل مكان)**



⑬ **عصا التوازن** : عندما يسير لاعب السيرك على حبل رفيع على ارتفاع كبير فوق الأرض ، فإنه يمسك بعصا من منتصفها في سبيل تحقيق التوازن بتجميع الثقل في مركز واحد .. و هذا ما لجأ إليه الفرنسي الشهير **فيليب بوتي** عندما مشى على سلك معدني رفيع بين برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك على ارتفاع **400** متر .. **و في ذلك إشارة فلسفية إلى ضرورة تركيز طاقتنا و إمكانياتنا على عمل واحد كي ننجزه و نتمه ، لأن تشتيت الانتباه و التفكير يعني اختلال التوازن و السقوط و الفشل ..**

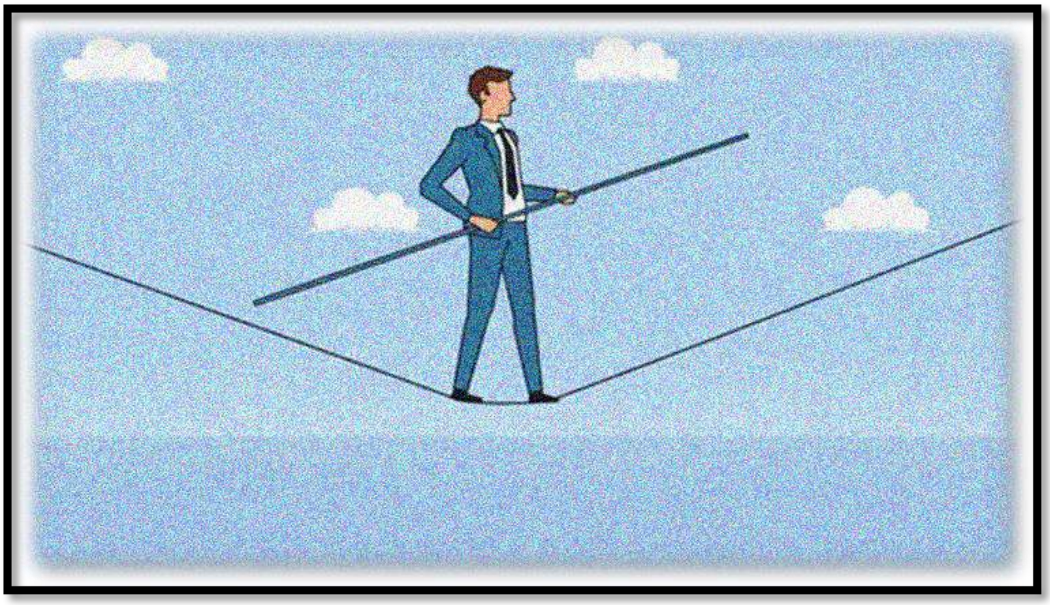

⑭ **عصا البناء** : في مناطق كثيرة من العالم تعتبر عيدان الخيزران حجر الأساس في البناء .. فتصطف إلى جوار بعضها لتكون سقفاً يعيش البشر تحته .. و في هذا كناية جديدة عن **قوة الاتحاد و الجماعة** ، فعود وحيد كما

نعلم جميعاً يكسر بسهولة أما اجتماعها معاً يخلق منزلاً فريداً يواجه أعتى الزلازل و الأعاصير !!



و بخلاصة ما سبق نجد أن العصا في حياة البشر أكثر من مجرّد عود نحيل أجرد .. إنها كناية عن أمور أعمق بكثير تخوّلها أن تكون **الجماد الوحيد المذكور في القرآن و ليس من صنع الإنسان أو تكوين الكوكب** .. و ما ذكرناه يعتبر جزءاً صغيراً فقط من الكنايات التي تمثلها العصا و نكتفي به تجنباً للإطالة ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**أكثر من عكّاز**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= لماذا كل هذا التهليل للعصا .. عود خشبي أصم ، أجرد و نحيل .. فماذا بإمكانه أن يفعل ؟

بل أن نقول :

= لقد كرم البارئ العصا في القرآن بجعلها الجماد الوحيد المذكور ، كما جعلها أول الأرقام و الأحرف ، و خصّ نبيه موسى بها كأداة إعجازية ، و ذلك لأن العصا بعيداً عن فائدتها المادية ، تمثل كنايات كثيرة عميقة ، فهي **ترمز للسماء التي يتعكز عليها الإنسان المؤمن** ، و هي **رمز للتأديب بالطريقة المناسبة لمن يخالف القوانين** ، كما أنها **رمز لتوجيه القائد لجماعته أو للأوركسترا خاصته نحو الأفضل** ، و هي **شعاع النور الذي ينير الدروب للأعمى** ، و **سلاح للإنسان المستضعف الذي يتعرض للأذى و التنمر كي يدافع بها عن نفسه** ، و هي **إشارة الساحر إلى اجتراح المعجزات** ، و **إشارة الطبيب للعلاج و الشفاء** ، و **باجتماعها معاً تبني صروحاً** تواجه وحشية الطبيعة ، و **في السياسة تعبر عن مفاهيم متنوعة و متشعبة** .. و القائمة تطول و تتسع ..

العصا قوة معنوية قبل أن تكون مادية ، تقارع أعتى القوى و أشرس الأسلحة .. لذا جعلها الله السلاح الوحيد بيد نبيه موسى في وجه فرعون و جيشه المدجج بالسلاح .. و لهذا السبب نصف الإنسان القوي الشجاع بأنه (**عصيّ**) على الانكسار و الهزيمة .. كما يقول الشاعر الكبير **أبو فراس الحمداني** :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر

لذا كن عزيزي القارئ شجاعاً في مواجهة الحياة كلاعب البيسبول المحترف ، الذي كلما رماه الحساد و الأعداء بكرات الحقد و الأذى و كلما رمته الحياة بالمصاعب و الابتلاءات قذف بكل ذلك بعيداً بعصاه العصية التي يحصّن بها نفسه ..



مغالطة بلّورات الزمن

(التاريخ يعيد نفسه)

= كيف قضيت أمسيتك بالأمس يا صديقي ؟

= في المنزل ، شاهدت فلماً وثائقياً شيقاً يتناول موضوعاً غريباً ..

= أثرت فضولي .. و ما مضمونه ؟

= البلورات الزمنية ..

= اسم غريب و سريالي .. كيف يمكن بلورة الزمن ؟!

= بالضبط هذا هو صلب الفلم .. بلورات الزمن عبارة عن هياكل تحتوي على ذرات مرتبة بنمط منظم للغاية في المكان والزمان .. لكنها على عكس البلورات العادية التي تحافظ على حالتها مع مرور الوقت، فهي يمكن أن تتغير فجأة دون الحاجة إلى أية عوامل خارجية ..



= لم أفهم جيداً ..

= سأبسط لك الموضوع أكثر .. إن أنت أحضرت بلورة

ثلج مثلاً و تركتها للأبد في نفس الظروف ، فجزيئات الماء ستبقى بترتيبها المنتظم طول الوقت .. أما في بلورة الزمن فإن الذرات تغير موضعها كل فترة إلى وضع جديد حتى بدون تغير الظروف المحيطة بها ، لكنها بنفس الوقت تحافظ على بنائها المنظم البلوري أي أنها لا تتحول إلى حالة عشوائية كالسائل أو الغاز مثلاً .

= فهمت .. شيء غريب للغاية .. و هل بلورات الزمن موجودة بالفعل ؟

= لقد كانت هذه البلورات مجرد فكرة نظرية لفترة طويلة ، لكن مؤخراً تمكن العلماء من إنتاجها مخبرياً بتسليط **ليزر مستقطب** على مادة شبه موصلة تسمى **زرنيخيد الغاليوم الإنديوم** ، فنتجت بلورات زمنية بالفعل ..

= مذهل ..!!

= بالفعل .. و لأن هذه البلورات تغير تراتبيتها مع الزمن لتعود إلى شكلها الأساسي كل فترة يطيب للبعض تسميتها ببلورات التاريخ ..

= التاريخ !؟ لماذا ؟

= لأنه كما يقال : (**التاريخ يعيد نفسه**) كما تفعل هذه البلورات بالضبط ..

= تشبيه غريب لكنه منطقي و مثالي لا أنكر .. و هل التاريخ يعيد نفسه بالفعل ، أم أن هذه مجرد عبارة تقال

لا أكثر ..

= بالطبع يعيد نفسه و بطريقة عجيبة ، تعال لأحدثك أكثر عن قصة التاريخ و كيف يعيد نفسه بين آونة و أخرى ..

*****

التاريخ يعيد نفسه

مقولة شاع استخدامها بين الناس لتوصيف حالة تتكرر بمظاهر مختلفة و مضمون واحد على فترات متباعدة من التاريخ ، فهل هذه العبارة صحيحة بالفعل على أرض الواقع ، أم أنها محض مغالطة جديدة تأخذ مكانها كجوهرة أخرى في عقد مغالطاتنا الذي يزين جيد الحقيقة ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه عبر الصفحات التالية ، و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا الجديدة (**التاريخ يعيد نفسه**) من **3** زوايا شيقة :

① **مصطلح التاريخ يعيد نفسه**

② **كيف يعيد التاريخ نفسه ؟**

③ **رأي الدين في ذلك ..**

④ **أمثلة غريبة من صفحات التاريخ أعاد فيها نفسه**

فهيا بنا عزيزي القارئ نقلب صفحات التاريخ و نقارن

الأحداث فيها ببعضها لنرى هل التاريخ يعيد نفسه بالفعل ؟

أولاً : مصطلح التاريخ يعيد نفسه :

في الحقيقة هذا المصطلح مر بصيغ كثيرة عبر التاريخ ، لكنها كلها بجوهر واحد فنجد مثلاً :

❁ **العود الأبدي**: مصطلح قديم للغاية و أعاد إحياءه في القرن **19** كل من **هاينرش هاينه** و **فريدريك نتيشه**.. و يقول أن الأحداث لا تموت بل تحيا من جديد بعد فترات من السبات بمظاهر مختلفة لكن بجوهر واحد ..

❁ **التكرار الكوني**: و قد اعتنق هذا المبدأ المفكرون الغربيون القدماء و يقول أن التكرار هو السمة الغالبة على الكون و أحداثه ..

❁ **وصاية السماء**: مفهوم شرقي قريب من مفهوم التكرار الغربي وهو مفهوم صيني يقول أنّ الحاكم غير العادل يفقد دعم السماء له و يبيد ، مما يعني أن الأحداث ستتكرر مع تكرار وصول حكام ظالمين إلى سدّة الحكم .. كما قال **نيكولو ماكيافيلي** في تحليله لتقلبات سياسات **فيورنتينا** و **إيطاليا** في القرنين **14** و **15** :

(عندما تصل الدول إلى أعلى درجات كمالها، سرعان

ما تبدأ بالانهيار بنفس الطريقة، بعد أن قلصتها الفوضى وغرقت في حالتها المتناهية من الانحطاط، عاجزةً عن الانحدار أدنى من ذلك، ثم تصعد مجدداً من رحم الحاجة، وهكذا، تنحدر تدريجياً من الخير إلى الشر وترتقي من الشر إلى الخير و بذلك يعيد التاريخ نفسه من جديد بين الآونة و الأخرى)



❁ **التكرار التاريخي** : استخدم هذا المصطلح لأول مرة على يد **بوليبيوس** و هو مؤرخ يوناني من العصر الهلنستي ، و من بين الفلاسفة والمؤرخين الغربيين الذين ناقشوا هذا المصطلح نجد **بولينيوس، ديونيسوس ، لوقا الإنجيلي** و **ميكافيللي** و آخرين ..

باختصار مفهوم التكرار عبر الزمن يعني تكرار الأحداث بنفس المضمون على فترات متباعدة من التاريخ و بتشابه غريب للغاية و أحياناً مبهم و كأنه حالة ديجافو

حقيقية نشعر معها أن ما نسمعه الآن سمعنا به من قبل ..



فهل لهذا التكرار آلية معينة و أسباب منطقية تقف خلفه ؟ هذا يقودنا إلى الزاوية الثانية من تحليلنا ..

ثانياً : كيف يعيد التاريخ نفسه ؟:

في الحقيقة هنالك عدة تفسيرات لتكرار التاريخ لنفسه ، لعلّ أهمها :

❁ **الماورائيات** : و يفترض أنصار هذه الآلية أن الحياة بتصميمها الأساسي الأصلي مبرمجة من البارئ على تكرار نفسها ، و هذا بالطبع تفسير غيبي بحت ..

❁ **العلم** : فكما يقال في الفيزياء :

(إعادة التجربة نفسها في الظروف نفسها يعطي النتائج نفسها)

و هذا ما ينطبق على كل شيء في الحياة فإعادة الأحداث السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية أو أي حدث آخر بنفس الظروف سيعطي النتيجة نفسها و إن اختلفت **أسماء الأشخاص و الأماكن و التواريخ ..**

❁ **الكارما** : و هذا المبدأ الأخلاقي يفترض أن أي فعل يقوم به الإنسان سيرتد عليه بنفس طبيعة الفعل الصادر .. بمعنى أن أي فعلين متشابهين سينجم عنهما ردود أفعال متشابهة و بالتالي سيكرر التاريخ نفسه من جديد .. تماماً كمفهوم وصاية السماء الصيني الذي تحدثنا عنه منذ قليل ..

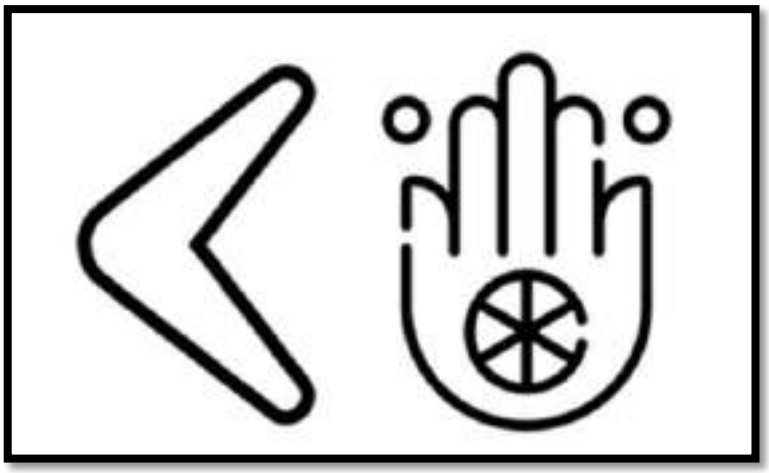

ثالثاً : رأي الدين في ذلك ..

الدين يؤكد بدوره أن التاريخ يعيد نفسه باستمرار ، و بمقاربة بسيطة نجد أن **قصص أغلب الأنبياء هي نسخة**

عن بعضها ، نبي يأتي إلى قوم فاسقين فيدعوهم إلى الله فلا يستجيبون فيعاقبهم الله و ينتصر الأنبياء و هكذا .. من نوح انتهاءً بنبي الرحمة محمد و ما بينهما .. بل إن البشر بأنفسهم يعيدون تكرار أول حادثة في التاريخ بأنفسهم مليارات المرات مع كل إنسان جديد يأتي إلى الحياة ، **فالغرور و العصيان و الإشباع** الذي أخرج آدم و حواء من الجنة ، يتكرر مجدداً في حياة كل إنسان لا سيما في **فترة المراهقة** التي تعصف به و يظن معها أنه بلغ المنتهى و لم يعد بحاجة لنصيحة أو سند أو توجيه أو دعم ..



كذلك الحال نجد انتصار الظلام على النور في نهاية حياة أنبياء و قديسين كثر كي يفسحوا المجال لدورة جديدة من الصراع في الحياة يتعلم فيها الجيل الجديد الدروس فنجد محاولة حرق إبراهيم أو صلب المسيح أو قتل يحيى أو اغتيال موسى أو غيرها من القصص التي نجحت في مناسبات كثيرة ، لكن النور انتصر على الظلام و قام من

بين الأموات ليحيا من جديد رغم محاولات أنصار الظلام الحثيثة لتكميم فمه أو تشويه صورته ..

رابعًا : أمثلة غريبة من صفحات التاريخ أعاد فيها نفسه ..

① تيسر دخول **إرنان كورتيس** الحاسم إلى إمبراطورية الأزتك المكسيكية في القرن **16** بعد أن ظنه السكان الأصليون إلههم **كيتزالكواتل** الذي كان من المتوقع أن يعود في ذلك العام بالذات ..



وتيسر دخول الكابتن الإنجليزي **جيمس كوك** الحاسم إلى هاواي في القرن **18** أثناء مهرجان ماكاهيكي السنوي لتكريم إله الخصوبة والسلام **لونو** من خلال اعتقاد

السكان الأصليين أن كوك هو لونو نفسه ، إذ غادر لونو هاواي، ووعد بالعودة على جزيرة عائمة مثلتها سفينة كوك القادمة ..

② في القرن **16**، واجه المستكشف البرتغالي **فرديناند ماجلان** **1500** رجلاً من السكان الأصليين في جزر الفلبين بتهور وكان معه **14** رجل فقط، قاوم السكان محاولته لفرض المسيحية عليهم وقتلوه.. و في القرن **18** واجه المستكشف الإنجليزي **جيمس كوك** السكان الأصليين في جزيرة هاواي بتهور وكان معه عدد قليل من الرجال، وذلك بعد أن أخذ بعض أفراد الجزيرة أحد قوارب كوك الصغيرة، وقُتل كوك وأربعة من رجاله.



③ في القرن **19**، لم يكن الإمبراطور الفرنسي **نابليون**، المولود في كورسيكا، مستعداً لحملة شتوية

طويلة، لكنه أصر على اجتياح الإمبراطورية الروسية، ما أدى إلى سقوط الإمبراطورية الفرنسية؛ وفي القرن **20**، لم يكن الفوهرر الألماني **أدولف هتلر**، المولود في النمسا، مستعداً لحملة شتوية مديدة، لكنه حاول اجتياح الدولة التي خلفت الإمبراطورية الروسية السوفيتية والتي حكمها **جوزيف ستالين**، المولود في الخارج الجورجي، مما عجل سقوط الرايخ الثالث الألماني و هزيمة هتلر ..



④ قُتل **ستانيسلاف شتشيبانوفسكي**، رئيس الكنيسة الكاثوليكية في بولندا على يد صديقه السابق الملك **بوليسلاف ذا بولد** في القرن **11**؛ وقُتل رئيس الكنسية

الكاثوليكية في إنجلترا المدعو **توماس بيكيت** بناء على أمر من صديقه السابق الملك **هنري الثاني** في القرن **12**.

⑤ فشلت محاولة الإمبراطور المغولي **قوبلاي خان** لغزو اليابان في القرن **13** بسبب الأعاصير؛ وفشلت محاولة الملك الإسباني **فيليب الثاني** لغزو إنجلترا في القرن **16** بسبب إعصار أيضاً ..

⑥ عمل **المهاتما غاندي** على تحرير وطنه بالطرق السلمية وقُتل بالرصاص ، أيضاً عمل **مارتن لوثر كينغ جونيور** على تحرير وطنه بالوسائل السلمية وقُتل بالرصاص ..

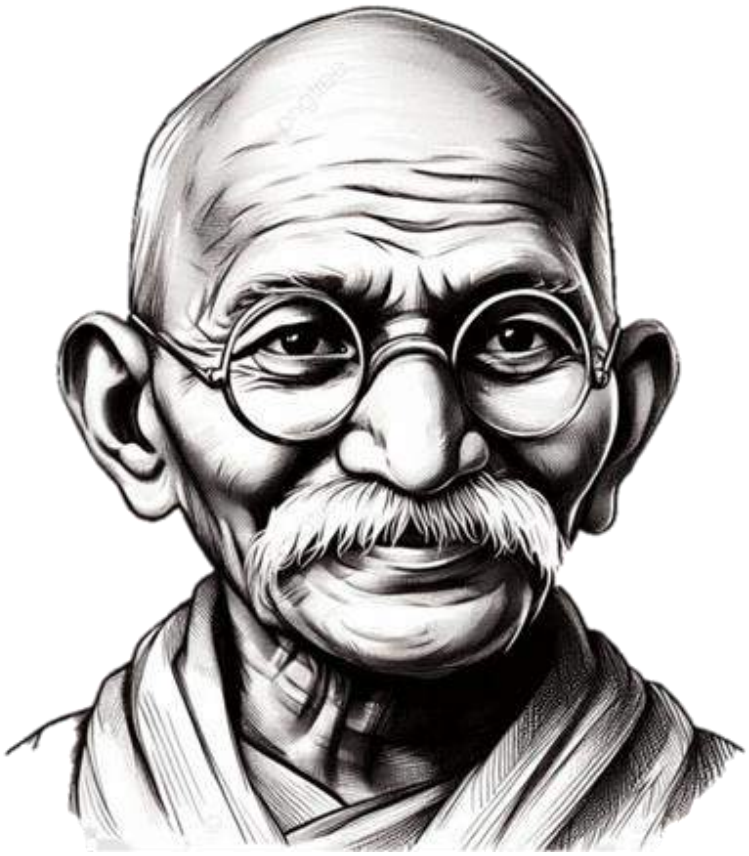

⑦ توفيت **يادويغا** ملكة بولندا في القرن **14**، وأوصت بإنفاق ثمن مجوهراتها الشخصية لترميم **جامعة كراكوف** ، أيضاً حاولت **أرملة ليلند ستانفورد** المدعوة **جين ستانفورد** بيع مجوهراتها الشخصية بعد وفاته في القرن **19** لتمويل شراء الكتب **لجامعة ستانفورد**.

⑧ في أواخر عام **2007**، دخل اقتصاد الولايات المتحدة في حالة من التدهور الحاد، فانخفض سوق الأسهم وارتفعت البطالة إلى معدلات عالية للغاية، ودخلت البلاد في مرحلة عرفت **بالركود العظيم**.. و كثير من المحللين وقتها، قالوا إن هذه الحادثة ما هي إلا واحدة من الحوادث التي يعيد فيها التاريخ نفسه فقد شبهوها بمرحلة **الكساد الكبير** الذي ضرب الولايات المتحدة في الثلاثينيات.. و كانت هناك أوجه تشابه عديدة بين الحالتين، فكلتاهما سبقتها فترات ازدهار اقتصادي لافتة، كما جاءت كل منهما في وقت كانت البنوك تجرب فيها طرقاً جديدة لممارسة الأعمال:

= **الائتمان الاستهلاكي** في عشرينيات القرن الماضي.

= **تجميع ديون الرهن العقاري** في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

⑨ تكرار الجائحات و الأوبئة كل فترة من الزمن بنفس الطريقة كالطاعون و الإيدز و كورونا و غيرها ، فنرى نفس المظاهر الصحية و السياسية و الاقتصادية و

الإنسانية تحكم العالم مع كل وباء جديد ..



⑩ هنالك تشابهات مرعبة و عجيبة بين حادثتي اغتيال الرئيسين الأمريكيين السابقين **أبراهام لينكولن** و **جون ف. كينيدي**، حيث أعاد التاريخ نفسه بدقة متناهية في هاتين الحادثتين ..



فقد تم إطلاق النار على كلا الرئيسين يوم الجمعة برصاصة قاتلة في الرأس .. وقد حمل خليفة كل من الرئيسين اسم جونسون. فقد خلف إبراهام لينكولن الرئيس **أندرو جونسون** وهو من مواليد عام **1808** بينما كان **ليندون جونسون** المولود عام **1908** خلفاً لكينيدي.. و يحمل كلا القاتلين : (**جون ويلكس بوث** و **لي هارفي أوزوالد**) **15** حرفاً في أسمائهما.. والأمر الأكثر غرابة هو أن بوث هرب من مسرح وتم أسره في مستودع، بينما فر أوزوالد من مستودع وتم القبض عليه في مسرح ..!!

و كما تلاحظ عزيزي القارئ ، التاريخ بالفعل يعيد نفسه بتشابه غريب بين الآونة و الأخرى ، و لا شك أن لذلك تفسيراً منطقياً ، ربما كان غيبياً أو علمياً أو محض كارما تنتصر لنفسها .. لكن الأكيد أن التاريخ يعود من جديد كل فترة بتظاهرات مشابهة كعود أبدي أو كوصاية من السماء أو ديجافو أو سمها كما يحلو لك ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**التاريخ يعيد نفسه**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= التاريخ لا يعيد نفسه أبداً ، إنها مجرد إسقاطات بشرية للأحداث كي تلائم بعضها ..

بل أن نقول :

= التاريخ بلا شك يعيد نفسه باستمرار ، ربما لا نرعف الآلية الدقيقة لحدوث ذلك ، بل مجرد فرضيات منطقية ، لكنه يعيد نفسه و الأحداث العجيبة تشهد على ذلك ..

يقول **كارل ماركس** :

(التاريخ يعيد نفسه في المرة الأولى كمأساة و في الثانية كمهزلة)

و هذا منطقي في ظروف كثيرة ، فتكرار التاريخ لنفسه في مناسبات عدة يعني ببساطة أن البشر لم يتعلموا من أخطاء الماضي و وقعوا بالحفرة ذاتها مرة أخرى ..فلولا تشابه ظروف التجربة لما نتج عنها النتيجة ذاتها من جديد ، فإن أردنا للتاريخ ألا يعيد نفسه فعلينا ببساطة أن نتعلم مما سبق و نغير الظروف المحيطة لنخرج بنتائج إيجابية جديدة ..

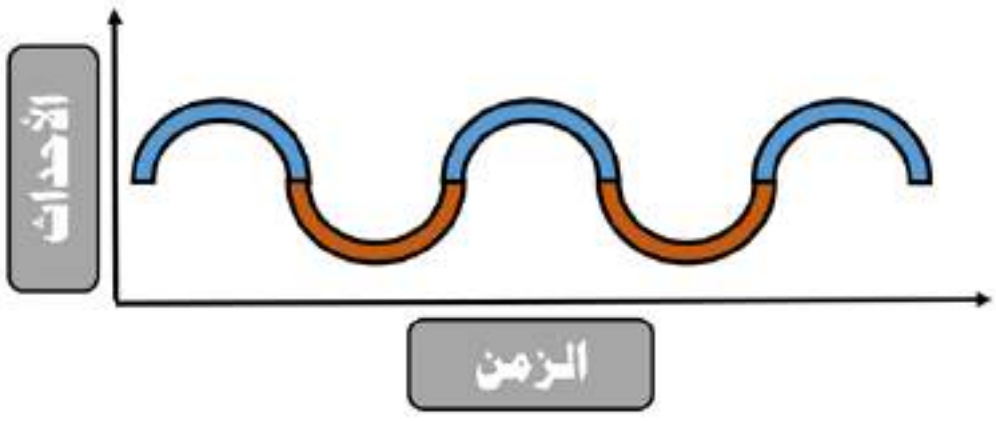

مغالطة ماذا لو ؟

(ذكريات لم تحدث بعد)

أيرلندا الشمالية / بيلفاست ..

أيّار / 2033 م/ الساعة الواحدة صباحاً ..

كان السيد جيمس ماك غريغور **44** عاماً يقود سيارته الكلاسيكية مسرعاً في الطريق السريع و الفارغ في هذه الساعة المتأخرة من الليل خارج مدينة بيلفاست عائداً إلى منزله و إلى جواره زوجته لوتس **38** عاماً ، بينما جلس في المقعد الخلفي طفلهما بيتر **7** سنوات ، و على حين غرّة قطع الشارع أمامهما شاب ثلاثيني كادت السيارة أن تصدمه لولا أن جيمس تنبه بسرعة فضغط الفرامل بقوة و انحرفت السيارة عن الطريق لتسقط من أعلى التل و تنقلب عدة مرات قبل أن تستقر في أسفل الوادي المجاور ..



شعرت لوتس بأنها على وشك الإغماء مع ألم شديد يعصف بذراعها الأيمن الذي يبدو أنه قد كسر .. تلفتت إلى جانبها فرأت زوجها جيمس غارقاً في دمائه مع شظية زجاجية تخترق عنقه .. أدارت رأسها بصعوبة لتحري أمر ابنها فوجدته مضرجاً بدمائه بدوره و فاقداً الوعي .. سمعت صوت خطوات تقترب ثم أطل عليها وجه الشاب الذي كادت سيارتهم أن تصدمه .. خيل إليها بأن شكله يتغير نحو هيئة غريبة ذكرتها بالكائنات الفضائية ثم سمعت صوته الغريب يقول لها :

○ أنا آسف سيدتي .. إنه خطئي بالمقام الأول .. ستكون الأمور بخير اطمئني ..

شعرت بذراعيه تحملها برفق و تخرجها من باب السيارة ثم أسدلت ستارة سوداء على عينيها و فقدت الوعي كلياً ..

استيقظت لوتس لتجد نفسها في غرفة ضمن مشفى و قد تم تجبير ذراعها و ساقها و ضمدت في مناطق متفرقة تعرضت للجروح ..

تذكرت الحادث بتفاصيله كحلم راودها منذ لحظات و كانت صورة الكائن الفضائي لا تزال متسمرة أمام عينيها .. التفتت حولها فوجدت ممرضة تضع لها دواءً في المحلول المغذي فصاحت بلهفة ..

● سيدتي .. أين هما زوجي و ابني ..؟

التفتت إليها الممرضة بدهشة و ارتياح لاستعادتها وعيها ، لكنها أشاحت بنظراتها عنها ثم قالت بحزن ..

○ لقد حاول الأطباء جهدهم .. لكن للأسف لم يتمكنا من النجاة فقد كان الحادث عنيفاً ..

امتلأت عينا لوتس بالدموع و شعرت بالخبر كطعنة خنجر في صميم قلبها .. يا إلهي جيمس .. بيتر .. لماذا .. لماذا ؟!!!



رغم الحالة الجسدية و النفسية السيئة التي تمر بها لوتس فقد اضطر رجال الشرطة مجبرين إلى التحقيق معها لمعرفة حيثيات الحادثة إن كانت قدرية أم أن هنالك صفة جنائية تشوبها .. فقصت عليهم لوتس ما جرى بالضبط

و كيف اقتحم شاب غريب الطريق فجأة فاضطر زوجها للخروج عن الطريق كي لا يصدمه .. كما أخبرتهم بالهيئة الغريبة التي تحول إليها و شبهها بالكائنات الفضائية عندما ساعدها و أخرجها من السيارة .. بالطبع لم يأخذ رجال الشرطة كلامها على محمل الجد بسبب غرابته و ردوه إلى تدهور سلامتها النفسية و العقلية عقب الحادث و خسارة زوجها و ابنها مما جعلها تتوهم أشياءً لم تحدث .. إلا محقق واحد منهم توقف مطولاً عند كلامها و ربطه بالاتصال الذي ورد إلى الإسعاف من شخص غريب أخبرهم بموقع الحادث دون أن يفصح عن هويته أو يتواجد في المكان لحظة وصول الشرطة و الإسعاف ، مما يوحي بأن كلام لوتس ربما كان صحيحاً على غرابته !!

بالطبع وصلت قصة الكائن الفضائي الغريب إلى الصحافة ، و في زمن العولمة و الشبكة العنكبوتية و مواقع التواصل الاجتماعي انتشرت فيديوهات هذه الصحافة بخصوص الحادثة كالنار في الهشيم حول العالم معيدةً إلى الواجهة موضوع الفضائيين و إمكانية وجودهم فعلياً .. ما بين مصدّق لقصّة لوتس و مؤمن بوجود الفضائيين في الكون و مكذّب لها مقتنع بأنها تلفيق منها أو وهم بصري جرّاء حالة سكر أو نعاس و تشوّش الرؤية ليلاً كون الحادثة جرت في وقت متأخّر أو بالطبع بسبب خسارة لوتس لعائلتها مما سبب لها ربما متلازمة ما بعد

الصدمة ..



مع مرور الايام تأزمت نفسية لوتس أكثر فأكثر بعد خسارة عائلتها و موضوع الشاب الغريب مع كلام محيطها المشكك و الساخر أحياناً من قصته .. حتى لجأت إلى طبيبة نفسية كي تعالجها ، و للأسف رغم أن الطبيبة أراحتها نفسياً قليلاً بالعلاج المعرفي السلوكي و وصف الأدوية المناسبة ، إلا أنها كغيرها عزت قصة الفضائي إلى ضغوط نفسية عقب صدمة الحادث و فقدان الأحبة و جسدية كارتجاج الدماغ ..

******

بعدها بشهر :

كانت لوتس متمددة على الأريكة في غرفة الجلوس تتابع التلفاز في فترة الحجر الصحي المريرة عقب انتشار فيروس زوسا الفتاك .. غمامة من الاكتئاب تحوم فوق رأسها ، و ذاكرتها تجتر آلام فقدان زوجها و ابنها باستمرار على نحوٍ لا يرحم و يطحن قلبها طحناً.. سخرية الآخرين من قصة الكائن الفضائي الذي رأته تعصف بروحها و تزلزل ثقتها بنفسها ، كأن مصائب الحياة اجتاحت حياتها دفعة واحدة ..

على حين غرة أخذت شاشة التلفاز أمامها بالتشوش ثم ظهر فجأةً عليها الشاب ذاته الذي أنقذها ليلة الحادثة و هو ببساطة سولاس ، فقفزت من الأريكة بهلع ، هل تعاني من اضطراب نفسي بالفعل ؟!! لكن صوته الغريب ذاته أعادها للواقع :

● سولاس : سيدة لوتس .. أعتذر مجدداً عن تسببي بالحادثة المأساوية لك في تلك الليلة و فقدان عائلتك بسبب قلة تركيزي و حذري .. كما أنني متأسف جداً للوضع الاجتماعي الذي سببته لك بسبب قصة تحولي إلى كائن فضائي ، كان ذلك غير مقصود و نجم عن ضغطي بالخطأ على زر في سوار معصمي بسبب ارتباكي بعيد الحادثة و قلقي عليكم .. أنتِ لم تكوني متوهمة فأنا بالفعل كائن من كوكب آخر هكذا ..

ضغط زراً في سواره فتحول شكله بالفعل إلى هيئة الكائن الفضائي و تابع حديثه ..



● سولاس : لقد تركت لك في صندوق البريد خارجاً طرداً يحتوي نظارات واقع افتراضي خاصة بي .. إن أردت معرفة قصتي أكثر فأنا مستعد لشرحها لك عبر تلك النظارات كنوع من التكفير عن خطأي الفادح في تلك الليلة المشؤومة .. شريطة أن تبقي قصتي سراً بيننا .. و أحيطك علماً بأن تلك النظارات ستتدمر تلقائياً في حال استخدمها أي شخص آخر غيرك فهي تتعرف على بصمة قزحيتك فقط .. و أترك لك حرية الاختيار .. إما أن ترفضي اعتذاري و تتابعي حياتك كما هي ، أو تغفري

لي و نتابع التواصل كي أقص عليك أموراً مذهلة بحق عن نفسي و كوكبي الأصلي مؤكداً لك أن ذلك كله سيبلسم كثيراً من جراحك و يعيد إليك حيويتك و طاقتك مجدداً .. إلى اللقاء ..

تشوشت الشاشة مجدداً ثم عادت إلى القناة السابقة التي كانت لوتس تشاهدها .. في حين كانت الأخيرة في حالة صدمة و ذهول لا توصف .. إذاً فهي لم تكن واهمة تلك الليلة .. يا إلهي المخلوقات الفضائية حقيقية !! لكن ما الذي يدفع كائن فضائي غريب عنها إلى مساعدتها ليلة الحادثة ثم الاعتذار منها الآن عبر هذه الطريقة الغريبة ، بل أكثر من ذلك إنه يعرض فرصة للتواصل معها أيضاً ؟!

مضت بضعة دقائق من الذهول .. ورغم هول الصدمة و المفاجأة التي شلت دماغها إلا أن شعوراً خفياً و مبهماً كان يدفعها إلى تصديق كلام ذلك الكائن ربما من باب تعلق روحها بأهداب الأمل بالشفاء من كارثة خسارة عائلتها .. حملتها قدماها كالمسحورة إلى خارج المنزل و فتحت صندوق بريدها لتجد بالفعل طرداً ورديا بداخله فأخرجته و عادت أدراجها إلى منزلها ..

جلست على الأريكة مترددة للحظات ثم فتحت الطرد و وجدت بداخله نظارات واقع افتراضي بيضاء كما وصفها الكائن بالضبط ، لم يكن هنالك على سطحها سوى زر

أزرق وحيد ، رفعتها بيديها و ارتدتها ثم ضغطت الزر الازرق ..



سرعان ما وجدت نفسها على سطح كوكب آخر غير الأرض كما يبدو .. شعرت بأنها ستسقط من هول الصدمة و لدهشتها ارتج جسدها داخل هذا العالم الافتراضي بالفعل و كأن كل ما يجول في دماغها يترجم إلى واقع فعلي هناك .. نظرت إلى جسدها فكان على هيئة فضائية أيضاً فابتسمت برهبة ، إنها تجربة فريدة في جسد جديد على سطح كوكب آخر !! .. حاولت أن تمشي بتحريك قدميها و يديها و بالفعل بدأت بالتحرك و هي تلتفت من حولها لتجد منازل غريبة كروية الشكل .. مع

انتشار مكثف للطبيعة في كل مكان و مركبات غريبة بأشكال مختلفة تحوم حولها في الأجواء .. إنها الجنة كما تتخيلها !!



كان كل شيءٍ ساحراً و غريباً على نحوٍ يفجر العقل حرفياً .. و فجأة شعرت لوتس بيد توضع على كتفها فالتفتت بدهشة لترى كائناً فضائياً يبتسم لها بود ..

● سولاس : سيدة لوتس .. أهلاً بك على سطح كوكبنا المذهل باي ، أنا الشخص الذي تسبب بحادثتكم الأليمة و أدعى سولاس .. أعتذر مجدداً على كل شيء سيء

أصابك بسبب إهمالي ..

○ لوتس مذهولة و غير مصدقة لما يحدث : لا داعٍ للاعتذار المتكرر سيد سولاس .. لقد كان قدراً لا مهرب منه و يكفيني أنك تعترف بخطئك و تطلب الغفران .. لكن لماذا ساعدتني يوم الحادثة و أنت غريب عن كوكبنا .. و لماذا تعرض سرك للانكشاف اليوم بالتواصل معي بغية اعتذار لن يغير ما حدث ؟

● سولاس : أنا شخص منفي من كوكبي بجميع الأحوال فلا أخشى العواقب سيدة لوتس .. و بصراحة الشعور بتأنيب الضمير ينهش أعماقي منذ يوم الحادثة .. فقد اتخذت على نفسي عهداً بأن أساعد كل إنسان مظلوم ألتقيه على كوكبكم على خلفية موقف نبيل تجاهي من قبل فتاة التقيتها في دولة تشيلي منذ **56** عاماً غيّر كثيراً من نظرتي السابقة للبشر .. لذا لم أتحمل فكرة أن أكون بنفسي سبباً في ظلم شخص و آلامه ثم أتوانى عن تصحيح خطأي و تقليل حجم الأضرار التي ألحقتها به ..

○ لوتس بابتسامة : موقف نبيل منك بلا شك يترك انطباعاً مبهراً عن شعبكم .. لكن كيف أتمكن من رؤيتك و كيف شعرت بيدك على كتفي و نحن في واقع افتراضي كما ينبغي !!؟

● سولاس : هذه النظارات هي درة الاختراعات في

كوكبنا ، يمكنك من خلالها زيارة أي عالم حقيقي أو افتراضي و العيش بداخله و التفاعل معه بحواسك جميعها .. و ما يحدث الآن أن نظارتينا مقترنتان معاً فنتشابك سوياً في نفس العالم ، على سبيل المثال اقتربي من هذه الزهرة و حاولي شمها ..

بالفعل مالت لوتس إلى الزهرة و تمكنت من لمسها و شمها كما لوكان كل شيء حقيقياً و كان عبقها ساحراً أشرق دماغها معه بكليته فابتسمت بسعادة حقيقية لم تجربها من قبل أبداً على كوكب الأرض ..

○ لوتس : مذهل !! لكن كيف يحدث هذا ؟

● سولاس : إنه التطور التكنولوجي ببساطة .. و كل ما ترينه الآن على كوكبنا سيكون مستقبل كوكبكم ذات يوم ، فقد بدأتم مثلاً السير على طريق الذكاء الاصطناعي و الواقع الافتراضي و ما أنجزتموه حتى الآن يبدو عظيماً و إن كنتم لا تزالون في بداية الرحلة.

○ لوتس : و هل يمكن التذوق أيضاً ؟

● سولاس : بالطبع و أكثر من ذلك .. أهلاً بك في كوكب باي فخر التطور العلمي في الكون و أول حضارة كونية على الإطلاق ..

○ لوتس : أنتم موجودون قبل البشر ؟

● سولاس : بالطبع ، و بمئات الآلاف من السنين ..

○ لوتس : و لماذا تزور الأرض بشكل سري .. لماذا لا تتواصلون مع البشر و تتعاونون معهم ؟!

● سولاس : لأن البشر لا يؤتمن جانبهم يا صديقتي .. ربما هنالك قلة طيبون كحالك مثلاً .. لكنها ليست السمة الغالبة على البشرية .. و نحن لا نعرف ما مصير أفراد شعب باي في حال تجلوا بحقيقتهم بين البشر .. إن عددنا ثابت يا صديقتي فنحن لا نتكاثر و كل فرد يموت فينا هو خسارة لا تعوض .. صحيح أن بإمكاننا استنساخه ، لكن الأجساد المستنسخة أقل كفاءة و أقصر عمراً ..

○ لوتس : و ربما استقبلكم البشر أحسن استقبال ..

● سولاس : ربما .. لكن تجاربنا على أرض الواقع أثبتت العكس .. و خير دليل على ذلك هو المنطقة **51** في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث تم اعتقال بعض من أفراد شعبنا و أجريت عليهم تجارب مرعبة .. فكيف بعد كل ذلك تتوقعون منا التعاون معكم ؟! و في الحقيقة لقد جرى التعاون بيننا و بين حضارات قديمة على سطح كوكبكم كالفراعنة مثلاً و ساعدناهم على بناء الأهرامات .. حتى أن بناءها بالكامل معتمد على النسبة باي كما أكد علماؤكم ، و ما زال المصريون حتى يومنا هذا يستعملون كلمة (بيه) للإشارة إلى الشخص رفيع القدر و هي كلمة

محرفة عن باي .. إذ أن أجدادهم كانوا يكنون لنا احتراماً كبيراً قبل أن يبدد الأحفاد ذلك و يتحولوا إلى خطر محدق بنا كغيرهم من البشر ..

○ لوتس : و ما هي النسبة باي هذه ؟!

● سولاس : هي النسبة المقدسة في كوكبنا ، و قد أطلقنا عليه باي تيمناً بها .. و تمثل نسبة محيط الدائرة إلى قطرها، ويساوي تقريبا **3.14**..... لكنه في الحقيقة رقم سحري بامتياز فهو بلا نهاية ، و نحن نؤمن بأن الدائرة هي أقدس شكل في هذا الكون و بأن النسبة باي المنبثقة عنها هي سرّ الإله الخالق في كونه ..



○ لوتس : أنت تتحدث عن إله خالق للكون ، هل لديكم عقائد دينية على كوكبكم كحالنا على الأرض ؟

● سولاس : لا .. لا أديان .. لا أنبياء .. لا بيوت عبادة .. النبي الوحيد الذي نؤمن به هو العقل .. لذا لدينا شخص حكيم انتخبناه منذ آلاف السنين ليكون مرشدنا و ندعوه (العقل الأعظم) الذي يتشاور مع مجلس عقول مؤلف من **25** شخصاً ليخرج بالقرارات المصيرية المتعلقة بشعب باي .. **و غياب الدين هو سرّ تطورنا التكنولوجي الكبير** ، فالدين كما يقال على كوكبكم هو أفيون الشعوب ، يفتر همتها و يجعلها تعيش في الآخرة قبل انقضاء الدنيا ، كما أنه مدخل للشقاق و الخلافات التي لا طائل منها و من ثم الحروب الطاحنة ..



○ لوتس : إذاً أنتم لا تؤمنون بوجود إله ؟! ..

● سولاس : لا .. ليس صحيحاً .. رغم أننا لم نحظَ بأنبياء لكن عقولنا قادتنا لوجود خالق مبرمج للكون بل إن اكتشافاتنا العلمية أثبتت ذلك بما لا يدع مجالاً للشك ، فمثلاً تمكنا من رسم **خريطة دقيقة رباعية الأبعاد للكون** أثبتت لنا بأن له حدوداً تخفي خلفها عالماً مجهولاً بالنسبة لنا ، لكننا تمكنا من رصد إشارات غامضة منه و هذا لا يمكن أن يحدث دون وجود عالم آخر خارج هذا الكون يدعوه شعبنا (الكون الأكبر) و هو يكافئ في أديانكم السماوية (الآخرة) .. حتى أن تحليلنا لأديانكم هذه أوصلتنا لحقائق مذهلة أنتم بأنفسكم تجهلونها و تهدرون وقتكم بالجدل البيزنطي و الجزئيات السطحية و الصراعات التي لا تقدم و لا تؤخر ..

○ لوتس بدهشة : حقائق من قبيل ماذا ؟! ..

● سولاس : أعتذر عن إفشاء هذه المعلومات فهي أسرار مقدسة على سطح كوكبنا و لا يمكنني حتى اللحظة أن أبوح بها إلى غريب عن شعب باي .. لكن يمكنني القول بأنّ الحياة على كوكبكم الأرض برمتها و بحسب دراساتنا الدقيقة مصممة إلهياً و فق نسبيتين مقدستين و هما **باي** ذاتها و **فاي** أيضاً التي تساوي بدورها **1.618** أو ما تطلقون عليها على كوكبكم النسبة الإلهية الذهبية ..

○ لوتس : مذهل !! الدين هو الفرامل التي تكبح عجلة التطور العلمي ..

● سولاس : بلا شك ، لكن ذلك لا يقلل من تأثير الروحانيات الإيجابي على حياة الكائنات ، فالفرق هائل بين من يعيش في دنيا و هو مؤمن بأن موته هو نهاية أبدية لكيانه ، و بين من يعيش و هو مؤمن بأن هنالك حياة خالدة ابدية تنتظره عقب موته ، فالأول يميل للأنانية و العدوان و الثاني يميل إلى الإيثار و السلام .. أو كما يقول عالمكم الشهير ألبرت أينشتاين :

(العلم بلا دين أعرج و الدين بلا علم أعمى)

○ لوتس : محق .. إنهما كتوأم سيامي ملتصق لا يمكن فصلهما عن بعض إذ أنهما يكملان بعضهما ..

● سولاس : بالضبط .. عند وضع الأمور في نصابها الصحيح يمكننا حصد إيجابيات كل من العلم و الدين ، أما إساءة استخدامهما ففيه هلاك للكائنات بلا شك ..

○ لوتس : تماماً .. لكن ما الذي تريده مني سولاس ؟ لماذا تواصلت معي اليوم مجدداً ؟!

● سولاس : لأسباب عديدة صديقتي لوتس .. **أولاً** كي أعتذر منك عن خطئي الجسيم بقلة حذري و الذي أودى بحياة أقرب شخصين إلى قلبك .. و **ثانياً** لأنكم عائلة طيبة ، لقد فضل زوجك الخروج عن الطريق و تعريض

حياتكم للخطر على أن يصدمني و يؤذيني و هذا إن دلّ على شيء فيدل على أخلاقكم الرفيعة .. و **ثالثاً** أردت أن أريحك من عذابك النفسي و حيرتك بخصوص كوني فضائياً أم لا و أثبت لك أنك لم تكوني متوهمة ، و أن الآخرين الذين يسخرون منك مخطئون .. و **أخيراً** تجربتك هنا على سطح كوكبنا ستكون بمثابة علاج نفسي و نقاهة لك من آثار الحادث المؤلمة كما سترين بأم العين بعد لحظات .. إن قبلت متابعة مغامرتك بصحبتي هنا بالطبع !

○ لوتس : و كيف لي أن أرفض هذا العرض السخي من شخص طيب و نبيل كحالك يا صديقي .. إن صدقك وأخلاقك الرفيعة جعلتني أرى هذا الواقع الشاذ المرعب على سطح كوكب آخر مع مخلوقات مختلفة عنا كوضع طبيعي .. **فالكائن الحي بالنهاية هو مضمون لا شكل .. و وحش يحترمك أفضل من إنسان يحتقرك** فما قولك بكائنات نظيرتنا في الخلق بل ربما افضل منا كما يظهر لي حتى الآن !! ..

● سولاس : هذا قرار يسعدني بالفعل .. تعالي لأعرفك أكثر على أسرار كوكب باي المذهلة ..

○ لوتس : هيا بنا ..

مشيا في الطرقات المرصوفة بالأحجار المصقولة الملونة حتى بلغا منزلاً أبيض ضخماً و فخماً يختلف عن بقية

البيوت الزجاجية الكروية ..

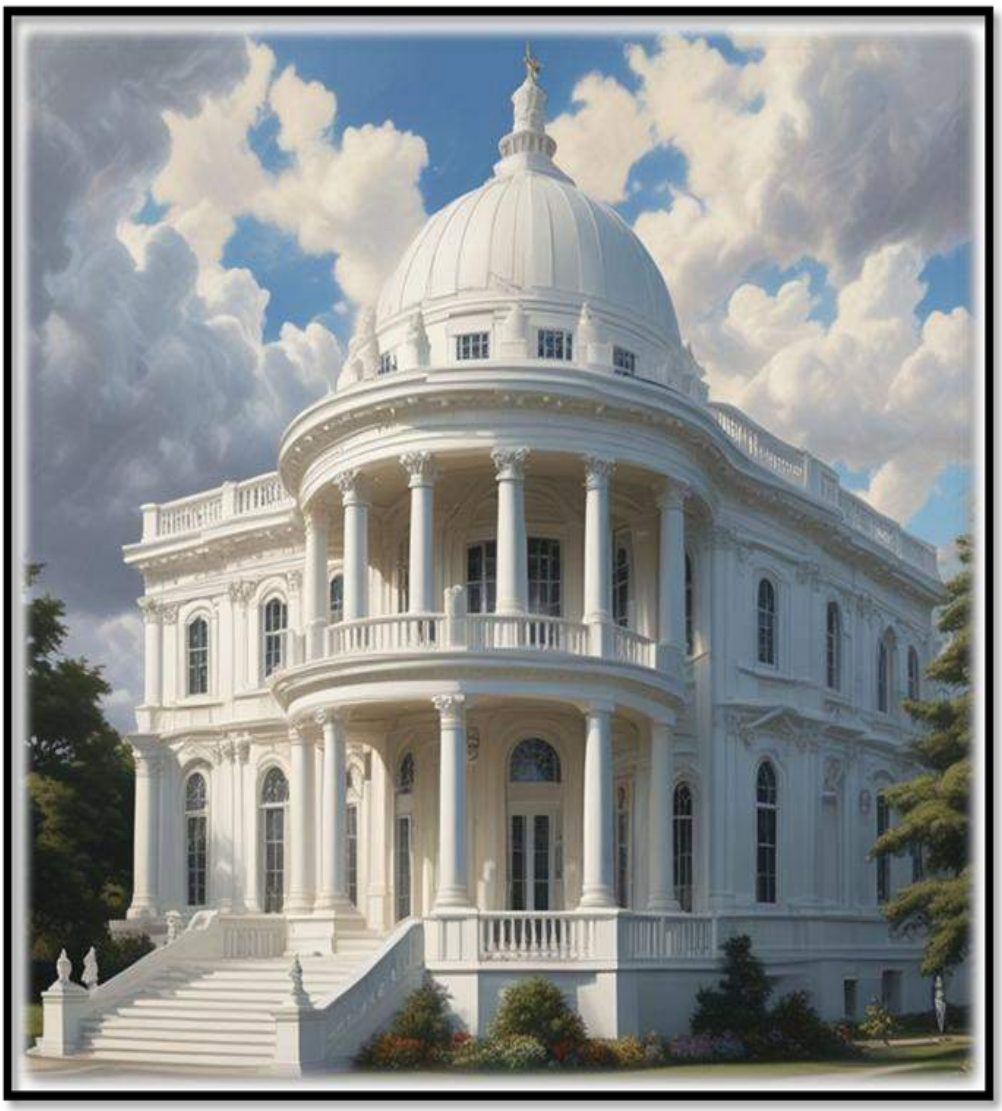

● سولاس : هذا المنزل ندعوه (**بيت السعادة**) لأن من يدخله ينسى أحزانه و هموم الكون برمته بفضل الرفاهيات المتوفرة بداخله و المحكومة بالذكاء الاصطناعي شديد التطور .. هل تعرفين كم استغرق بناؤه يا صديقتي ؟

○لوتس : يبدو معقداً من الداخل بناءً على كلامك .. لا أدري ربما ستة أشهر أو أكثر ..

● سولاس بابتسامة : بل هي ساعتان لا أكثر ..

○ لوتس بدهشة : مستحيل !!

● سولاس : أبداً .. بل إن صناعة أي شيء على كوكبنا لا يستغرق أكثر من ذلك ..

○ لوتس : و كيف يتم ذلك ؟

● سولاس : باستخدام **طابعات ثلاثية الأبعاد عملاقة** و **متطورة** ، تدخلين التصميم المطلوب إليها و خلال دقائق فقط يتم إنشاء التصميم المطلوب من المواد الأولية التي ندعوها هنا (**مينا**) ..

○ لوتس : و ما هي هذه المادة الغريبة ؟

● سولاس : مادة من ذرات صنعية تملك قابلية التحول إلى أي عنصر كيميائي نريده .. حيث يتم إدخال نوع المواد المرغوبة إلى الطابعة مع نسبها و شكلها النهائي و الآلة تتكفل بالباقي ..

○ لوتس : يا إلهي ..

● سولاس : بل هنالك ما هو أغرب من ذلك .. هنالك **آلات خاصة بصناعة أي شيء تريدينه** من طعام أو شراب أو ملابس أو أدوية أو أي شيء يخطر ببالك ، فقط تضعين كرة من مادة المينا في جهة من الآلة ثم تختارين

من القائمة ما تريدين صنعه و تضغطين زر البدء و خلال لحظات سيكون أمامك الشيء المطلوب على أفضل هيئة .. إنها ببساطة عملية تفكيك المادة إلى ذرات أولية ثم معالجتها كيميائياً و إعادة تركيبها بالهيئة التي نريدها ..

○ لوتس : مثلاً لو أردت شطيرة هامبرغر ..

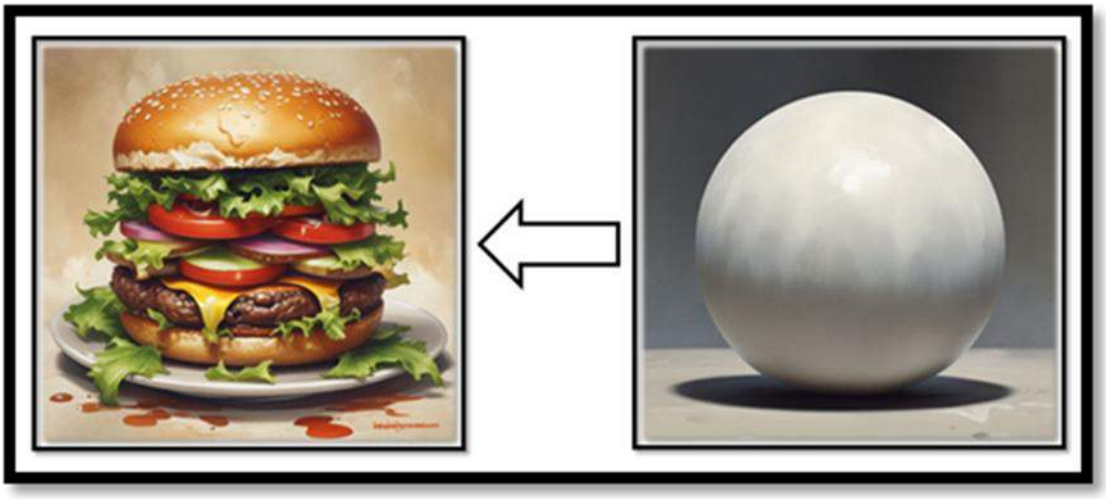

● سولاس : أي شيء يا صديقتي .. أي شيء .. بالمناسبة الطعام و الشراب لدينا متطور للغاية عن كوكبكم ، حيث تمكنا من صنع مواد تحقق **أقوى و ألذ مذاق** يمكن أن تتخيليه بدراسة الحليمات الذوقية بدقة و عمق أكثر ..

○ لوتس : مثير للإعجاب و الذهول ..

● سولاس : و هنالك أيضاً خاصية **الانتقال الآني للأجسام** التي تعتمد مبدأ تحويل المادة إلى طاقة تنتقل عبر الأثير ثم إعادة تحويل الطاقة إلى المادة الأولية في البقعة الجغرافية المنشودة ، و هذا السوار بيدي مثلاً يقوم بهذه العملية ..

○ لوتس : هل يمكنك تجريبه الآن ..؟

● سولاس : للأسف لا ، فنحن في عالم افتراضي يا صديقتي ، لكن يمكنك تجريبه بنفسك على كوكب الأرض إن التقينا بعد هذه المغامرة ..

○ لوتس : هذا يسعدني للغاية .. هل يمكنني مثلاً أن أنتقل من بلدي إيرلندا الشمالية إلى أستراليا ..

● سولاس : بالطبع ، يمكنك الانتقال إلى أي موقع جغرافي شريطة أن يكون مخططه محفوظاً على السوار بدقة، فمثلاً أنا قمت بإدخال البيانات الدقيقة لكوكبكم الأرض من الشبكة العنكبوتية إلى السوار فأصبحت قادراً على التنقل من قارة لأخرى بضغطة زر واحدة ..

○ لوتس : مذهل ..

● سولاس : بل أكثر من ذلك ، هذا السوار يمكنه مسح صورة أي كائن أمامه ثم تحويل جسدي إلى هيئته بنفس التقنية أي تفكيك المادة ثم إعادة بنائها ..

○ لوتس : حتى الحيوانات ..

● سولاس : بل حتى النبات و الجماد ، لكن بالطبع عليك اختيار الهيئة بحذر بحيث يمكنك ضغط الزر مجدداً للعودة إلى هيئتك الفضائية الأساسية و إلا بقيت حبيسة الهيئة الجديدة إلى الأبد ..

○ لوتس : أي كمارد الفانوس في فانوس ..



● سولاس مبتسماً : بالضبط ، بمناسبة الحديث عن مارد الفانوس تعالي لأحدثك عن تطور **الذكاء الاصطناعي** على كوكبنا ، إنه أشبه بقدراته بمارد الفانوس ، فهو يمكنه إنجاز أي أمر توجهينه إليه ..

○لوتس : من قبيل ماذا ؟

● سولاس : مثلاً هذه النظارات التي نرتديها تحوي ذكاءً اصطناعياً يدعى (**هالي**) .. انظري مثلاً ما يمكنه فعله .. **هالي** انقلني أنا و لوتس إلى شاطئ جزيرة استوائية بهيئة بشرية لكلينا ..

خلال لحظات تغير المكان من حولهم إلى شاطئ جزيرة خلاب مع صوت هدير الأمواج ينساب إلى أذني لوتس ،

بل إنها شعرت بدفء أشعة الشمس أيضاً .. نظرت إلى جسدها فكانت على هيئة فتاة إفريقية فابتسمت من تجربتها الجديدة بدورها ..



○ لوتس : يا إلهي .. شيء لا يصدق .. !!

● سولاس : و يمكنك السباحة إن شئت أيضاً ..

○لوتس : هل أنت جاد ؟

● سولاس : في العالم الافتراضي الذي صممه شعب باي ، يمكنك تجربة أي مغامرة تريدين بحذافيرها و باشتراك حواسك كلها أيضاً ، إنه يحكم كوكبنا حرفياً و

كل شيء في حياتنا اليومية قائم على الأوامر الصوتية التي يلبيها مارد الفانوس دون تلكؤ أو اعتراض أو خطأ .. لقد نجح البشر على كوكبكم في زرع بذرة هذا التطور بإنشاء عين لاس فيغاس العملاقة التي تؤمّن تجربة شبيهة بهذه التجربة و إن كانت خجولة و بعيدة بسنين ضوئية عما وصلنا إليه هنا .. لكن السنين أمامكم و لا شك أنكم ستبلغون هذه الدرجة عاجلاً أم آجلاً ..

○ لوتس : بمناسبة الحديث عن كوكبنا ، إنكم تعيشون في الجنة حرفياً ، فلماذا تكترثون بكوكب الأرض البدائي بالنسبة لكم ..؟!

● سولاس : نحن نهتم بأي حياة غيرنا في الكون و نتابع تطورها ، لأنها إن بلغت ما بلغناها فلربما أفنت حضارتنا من الوجود ..

○ لوتس : تقصد أنكم في حالة حرب باردة دائمة ..؟

● سولاس : يمكنك قول ذلك ..

○ لوتس : سؤال آخر يفرض نفسه بحكم أنني أستاذة فيزياء للمدرسة الثانوية ، أنا أعلم بأن أسرع شيء في هذا الكون هو الضوء و هو يحتاج آلاف مؤلفة من السنين كي يقطع مسافات الكون الشاسعة فكيف تمكنتم من الوصول إلى كوكب الأرض ..؟!

● سولاس : بالاعتماد على **فقاعة الاعوجاج** يا صديقتي

○ لوتس : فقاعة الاعوجاج ؟!

● سولاس : بالضبط ، إنه مصطلح نظري بحت وجديد على البشر حتى الآن ، لكننا تمكنا من دراسته بعمق كافٍ و طبقناه على أرض الواقع فتمكنا من السفر بين الكواكب ثم بين المجرات ، و هذا مصير البشر على الأرض في المستقبل أيضاً..

○ لوتس : لقد أثرت فضولي ، هلا شرحت لي باقتضاب فكرة فقاعة الاعوجاج هذه ؟



● سولاس : من دواعي سروري .. من المعروف أنه في إطار النسبية العامة التي اكتشفها على كوكبكم العالم ألبرت أينشتاين ، من الممكن تشويه نسيج الزمكان بطريقة تسمح لسفينة فضائية بالسفر بسرعة كبيرة .. هذا التشوه يحدث بفعل موجة تخلق أمامها انكماشاً بالفضاء و تمدداً خلفها، و بعد ذلك ستدخل المركبة الفضائية في داخل هذه الموجة وهو ما يعرف بفقاعة الاعوجاج ..

لتنطلق هذه الفقاعة بسرعات عالية دون الحاجة للمركبة أن تتحرك.. إنّ هذه الفقاعة الزمكانية بإمكانها السفر والتنقل في الفضاء بسرعات تتجاوز سرعة الضوء بكثير

○ لوتس : معقد و بسيط في آنٍ معاً ، أتمنى أن نصل إلى تطبيق هذه الفكرة عملياً و أنا على قيد الحياة ، فإحدى أحلامي أن أمشي على سطح كوكب المريخ و أرى كوكبنا الأرض من سطحه ..

● سولاس مبتسماً : و لماذا تنتظرين قدوم هذا اليوم ، لنفرك الفانوس قليلاً و نطلب من الجني تحقيق هذه الأمنية .. **هالي** ، هلّا نقلتنا أنا و لوتس إلى سطح كوكب المريخ بملابس رواد فضاء ..

خلال لحظات قليلة تغير المكان مجدداً لترى لوتس نفسها على سطح الكوكب الأحمر و الأرض تظهر ككرة زرقاء من بعيد .. كانت أرض المريخ منبسطة و جرداء و ممتلئة

بالحفر مختلفة الأحجام مع هضاب و تلال هنا و هناك



نظرت إلى جسدها فرأت بذلة فضاء حقيقية ، فرفعت يدها إلى سولاس بعلامة الانتصار .. لقد تحقق أحد أكبر أحلامها بأغرب طريقة ممكن أن تتخيلها ..

○ لوتس : شيء يفوق الوصف !!

أخذت لوتس تمشي على سطح المريخ بسعادة غامرة و هي تتلفت من حولها بذهول ، لكنها دون أن تشعر سقطت في منحدر عميق مخفي في الظلام .. ثم شعرت بنفسها تصطدم بالأرض و اجتاحت عاصفة من الألم دماغها مستعيدةً معه تجربة حادث السير مجدداً .. هرع إليها سولاس مبتسماً ..

● سولاس : تتألمين ؟!

○ لوتس : بشدة ..

● سولاس : لا عليكي .. إنه مجرد شعور فجسدك سليم .. هالي احذف شعور الألم من حالة لوتس و أعدها إلى الصحة التامة ..

بالفعل و بغمضة عين ، اختفى الألم كلياً .. ابتسمت لوتس

○ لوتس : إذاً فأنتم لا تتألمون على سطح كوكبكم ؟!

● سولاس : لا .. بل نتألم كحالكم ، لكننا الآن في عالم افتراضي يمكنه تغيير حالتك بأمر صوتي لا أكثر ..

○ لوتس : و كيف تعالجون آلامكم ؟

ساعدها على النهوض مجدداً و هو يتابع كلامه ..

● سولاس : إن الطب متطور كثيراً على كوكبنا ، و لنقل أن هنالك ثلاثة محاور أساسية تحكم حالتنا الصحية و نتفوق بها على البشر بمسافات ..

○ لوتس : المحور الأول ؟

● سولاس : المحور الأول هو **العلاج المتطور للغاية** ، فنحن يمكننا تسكين الآلام مثلاً بالتعرض لإشعاعات من جهاز يدوي تؤثر في مركز الألم في الدماغ و تثبطه .. كذلك حال السرطانات مثلاً فإشعاعات من طبيعة أخرى

تعطل أنزيم يدعى تيلوميراز في الخلايا السرطانية التي تجتاح الجسم وبالتالي تسبب هذه الإشعاعات موت الخلايا السرطانية ، لأن هذا الأنزيم هو سبب خلود هذه الخلايا بانقسامها المستمر ...

○ لوتس : علاج للسرطان .. مبهر !!

● سولاس : و أيضاً هنالك العلاج **بالخلايا الجذعية** التي توصلنا إلى درجات مثالية فيه ، و بحقنة وحيدة يمكن ترميم أي جزء تالف من الجسم دون أي اختلاطات أو عواقب مرضية .. هذا فيما يخص محور العلاج ..

○ لوتس : و المحور الثاني ؟

● سولاس : المحور الثاني هو تطور تقنية **الاستنساخ و التعديل الجيني** لدينا .. فتمكنا مثلاً من استنساخ كافة الكائنات المعروفة على سطح كوكبكم و وضعناها في حديقة حيوان شاسعة خاصة بكوكبنا بما في ذلك الحيوانات المنقرضة كالماموث و الديناصورات و غيرها

○ لوتس : مدهش !! و هل يمكنني رؤية ديناصور الآن على أرض الواقع ؟!

● سولاس : بمنتهى اليسر و البساطة .. **هالي** هلّا نقلتنا إلى **حديقة كوجاو** ..

خلال لحظات تغير المكان من حولهم مجدداً و أصبحوا

على طريق ضيق مرصوف بين الأشجار و لمحت لوتس ديناصورات بأشكال و أحجام مختلفة هنا و هناك .. إضافة إلى ماموث يرعى العشب منعزلاً .. كانت قريبة جداً فشعرت بقشعريرة تسري في جسدها ..



○لوتس : إنها قريبة للغاية ألا يمكن أن تؤذينا ..؟

● سولاس : لا تخشي شيئاً يا صديقتي هنالك عازل من مادة شفافة يفصل الغابات عن الطرقات ..

○ لوتس : يا إلهي .. منظر الديناصورات مهيب للغاية !!

● سولاس : أنت الآن تشاهدين منظراً لم يسبقك إليه أي إنسان منذ آدم و حواء .. هنيئاً لك يا صديقتي ..

○ لوتس : أشكرك .. إن ما أمر به في هذه التجربة الفريدة أشبه بمغامرات أليس في بلاد العجائب ..

● سولاس : و مجالات الاستنساخ لا نهاية لها .. أما التعديل الجيني فهو حكاية أخرى تماماً بعوالم أكثر إذهالاً ..

○ لوتس : مثل ماذا ؟

● سولاس : بادئ ذي بدء ، يمكننا إنتاج أي نبات أو حيوان بالهيئة التي نرغبها من حيث الحجم و اللون و الشكل .. كحوت بجناحين أو قطة بنفسجية اللون أو نحلة عملاقة .. أو أي شيء يجول في خيالك ..

○ لوتس : غير معقول !!

● سولاس : بل واقع حقيقي موجود على سطح كوكبنا .. يمكنك القول بأننا صممنا **برنامج فوتوشوب واقعي و ملموس**، و هنالك ما هو أغرب من ذلك أيضاً ..

○ لوتس : المزيد !!

● سولاس : بالطبع ، يمكننا إنتاج أي مادة خاصة بكائن من كائن آخر ، فمثلاً أنتم على كوكبكم تمكنتم عبر التعديل

الجيني من إنتاج خيوط حرير العنكبوت من ثدي الماعز .. أما نحن فالأمور تطورت أكثر بكثير .. فيمكننا مثلاً إنتاج ثمرة فاكهة تختزل فوائد الفواكه كافة في أحشائها .. أو إنتاج لحوم بيضاء من الماشية أو بيض كافيار من الطيور .. و هكذا .. خيارات لا حصر لها ..



○ لوتس : مدهش !! يتبقى لدينا المحور الثالث ..

● سولاس : المحور الأخير متعلق **بالروبوتات المجهرية** ، فقد تمكنا من صنع روبوتات بأحجام متناهية في الصغر يمكنها التغلغل داخل الجسد و تصوير كل شيء عيانياً بدءاً من البنية الجزيئية و انتهاءً بالأعضاء .. كما يمكنها إجراء الإصلاحات الضرورية ذاتياً و بكفاءة مثالية ..

و يمكنني اختصار ما سبق بأن الطب لدينا تطور إلى درجة لم نعد نحتاج فيها إلى أطباء .. بل بضعة إجراءات بسيطة تدرب عليها شعب باي لعلاج أي طارئ صحي

يعترضه ..

○ لوتس : مذهل !! إنّ الفرق بين تطوركم و تطورنا كالفرق بين الثرى و الثريا ..

● سولاس : مبدئياً يا صديقتي .. فكل ما نعيشه هنا سيصبح واقعاً ملموساً على سطح كوكبكم في المستقبل ، و أنتم على الطريق الصحيح حتى الآن .. لا تنسي بأن البشر منذ ثلاثة آلاف عام مثلاً كانوا يعتبرون الهواتف و الحواسيب و السيارات و غيرها ضرباً من الخيال .. لكنها أصبحت واقعاً حياً اليوم بفضل تطور العلم ..

○ لوتس : محق .. إنها دعوة إلى تقديس العلم و إلى التفاؤل و الأمل .. هل انتهت جولتنا ؟!

● سولاس : عجائب كوكب باي لا تنتهي يا صديقتي ، لكن سأكتفي للحين بمغامراتنا السابقة .. يتبقى أمامنا شيء وحيد فقط هو الأهم .. و غايتي من التواصل معك اليوم ..

○ لوتس : مفاجآتك لا تنتهي !!

● سولاس : هالي .. هلّا نقلتنا إلى العالم X ..

تغير المكان للمرة الأخيرة و شاهدت لوتس نفسها في مرج شاسع من الورود .. و في وسطه رأت آخر شيء يمكنها تخيله ، كان زوجها جيمس و ابنها بيتر جالسين

على كرسيين خشبيين يتحدثان بسعادة غامرة ..

○ لوتس بصوت تخنقه السعادة : جيمس .. بيتر ..

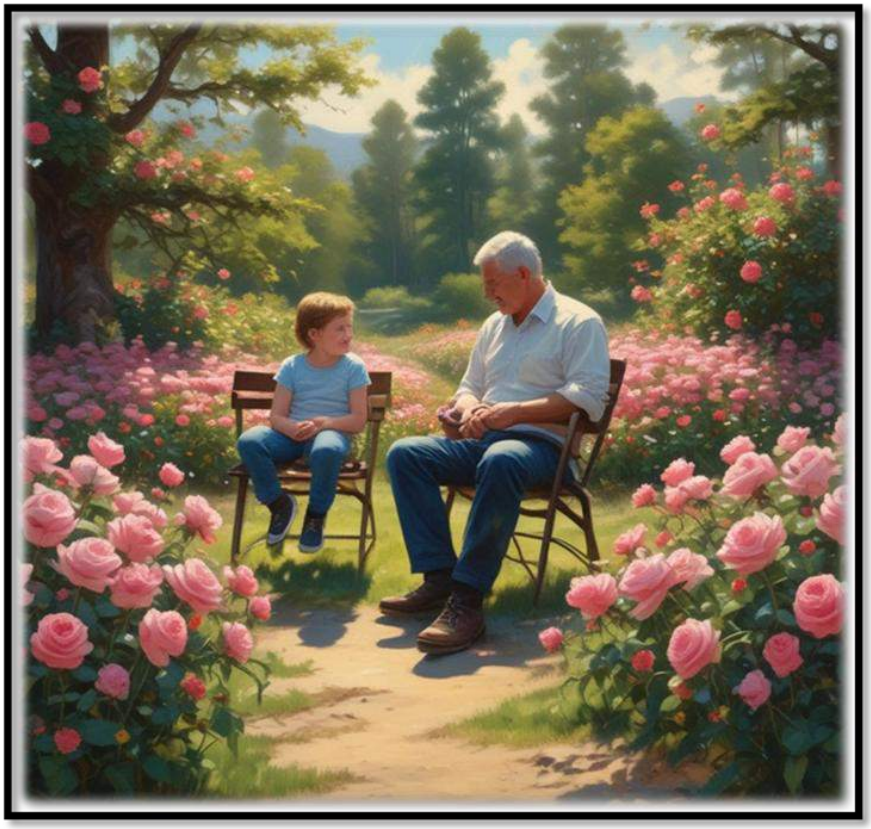

● سولاس : هذا هو اعتذاري لك سيدة لوتس عن خطئي الفادح .. يمكنك القول أن زوجك و ابنك يعيشان هذه الأجواء في الجنة الآن ..

○ لوتس بلهفة : و هل يمكنني التواصل معهما ..؟

● سولاس : لا أنصحك .. الذكاء الاصطناعي هالي قادر على برمجة شكليهما لكن يتعذر عليه ترجمة طباعها كونه يجهلها .. الموضوع برمته مجرد بيانات تدخل إليه .. لذا ستشعرين بأنهما غريبان عنك و هذا شعور مؤلم بلا ريب ..

○ لوتس بحزن : أفهمك ..

● سولاس : لا تحزني .. يمكنك رؤيتهما متى تشائين عبر نظارات الواقع الافتراضي خاصتك .. إنها هديتي لك فحافظي عليها جيداً ، و يمكنك إملاء أوامرك على هالي كيفما تشائين ، لقد أعدت برمجته على هذا الأساس ..

○ لوتس بامتنان : أشكرك سيد سولاس .. لقد أوفيت بوعدك حرفياً ، فمغامراتي السابقة أنعشت روحي الميتة بلا شك و أعادت لي الإيمان بالسماء و بنفسي و بالمستقبل .. و بالطبع بشعب باي الطيب المتطور ..

● سولاس : هذا يثير في أعماقي عاصفة من السعادة و راحة الضمير أخيراً .. هل أنت مستعدة للعودة إلى منزلك ؟

○ لوتس : بالطبع ..

● سولاس : و تذكري جيداً نظارات الواقع الافتراضي خاصتك مبرمجة للتدمير الذاتي متى تعرفت على قزحية مغايرة لعينيك .. لذا استخدميها بمفردك فقط .. و متى ما أردت التواصل معي ارتديها و اطلبي من هالي أن يشبك عالمك بعالمي ، على أمل أن نلتقي شخصياً على أرض الواقع في مناسبة لاحقة يا صديقتي ..

اقترب منها و احتضنها بلطف ثم قال ..

● سولاس : **هالي** ، أعد لوتس إلى عالمها الحقيقي في منزلها ..

و خلال لحظات أغشى الظلام عيني لوتس و سمعت أصوات السيارات بالخارج فنزعت نظارتها عن عينيها لتجد نفسها على الأريكة في غرفتها و كأنها لم تبرحها .. يا إلهي ، إنه أشبه بحلم سعيد ، منذ دقائق كانت فتاةً كئيبة على حافة الانهيار ، يمزقها ألم فقدان عائلتها و يطحنها شك الآخرين و سخريتهم من قصتها .. أما الآن فقد ولدت من جديد نابضةً بالحياة و الإشراق و الأمل و الثقة .. و كان داؤها هو دواؤها ذاته .. إنه سولاس .. الفضائي الغريب العجيب الذي دخل حياتها من بوابة كوكب باي المذهل ..

******

في مغالطتنا الجديدة (**ماذا لو** ؟) قررت عزيزي القارئ أن اتبع نهجاً مختلفاً في مقاربتها بأن أمهد لها عبر قصة قصيرة ابتدعتها من خيالي من باب المتعة و العلم بآنٍ معاً ، و هي تنطوي على مضمون مغالطتنا مع سؤالها الجوهري التالي :

(كيف ستكون عليه حياة البشر في المستقبل ؟)

فهل الأمور التي تطرقنا إليها في أحداث القصة ممكنة الحدوث فعلاً ، أم أنها شطحات خيال علمي غير قابلة للتطبيق كمغالطة حقيقية جديدة ، و الأمور في الغد ستتطور لكن ضمن نطاق ضيق لا غير ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية ، لكن قبل البدء بذلك لنقارب سوياً عزيزي القارئ هذه الفكرة الغريبة و العميقة :

لنتخيل للحظة أن شخصاً من زمننا الراهن عاد بالزمن قروناً إلى الوراء بطريقة ما فوصل إلى العرب في فترة الجاهلية ثم أخبرهم حقائق عن عالمنا المعاصر من قبيل

- ❁ الحواسيب
- ❁ الهواتف المحمولة
- ❁ الآلات الكهربائية المتنوعة
- ❁ المركبات بأنواعها (سيارة ، قطار ، طائرة ....)
- ❁ اقتحامنا لأعماق المحيطات و للفضاء
- ❁ معلوماتنا المذهلة عن الكون الواسع ..
- ❁ النظريات العلمية الحديثة في شتى حقول العلم ..

.

.

.

و القائمة تطول ، فكيف سيكون رد العرب على هذه الادعاءات ؟!

لا أشك للحظة أنها ستكون على شاكلة : (**أنت إما كاذب أو ممسوس أو مجنون فقد عقله**) .. و لا غرابة من هذا الرد ، فتبعاً لطبيعة حياتهم و حدود معرفتهم في تلك الآونة فهذه تخاريف لا أكثر ، لكننا ندرك يقيناً بأن كل هذه الأمور حدثت بالفعل مع تقدم العلوم و الاكتشافات على مر القرون ، و نعيشها واقعاً حياً اليوم ... لذا ما الغريب في أن يحتوي المستقبل القادم للبشرية على الأمور التالية على سبيل المثال لا الحصر :

① الواقع الافتراضي المتطور :

بدأنا منذ بضع سنوات نلتمس الإمكانيات الواسعة التي يمكن للواقع الافتراضي تحقيقها من نقلنا إلى عوالم افتراضية مثيرة نعيشها بحالة قريبة نوعاً ما من الواقع و إن كان الأمر لا يزال يحبو على خطى التطور ، لكن ماذا لو أنه أمكننا تطوير واقع افتراضي يمكننا فيه العيش ضمن أجساد حقيقية نشعر بها و تشعر هي بكل ما يحدث من حولها عبر مختلف أنواع الحواس فنلمس المياه و نشم الورود أو نتذوق الأطعمة و غيرها من الحواس الكثيرة .. أي أن نعيش حياة حقيقية في عوالم لا حصر لها و نحن جالسون في مكاننا لم نبرحه .. شخصياً أنا أجزم بأن

البشرية ستصل إلى هذه المرحلة و ليس ذلك ببعيد زمنياً على الإطلاق ..

② الذكاء الاصطناعي المتطور :

الذكاء الاصطناعي أمر مرعب بكل ما تحمله الكلمة من معنى و ما يقدمه للبشرية من خدمات تجعل المرء يقف مذهولاً لا يقوى على الوصف أو التعبير ، إنه أشبه بمارد الفانوس أو جنية تحقيق الأمنيات ..

و ما يزال في طور التطوير ، ماذا لو أمكننا إنتاج ذكاء اصطناعي يحقق لنا كل رغباتنا حرفياً بمجرد أوامر صوتية لا غير ، مثلاً تصميم منازل و مؤسسات ضخمة في غضون دقائق أو تشخيص الأمراض و علاجها أو قيادة المركبات على مختلف أنواعها، أو تأليف الأعمال الأدبية المحكمة ، أو برمجة الألعاب المعقدة أو تصميم روبوتات تنبض بالحياة لا تفرقها عن الإنسان أو الترجمة الآنية للغات بحيث يمكنك التفاهم مع أي شخص حول العالم بدون قيود أو مشاكل .. و القائمة تطول و تتسع .. و الأجمل أكثر أن يتعاون الذكاء الاصطناعي مع الواقع الافتراضي لتقديم أمور تفجر العقل حرفياً .. كما تحدثنا في القصة في مطلع مغالطتنا ..

③ إعادة تكوين المادة و هيكلتها :

ماذا لو تمكن العلماء من تطوير نوع معين من الذرات

المرنة القابلة للتحول إلى أي عنصر نشاء ، ثم كونا مواداً من هذه الذرات يمكن وضعها في آلات معينة تعيد هيكلتها إلى أي شيء نريده عبر برمجة معينة أي نحول المادة الخام إلى مادة بشكل و تكوين معين بحسب البيانات التي ندخلها إلى الآلة .. يمكننا حينها إنتاج الطعام و الشراب و الأدوية و الملابس و الأثاث .. بل أي شيء يخطر في بالنا خلال لحظات من مادة خام قابلة للتحول إلى أي عنصر كيميائي مرغوب .. ؟!

④ **الانتقال الآني في المكان** : ماذا لو تمكننا في المستقبل من ابتكار تقنية تحول المادة إلى طاقة تنتقل بسرعة الضوء إلى أي مكان نريده ثم يتم إعادة تحويل الطاقة إلى المادة الأصل مجدداً .. هذا أمر ليس كسراً لقوانين الفيزياء بالطبع ، فبحسب النظرية النسبية لأينشتاين ، أي جسم يتحرك بسرعات متزايدة يخسر من كتلته على شكل طاقة و العكس صحيح ، فإذا تمكنا من ترويض هذا التحول ضمن نطاق معين ، يمكننا نقل المادة من مكان لآخر بشكل طاقة ثم عكس العملية مجدداً ، و بالتالي يمكننا الانتقال آنياً بين قارات العالم بغمضة عين

⑤ السفر عبر أصقاع الفضاء :

حتى اللحظة و وفق قوانين الفيزياء النظرية يمكن السفر عبر الفضاء أسرع من الضوء عبر تقنيتين : الأولى هي

فقاعة الاعوجاج ، و الثانية هي الثقوب الدودية (جسور أينشتاين روزن) ، فماذا لو تمكن العلماء من تطبيق هذه النظريات عملياً ؟ سيصبح الكون على رحابته في متناول قبضتنا لنستعمر الكواكب و نكتشف المجرات ، بل أكثر من ذلك ، ماذا لو توصل علماء جدد إلى قوانين جديدة تكسر السرعة القصوى في الكون المسجلة باسم الضوء حتى اللحظة ؟!

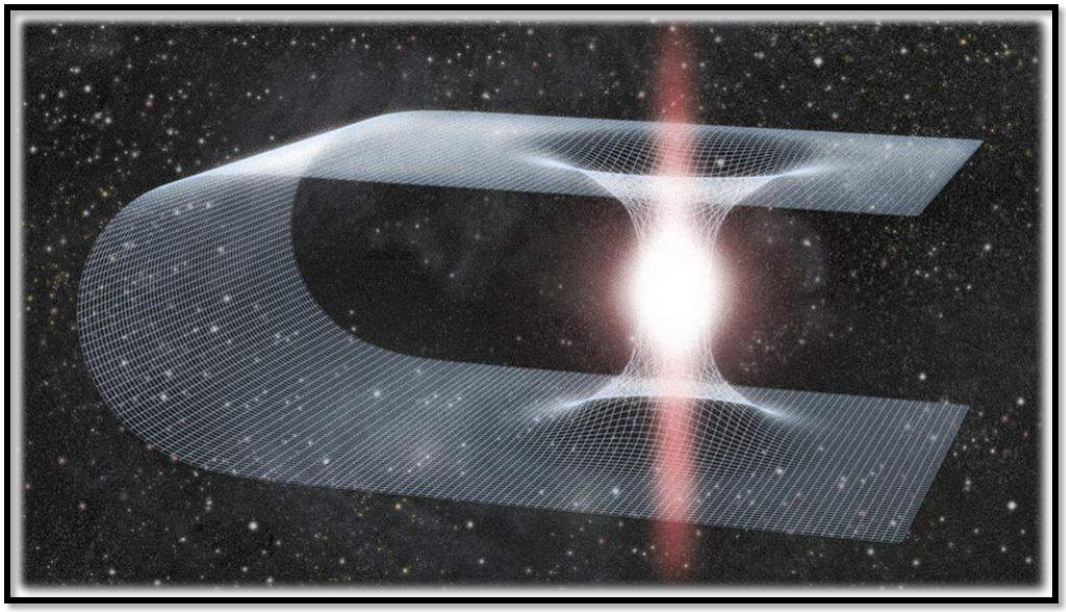

⑥ تطور الطب :

ماذا لو أن العلماء نجحوا في تطوير حقن من الخلايا الجذعية لتعويض الأنسجة التالفة في الجسم كحالات القصور الكلوي و الاحتشاء القلبي أو الدماغي أو التشمع الكبدي و غيرها بدون مضاعفات و بتكلفة قليلة.. أو صنع روبوتات مجهرية يمكنها التجول في الدوران و بلوغ أي عضو نشاء و إصلاح العيوب فيه ، أو ابتكار كبسولات

تقهر الشيخوخة أو تشفي من السرطان أو استنساخ الحيوانات المنقرضة أو التعديل الجيني للنبات و الحيوان لإنتاج سلالات أفضل و أكثر تطوراً أو نقل صفات البعض إلى البعض الآخر.... و غيرها من الأحلام الطبية .. في الحقيقة العالم وضع قدماً في نطاق تحقيقها منذ الآن و الموضوع مجرد مسألة وقت لا أكثر قبل أن تبصر هذه الأحلام نور الواقع من بابه العريض

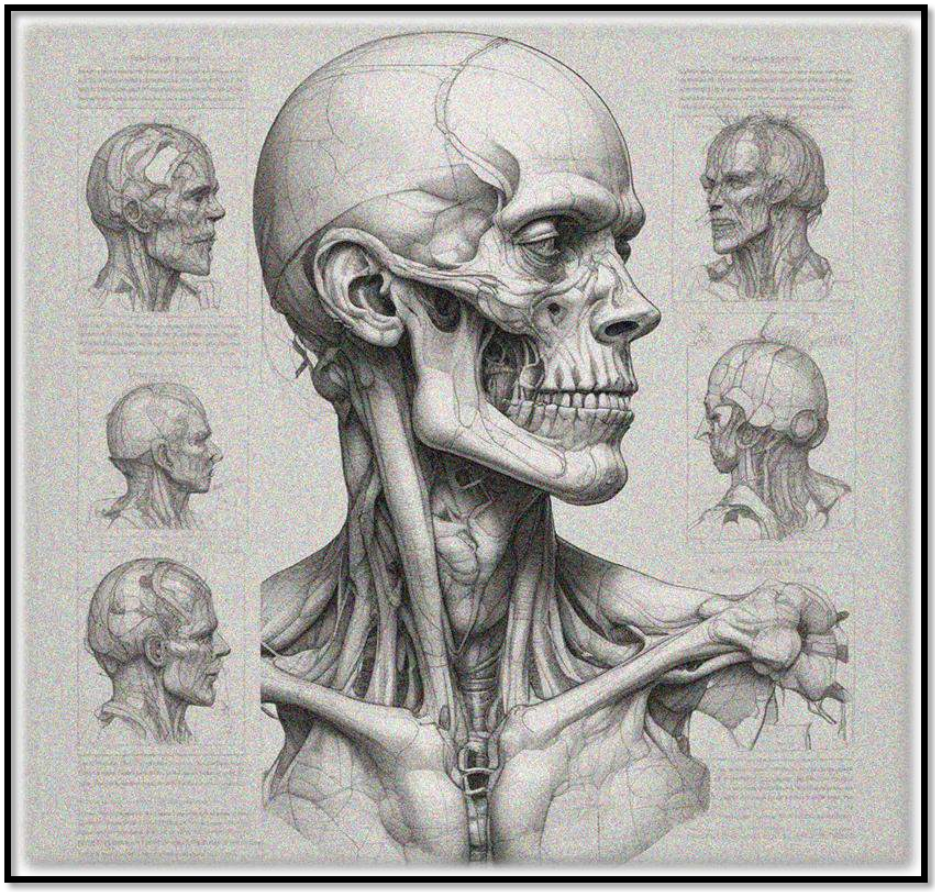

⑦ **التواصل مع الكائنات الفضائية**: ماذا لو تمكن العلماء من إثبات وجود حياة على كواكب أخرى خارج المجموعة الشمسية .. بل لو تمكنوا من إثبات وجود حياة أكثر تطوراً منا في مجرات أخرى ؟! ثم تمكنا من

التواصل معها و تبادل المعلومات و الخبرات كما حدث مع صديقنا سولاس في مطلع مغالطتنا .. و لا ننس بأن البارئ لمّح في الذكر الحكيم إلى أنّ هنالك كائنات حية غيرنا في هذا الكون و بأنه قادر على جمعنا بهم متى شاء في الآية التالية :

(ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما

من دابة وهو على جمعهم إذ يشاء قدير)

و بالطبع دواب السموات ليست الطيور لأنها تطير لا تدب من جهة و لأن الله يجمعنا بهم يومياً في كل مكان ، فما الغرابة في ذلك ؟! و لعل اللحظة التي سيشاء بها تعالى أن نجتمع بهم تكون في المستقبل القريب أو البعيد

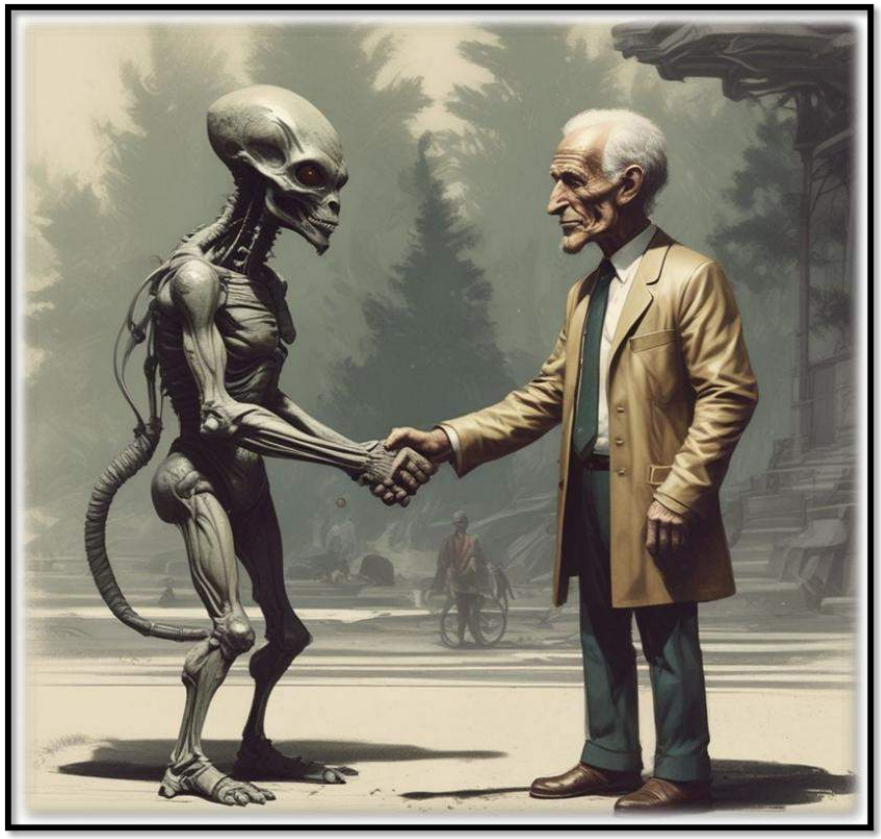

⑧ **بناء الذاكرة** : ماذا لو تمكن العلماء من ابتكار وسيلة لنقل و تحميل البيانات مباشرة إلى الدماغ ، أي يمكن للإنسان أن ينقل موسوعات كاملة إلى ذاكرته خلال لحظات فيمتلك أقوى سلاح في الكون و هو المعرفة في قبضته ؟ في الحقيقة لقد خطا رجل الأعمال **إيلون ماسك** أول خطوة على القمر في هذا الصدد بابتكاره للرقاقات التي تزرع في الدماغ ، و لا شك بأن ما سينجم عن تطور هذه التقنية يقارع أحلامنا السابقة و بقوة ..

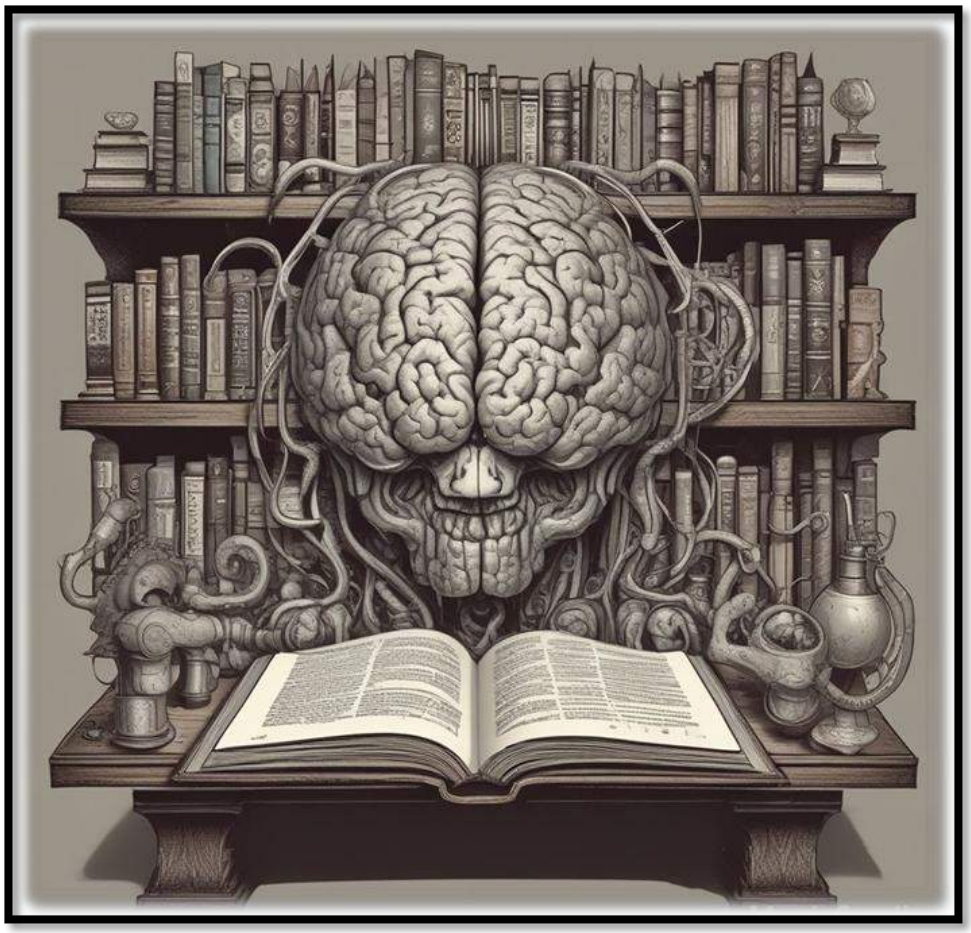

⑨ **السفر عبر الزمن** : العلم يجزم بأن السفر إلى الماضي أمر مستحيل علمياً ، و ما يؤكد ذلك غياب

الزوار من المستقبل عبر صفحات التاريخ باستثناء بعض القصص غير الموثقة ، لكن العلم يؤكد أيضاً بأن السفر إلى المستقبل أمر ممكن فعلياً و ذلك عبر الانطلاق بسرعات عالية تقترب من سرعة الضوء ، إذ أن الزمن سيتباطأ عندها بحيث نعود إلى طبيعتنا البشرية بعد لحظات في المستقبل البعيد كما يحدث مع رواد الفضاء مثلاً ، لكننا بالطبع سنصبح أسرى الغد و لن نتمكن من العودة مجدداً إلى وقتنا الراهن في معضلة حقيقية ، لكن مجرد التفكير بإمكانية السفر إلى المستقبل علمياً أمر يثير القشعريرة في الجسد ، ماذا لو تمكن العلماء من صنع آلة السفر عبر الزمن فعلياً ، ماذا لو ؟!!

تخيل عزيزي القارئ أن تستيقظ صباحاً فتعطي الذكاء الاصطناعي الأوامر كي يجهز لك الإفطار و يجلبه إلى سريرك، ثم تأخذ كبسولة دواء تحافظ على شبابك و رشاقتك و تبني عضلاتك ، ثم ترتدي نظارات الواقع الافتراضي فتذهب بوساطتها إلى عملك و أنت جالس في منزلك فتنجز واجباتك ، ثم تغيرها إلى واقع افتراضي آخر يتشابك مع عوالم أصدقائك الافتراضية فتذهبون جميعاً في رحلة إلى جزيرة استوائية حيث تسبحون و تشربون عصائر استوائية بنكهات رائعة ، ثم بعدها تشاهد مباراة كرة قدم لكنك تكون جزءاً من الملعب تركض هنا و هناك و تشاهد الأحداث من الميدان ، بعدها تنقل معلومات موسوعة جديدة إلى دماغك عبر **USB**

دماغي مباشر متطور لتثري ثقافتك أكثر .. و أخيراً تأخذ كبسولة دواء أخرى تجعلك تنام نوماً عميقاً بلا إزعاج أو إدمان أو اختلاطات صحية ..

ببساطة هذا ما ستكون عليه الحياة خلال عقود قليلة قادمة بدون أدنى شك !!!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**ماذا لو** ؟) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الجم خيالك المنطلق فلأحلامنا حدود ، و تطور البشرية سيتم على نطاق ضيق و معقول ..

بل أن نقول :

= لا حدود لخيال الإنسان ، و لا حدود لإمكانية تحقيقها ، فما كان يعتبر منذ قرون مجرد شطحات من الخيال العلمي ، بات اليوم واقعاً ملموساً نعيشه في حياتنا اليومية و كل ما يخطر في بالنا من إمكانيات و تصورات لحياتنا المستقبلية

سيتحقق بلا شك ..

ما سبق و شرحناه في هذه المغالطة ليس خيالياً بكليته ، بل له جذور واقعية منذ اليوم و المسألة مسألة وقت قبل تطور تقنياتنا الحالية لبلوغ أحلامنا السابقة كلها ، لنقل عزيزي القارئ أنني مسافر من المستقبل رأى هذا الواقع

بأم العين و عاد ليروي تفاصيل مغامرته ☺ ، أعلم أن هذا ليس صحيحاً لكن ثقتي التامة ببلوغ البشرية لكل تفصيل مما سبق و قاربناه تجعلني أرى ذلك ينبض بالحياة أمامي كما لو أنني سافرت عقوداً إلى الآتي بالفعل و شهدت عليه بنفسي ، بجميع الأحوال قادم العقود سيثبت ذلك ..



مغالطة العمالقة

(سدّ ذي القرنين)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟ يبدو عليك الاندماج و الاهتمام !!

= إنها قصة أغرب من الخيال ، يكاد يصعب تصديقها

= أثرت حفيظتي بالفعل .. هلا شاركتني بخلاصتها ؟

= بكل سرور .. تتحدث القصة عن عملاق قندهار ..

= عملاق ؟!

= أجل عملاق شوهد عام **2002** خلال الفترة الزمنية التي شهدت الحرب التي شنتها الولايات المتحدة ضد حركة **طالبان** في **أفغانستان**، والتي عُرفت آنذاك باسم **الحرية الدائمة** .. و قد خلّفت المعارك هناك للأسف سقوط عشرات القتلى من كلي الجانبين، إلى جانب تدمير مُدن بالكامل، و لكن كان لمدينة **قندهار** النصيب الأكبر من المعارك كونها مقرّ حركة طالبان ..

= و ما قصة هذا العملاق الغامض ؟!

= يذكر الشهود أنه مع قيام إحدى دوريات الجيش الأمريكي بجولة في أحد الجبال المنعزلة بتلك المدينة ، حدث أمر غريب للغاية، فقد اختفت تلك الدورية تمامًا دون أثر لها.. إذ انقطع الاتصال تماماً مع قائد هذه الدورية أثناء قيامها بمهمتها، الأمر الذي ترتب عليه إرسال فرقة خاصة من الجيش الأميركي للبحث عنهم، والذي وصل بهم الحال إلى أخر مكان لتواجد الدورية

المفقودة وهو مدخل كهف مظلم وعميق في جبال قندهار، وعلى مقدمة المدخل عثر على المعدات الخاصة بالدورية متناثرة بشكل عشوائي دون أي أثر للجنود ..

= غريب !! و بعد ؟

= خلال تفقد الكهف خرج منه **عملاق أحمر الشعر** يصل طوله إلى **4.5** متراً ، وأطرافه تنتهي ب **6** أصابع، يرتدي ثوباً جلدياً وتنبعث منه رائحة بشعة للغاية تشبه تماماً رائحة الجثث، حاول مهاجمة الدورية، فقامت بإطلاق النار عليه بكثافة كبيرة حتى أسقطته أرضاً، ثم تم نقله بمروحية عملاقة ليختفي دون أثر له .



= و لماذا لم نسمع به حينها ؟!

= يقال أنه تم توقيع اتفاقية مع الجنود لعدم إفشاء هذا السر أبداً ، لكن السر شاع بطريقة ما و أصبح موضوعاً دسماً يتداوله رواد مواقع التواصل الاجتماعي بكثافة ما بين مصدق و مكذّب ..

= مدهش !! و هل تؤمن بوجود عملاقة بالفعل ؟

= على الأرجح ، فهنالك بحسب قراءاتي مجموعة لا يستهان بها من الأدلة تدعم حقيقة وجودهم في الماضي مع احتمالية بقاء بعضهم حتى اليوم مختبئين عن أعين البشر الفضوليين تجنباً للأذى مثلاً ..

= أدلة !! من قبيل ماذا ؟

= تعال لأقص عليك أكثر حكاية العمالقة الغامضين ..

*****

جميعنا بعلم بأن كوكب الأرض حمل على ظهره منذ مئات السنين كائنات عملاقة **كالديناصورات** و **الماموث** و غيرها ، كما نعلم بأنها انقرضت و لا نرفض ذلك بل لا نشك به من الأساس كون العلماء اكتشفوا بالفعل هياكل عظمية لهم في شتى قارات العالم ..



فلماذا إذن يرفض كثيرون فكرة وجود بشر عمالقة في الماضي ؟ و هل فكرة وجودهم هي مغالطة بالفعل ؟ أم أنّ للعلم و الدين رأياً آخر في ذلك ؟ هذا ما سنحاول مقاربته في مغالطتنا الجديدة (**العمالقة**) كي نرفع النقاب عن حقيقة وجودهم من عدمها ، و سننجز ذلك عبر تحليلها من **3** زوايا (**التاريخ و العلم و الدين**)، فهيا بنا عزيزي القارئ نخوض سوياً هذه المغامرة الشيقة ..

① زاوية التاريخ :

بحسب المعلومات التاريخية فالعماليق أو العمالقة هو اسم أطلقه العرب على **قبائل البدو** في **بادية الشام والعراق** الأقدمين ..



ويعتقد أن **العموريين** و **الهكسوس** (الملوك الرعاة) منهم ، فتلك المجموعات البدوية اجتاحت بادية العراق والشام ومدن فينيقيا وكنعان ثم احتلوا مصر وأسسوا إحدى أكبر الإمبراطوريات في العصر القديم، ومن تبقى من هؤلاء البدو القدماء هم **العموريون** و **العمالقة والنبط** ، و قد اندمجوا مع العرب واستعربوا بعد الميلاد تدرجياً فأصبحوا عرباً ..

② **زاوية العلم** : تجتاح قصص العمالقة الحكايات والأساطير الشعبية في كل ثقافة تقريباً ،وعلى مدى المائتي سنة الماضية، وخاصة منذ أوائل القرن **20** كان هناك العديد من الاكتشافات لبقايا الهياكل العظمية العملاقة أو لآثار أقدام متحجرة، مما يشير ربما إلى أن الحكايات عن العمالقة هي أكثر من مجرد خرافة ..

افترض بعض العلماء أن وجود هذه الهياكل العظمية العملاقة هو محض صدفة ناجمة عن **داء العملقة** وهو إفراز **هرمون النمو** بكثرة قبل البلوغ .. لكن علماء آخرين يفترضون العكس و يوقنون بأن هنالك عمالقة حقيقيين عاشوا على سطح الأرض في الماضي السحيق ، و يبنون ثقتهم هذه على مجموعة اكتشافات علمية غريبة بلا شك و يجب الوقوف عندها مطولاً ، ومن هذه الاكتشافات نذكر مجموعة من **10** اكتشافات أثرية ستدهشك بلا شك عزيزي القارئ فهي أقرب لقصص

سيد الخواتم أو **صراع العروش** ، و ستجعلك تعيد تصورك للعصور القديمة ، عندما كان هنالك عمالقة حقيقيون يمشون على الأرض بين بشر عاديين.

❁ العظام العملاقة في بحيرة ديلافان :

في عام **1912**عثر **الأخوان بيترسون** جنوب غرب ولاية **ويسكونسن** في الولايات المتحدة على **18** هيكلاً عظمياً .. و المثير في الأمر هو الملامح العجيبة لهذه الهياكل، إذ يقارب طولها مترين ونصف متر..



بالإضافة إلى ضخامة رؤوسها، التي كانت أكبر من رؤوس أي جنس عاش في الولايات المتحدة، بل كانت عظام الفك أيضاً طويلة و بارزة، و الأسنان سليمة و

طبيعية مما ينفي داء العملقة.. لذا لم يكن أمام علماء الأنثروبولوجيا والآثار خيار سوى الإيمان بوجود عمالقة سكنوا الأرض بالفعل في أزمنة بعيدة، لكننا عاجزون حتى اليوم عن معرفة أي شيء عن حضارتهم !

❁ عمالقة وادي الموت :

يقع وادي الموت في **كاليفورنيا** بالولايات المتحدة الأميركية، وأطلق عليه العلماء هذا الاسم بسبب طبيعته الصحراوية القاحلة ، إذ يعد أحد أكثر الأماكن حرارة وجفافاً في أميركا الشمالية .. وفي عام **1931** قام طبيب و مسكشتف يدعى **بروس راسل** برحلة إلى وادي الموت ، أعلن بختامها عن اكتشاف **سلسلة من الأنفاق والكهوف تحت الوادي**، و وفقاً لقصته فقد اكتشف هياكل عظمية عملاقة تقدر بحوالي **2.7** متراً، تعود لما يقارب **80** ألف سنة.. كما اكتشف أيضاً ملابس مصنوعة من جلد يشبه جلد الغنم، كان طولها متوسطاً يمتد قليلاً إلى أسفل الركبتين، لكنه لم يعرف نوع الحيوان الذي كانوا يستخدمون جلده لأنه لا يتطابق مع أي حيوان معروف في أيامنا.. كما وجد داخل هذه الشبكة من الأنفاق، ما يشبه قاعة للطقوس تحمل على جدرانها علامات مشابهة لتلك الموجودة في المحافل الماسونية، و يدعي بعض الباحثين أن هذه المنطقة سكنها أولئك القادمون من **القارة المفقودة أطلانتس** ..

❁ آثار أقدام عملاقة :

تنتشر في أماكن متفرقة من العالم آثار لأقدام ضخمة، ولعل أشهرها تلك البصمة الموجودة في **جنوب أفريقيا** في بلدة قريبة من الحدود مع **سوازيلاند**، تبدو هذه البصمة مطابقة تماماً لأقدام بشرية يبلغ طولها **1.2** متراً أي أنها لعمالقة، وتشير التقديرات إلى أن عمرها قد يكون أكثر من **200** مليون عام ..



وفي عام **1926** نشرت إحدى الصحف قصة عن آثار قدم طولها **1.5** مترتً على قمة جرف صخري في **سان خوسيه في كاليفورنيا ..**

وفي عام **1976** أعلنت عالمة الأنثروبولوجيا **ماري لاكي** اكتشاف آثار أقدام عملاقة متحجرة في **تنزانيا**، وتم تقدير عمرهم بنحو **3** ملايين سنة، وقالت إن هذه الآثار

بإمكانها إعادة كتابة التاريخ ، فقد تثبت بالفعل أن العمالقة سكنوا الأرض في مرحلة ما من تاريخها..

۞ عمالقة فارنا في بلغاريا :

فارنا واحدة من المدن اليونانية القديمة، وهي اليوم ثالث أكبر محافظة في **بلغاريا**، و تقع على الضفاف الشرقية للبحر الأسود، كانت تقع في هذه المنطقة مدينة أسسها اليونانيون القدماء في القرن **7** قبل الميلاد، وأطلقوا عليها اسم **أوديسوس** (نسبة إلى أحد ملوك حرب طروادة وصاحب فكرة الحصان الذي هزم الطرواديين).. و يمكنك أن تتنبأ من حصان طروادة العملاق أن لهذه المدينة صلة ما بالعمالقة و هذا صحيح بالفعل ..



فقد كشف الباحثون عن هيكل لرجل عملاق عاش في أول القرن **5** الميلادي، وفي هذا الوقت كانت أوديسوس أحد

المراكز المسيحية المهمة.. وكشف الباحثون أنه ربما توفي أثناء عمل أقيم بالقرب من سور المدينة حيث عُثر عليه بجوراه، وقالوا أنه تم دفنه في المنطقة عن قصد ،إذ كانت يداه ملفوفتين حول وسطه، ووجهه ناحية الشرق.. ولم تكتشف تفاصيل عن هذا العملاق أكثر من صفاته الخارجية فقالوا بأنه طويل القامة للغاية ، يعتبر هذا الكشف هو الأحدث في موضوع العمالقة إذ أعلن عنه عام **2015** ..

❁ بقايا هياكل الإكوادور :

بفعل سيول غزيرة تعرضت لها مدينة **كوينكا** في الإكوادور عام **2013** ظهرت على سطح الأرض عظام هيكل عظمي عملاق كشف عنها رئيس بعثة تنقيب عن الآثار .. وبعد إجراء الفحوصات، توصل الخبراء إلى أن هذه البقايا تعود لامرأة عاشت قبل **600** عام، وعقب الانتهاء من البحث والعثور على بقية الهيكل، توصلوا إلى أن طولها بلغ أكثر من مترين، وأنها عاشت حوالي **60** عاماً بصحة جيدة

وعثر الباحثون أيضاً على أكثر من خمسة هياكل عملاقة أخرى ، و بالدراسة الجينية تبين أنها جميعاً لم تعاني من أي طفرة مرضية أدت إلى هذا النمو غير الطبيعي .. وما أثار انتباه العلماء في هذا الكشف هو تشابه طريقة دفنهم

إلى حد كبير، حيث تم **لفّهم بالأوراق، وتغطية الجزء الأعلى منهم بطبقة سميكة من الطين**، ولذلك قاومت عوامل الزمن ولم تتآكل ..

❁ فأس عملاقة :

خلال عمليات التنقيب التي أجريت في المملكة العربية السعودية في **موقع القرة الأثري** الذي عاش فيه الإنسان القديم ، اكتشف علماء الآثار فأسا حجرية ضخمة بحدّين.. و يعتقد أنّ أسلافنا كانوا يحملون مثل هذه الفؤوس الكبيرة في أيديهم لذبح الحيوانات و نزع جلودها، و لتقطيع الأشجار أو ماشابه ذلك..



وبلغ عمر هذه القطعة الأثرية الشرق أوسطية **250** ألف عام ..

لكن عمر القطعة الأثرية لم يفاجئ علماء الآثار، لأنهم سبق لهم أن عثروا على شيء أقدم من ذلك بالطبع ، و لكن الغريب بالأمر كان حجم الفأس الذي يزيد طوله عن متر حيث لا يمكن استخدام مثل هذه الآلة الضخمة إلا من قبل إنسان عملاق.!!

❁ مومياوات كهف لوفلوك :

في ولاية **نيفادا** في الولايات المتحدة يقع كهف لوفلوك أو **كهف حدوة الحصان** الذي اكتشف عام **1911** من قبل عاملي مناجم أثناء بحثهما عن مادتي **النيتروجين والأمونيوم** و هما عنصران رئيسيان في تحضير البارود المستخدم في حفر المناجم ..

وفي عام **1924** تولى مؤسس **جامعة الأنثروبولوجيا في ولاية كاليفورنيا** مهمة استكشاف الكهف ..

استمرت العملية حتى عام **1929**.. و خلال هذه المدة عُثر على آلاف القطع الأثرية القديمة، بما في ذلك نحو **60 مومياء** لبشر من العمالقة، تراوحت أطوالهم بين مترين ونصف وثلاثة أمتار.

المثير للاهتمام أن هذه الاكتشافات تعود **لقبيلة من**

سكان أميركا الأصليين سكنتها منذ آلاف السنين، يشار إليها باسم **تسي شا** ..



❁ عمالقة جورجيا :

في عام **2008** عثر راعٍ محلي في جورجيا على مقبرة يُفترض أنها للعمالقة، لذا سرعان ما هرعت مجموعة من الباحثين الجورجيين إلى المنطقة و كانت عبارة عن سرداب بني من الأحجار في منطقة غابات كثيفة، و أكد الراعي أنه شاهد هيكلين ضخمين كانا موجودين فوق ما يشبه الطاولة عند باب السرداب.. ولكن عند وصول

الباحثين إلى المكان كان السرداب قد انهار، وبعد التنقيب بين الركام، عثروا على عظام لهياكل ظنوا في بداية الأمر أنها لمخلوقات غير بشرية .. لكن بعد فحص مجموعة من العينات على يد عالم آثار متخصص، توصلوا إلى أنها بالفعل لمجموعات من البشر سكنت هذه المنطقة تراوحت أطوالهم بين مترين وثلاثة أمتار.. وعاشوا منذ حوالي **2000** عام، لكن للأسف لم يُعثر على أية متعلقات أو آثار أخرى بعد انهيار السرداب

❁ الإصبع المحنط العملاق :

تحدث عالم الآثار السويدي الهاوي **غريغور سبيري** عن لقاء جمعه مع بعالم آثار من مصر عرض عليه فيه إصبعاً محنطاً يبلغ طوله **38** سم ، فتخيل عزيزي القارئ الحجم الكلي لصاحب الإصبع !!



❁ عملاق كاستلانو :

اكتشف العلماء سنة **1890**، **بجنوب فرنسا** عظام إنسان عاش قبل عشرات الآلاف من السنين في العصر الحجري، وقالوا أنّ طوله كان حوالي **3** أمتار ونصف



③ زاوية الدين :

ترجع التوراة العماليق إلى ذرية النبي **عيسو**، و قد سكنوا جنوب فلسطين، وجاء في سفر التوارة عنهم :

(العَمالقةُ مُقيمونَ بأرضِ الجنوبِ و الحِثِّيُّونَ و اليبوسيُّونَ والأموريُّونَ مُقيمونَ بِالجبَلِ،

والكنعانيُّونَ مُقيمونَ عِندَ البحرِ وعلى مَجرى الأُردُنِّ)

و في الحديث النبوي الشريف عند المسلمين :

(إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً)

فالأنبياء الأوائل كانوا طويلي القامة كما يعتقد و يعمرون قرابة ألف عام أيضاً بحسب الأديان السماوية.

أما القرآن فيقول بأن العمالقة هم **قوم عاد** و أنهم كانوا طوال القامة كالنخيل ، فنجد الآية القرآنية التالية مثلاً تصفهم بالقول :

(كأهم أعجاز نخلٍ خاوية)

و هنالك أيضاً **قوم يأجوج** و **مأجوج** الذين ذكروا في أساطير كثيرمن الشعوب الآسيوية كما تم ذكرهم بنفس الاسم في الأديان السماوية الثلاثة في سورتي **الكهف** و **الأنبياء** في **القرآن** عند المسلمين و في **سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي** في **الإنجيل** عند المسيحيين و في **سفر حزقيال** في **التوراة** عند اليهود .. و جميع الكتب السماوية أجمعت على أنهم قوم أشرار يجتاحون البلاد المحيطة بهم و يفتكون بأهلها بعد تعذيبهم في الأسر .. لذا أوحى الله **لذي**

القرنين الصالح بعزلهم عن البشرية خلف سد ضخم ..و يقال أنهم **عمالقة بشعر أحمر كعملاق قندهار تماماً الذي ذكرناه في مطلع مغالطتنا و بوجوه مدورة قاسية كالمطارق و عيون صغيرة** و موطنهم الأصلي في **آسيا الوسطى** فيما يسمى اليوم **قرغيزستان** و **أوزباكستان** .. حيث أنهى وجودهم من دعي بذي القرنين الذي ذكر في القرآن و يعتقد أنه الاسكندر المقدوني الذي بنى سداً بين جبلين يحدان موطنهم فأغلق عليهم المنافذ و حبسوا هناك منذ ذلك الوقت .. و ربما كان عملاق قندهار واحداً منهم بالفعل ، و كان خارج الوطن عند بناء السد فهم كما يعرف عنهم يعيشون طويلاً ..



و أجهزة الرصد الحديثة كشفت منطقة بين جبلين في سلسلة الجبال الواقعة غربي قيرغيزستان وشرقي أوزبكستان حالياً يقال أنها مكان السد المذكور ، ومما يدعم هذا الكلام أكثر آية في القرآن تقول أن ذا القرنين بنى السد في مكان رأى **الشمس تغرب فيه في عين حمئة** .. و على نحو غريب توجد في تلك المنطقة بحيرة يعني اسمها باللغة القيرغيزية **البحيرة الساخنة أو الدافئة** كون هذه البحيرة لا تتجمد على مدار السنة رغم هبوط درجات الحرارة في قيرغيزستان إلى **25** درجة مئوية دون الصفر بعض الأحيان . .و هي تشبه **العين البشرية** بالضبط أي كالعين الحمئة تماماً التي وصفها القرآن ..

و يقول الدين الإسلامي أن قوم يأجوج و مأجوج العمالقة سيخرجون يوماً ما من خلف السد و ستكون تلك من علامات قيام الساعة و نهاية الحياة في الكون ..

هذا رأي التاريخ و العلم و الدين بوجود العمالقة بين الخرافة و الأسطورة و الحقيقة .. و أدع لك الخيار عزيزي القارئ بالإيمان بما شئت و رفض ما شئت بخصوصهم تبعاً لما قرأته في هذه المغالطة من أدلة و تحليلات ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الغريبة (**العمالقة**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= البشر العمالقة مجرد خرافة لا أساس لها من الصحة

بل أن نقول :

= و ما أوتينا من العلم إلا قليلاً ، و هذا القدر اليسير من العلم ينطوي على مجموعة واسعة من الأدلة التي لا يستهان بها تدعم حقيقة وجود عمالقة بالفعل فيما مضى

بالعودة إلى مقدمة مغالطتنا ، لا يمكننا أن نلوم عملاق قندهار على سلوكه العدواني تجاه الجنود ، فالبشر العاديون بالنسبة له أشبه **برحلات غوليفر البحرية** عندما اكتشف جزيرة يسكنها بشر أقزام فبدا كالعملاق بينهم و استشعر الخطر منهم كما بادلوه الشعور .. فالإنسان عدو من يختلف عنه بالفطرة !!



إنّ أطول رجل مسجل في التاريخ يدعى **روبرت وادلو** و كان طوله حوالي **272** سنتيمتراً.. و هو أمريكي عاش ما بين العامين **1918 -1940**، فإن كان هنالك بيننا بشر عمالقة بشكل طبيعي في العصر الحديث فلماذا نرفض وجود العمالقة في التاريخ بالفعل ؟!

مغالطة خريطة الكنز

(وشم السماء = الثالوث المقدّس)

انتشرت الشرطة في المنزل الفخم الخاص بالممثل الإيطالي الشهير **جيانلوكا كامبيدانو** (**44** عاماً) في مدينة كالياري الإيطالية و الذي عثر عليه ميتاً في منزله في ظروف غامضة، فلا آثار لأي أذى جسدي على جثته، بانتظار كشف السموم ثم تشريح الجثة لتأكيد أن الوفاة طبيعية أم لا..

جيانلوكا كامبيدانو من أشهر ممثلي إيطاليا في العقدين الأخيرين، و قد تجاوزت أعماله منذ عشر سنوات أوروبا إلى هوليوود ..

هو يتيم أعزب يقيم لوحده ، كما أنه الممثل الأعلى أجراً حالياً و تقدر ثروته بأكثر من **700** مليون دولار، و من المعلومات الغريبة عنه أنه يرفض بشكل قاطع وضع أمواله في البنوك و يحولها إلى سبائك ذهبية و مجوهرات حتى أصبح لديه كنز حقيقي منها و لا أحد يعرف بالضبط أين يخفيه ..

و بوفاته المفاجئة الآن فإنه على الأغلب قد أخذ سر كنزه معه، فلا أحد من معارفه يعلم شيئاً مهماً عن مكان الكنز .. و بالحديث عن ذلك الكنز فجيانلوكا لديه وشم كبير يأخذ كامل مساحة ظهره قد وشمه منذ عام بالتزامن مع إعلان إسلامه بشكل مفاجئ و يعتقد البعض أن الوشم عبارة عن لغز أو شفرة تدل على مكان إخفاء جيانلوكا لكنزه ..

و الوشم عبارة عن صورة و رقم و عبارة ..

أما **الصورة** فتجسد تمثال السيدة مريم العذراء المدعو سيدة حريصا أو سيدة لبنان الموجود في بلدة حريصا في لبنان على سفح جبال لبنان و المطل على شاطئ جونيه الشهير، و الذي أعجب به جيانلوكا للغاية عند زيارته للبنان أثناء تصويره لأحد الأفلام ..

أما **الرقم** فهو عبارة عن **25** و قد وشم تحت الصورة تماما..

و أما **العبارة** فتقول : (**أجمل شقيقاتها الستة**) و قد وشمت في أسفل الظهر تحت الرقم تماماً ..



25

أجمل شقيقاتها الستة

و قد حاول الكثير من الأشخاص المهتمين بكنز جيانلوكا و المعجبين به أن يحلوا شفرة الوشم دون جدوى، فكيف تكون السيدة العذراء أجمل شقيقاتها الستة و هي بدون

أخوات كما ذكر في الكتب السماوية ؟ و ما معنى الرقم **25** أيضاً ..؟ باختصار بقي الوشم منيعاً على التفسير، و إن كانت محاولات فك شفرته بلا شك ستزداد بتواتر مرعب بعد وفاة الممثل جيانلوكا كامبيدانو الغامضة.

قبلها بعام : عاد الشاب الروسي **ديمتري** (**29** عاماً) إلى منزله في ضواحي موسكو متأخراً على الساعة الثالثة صباحاً، و في طريق عودته و بينما هو يعبر زقاقاً مهجوراً مظلماً ظهر له شخصان يحمل أحدهما هراوة و الآخر سلسلة ..

= أعطنا محفظتك حالاً كي تغادر بسلام ..

رد ديمتري عليه بانفعاله المعتاد ..

= و إن لم أفعل أيها الضعيف ؟

نظر أحد الشابين إلى الآخر و تقدم من ديمتري و لكمه على وجهه لكمة قوية فسقط على الأرض، لكنه سرعان ما وقف مجدداً على قدميه و هاجم الشاب بضراوة، وهنا تدخل الشاب الثاني في العراك و انهال الضرب على ديمتري من كل جانب فحاول أن يعض الشاب ذو الهراوة فصرخ الشاب من الألم و ضربه بهراوته على رأسه ضربة قوية سقط ديمتري على إثرها على الأرض بلا حراك ، ارتعب الشابان من الحادث و غادرا الزقاق على الفور بعد أن أخذا المال من محفظة ديمتري ..

استعاد ديمتري وعيه بعد ساعة مع بزوغ شمس النهار، وقف مترنحاً و عاد أدراجه إلى منزله و هو يشعر بشعور غريب بأن كل شيء من حوله مختلف و بأن الأضواء تزعجه للغاية ..

شاهد في طريقه رجلاً يحمل كأساً بلاستيكياً، ثيابه غير مكوية جيداً و يحمل في يده كتاباً لاحظ اسمه على الفور (كيف تقهر السرطان) ؟

حلل دماغه على الفور القصة بأن الرجل مشخص حديثاً بإصابة بالسرطان و هو لم ينم منذ يومين على الأقل بسبب التفكير بمرضه الجديد تبعاً للسواد تحت عينيه و ملابسه المجعدة، و هو يشرب الكحول صباحاً لينسى وضعه الحالي وعائد من عمله الذي هو ذو طبيعة ليلية فهو يمشي على مهله و ليس في سباق مع الزمن للوصول إلى عمله، إذاً فهو في طريق عودته، و غالباً يعمل حارساً لمكان ما لأنه يملك الوقت الكافي لقراءة كتابه الذي يحمله في عمله ..

هز ديمتري رأسه برعب، ما الذي يفعله دماغه، إنه غير معتاد على مثل هكذا تحليل، ما الذي يحدث له ؟

وصل إلى منزله و اتجه مباشرةً إلى الستائر، أغلقها جميعها و تأكد من هذه العملية خمس مرات، و دهش من هذا، إنها و بحسب قراءاته أعراض الوسواس القهري، فكيف ظهر فجأةً ، لابد أن للضربة التي تعرض لها على

رأسه دوراً في ذلك ؟

كانت والدته لا تزال غارقة في نومها، فدخل غرفته و أغلق الباب خلفه و تأكد من قفله عدة مرات أيضاً، ثم ارتمى على فراشه .. استيقظت ستيلا والدة ديمتري لترى جميع الستائر مغلقة، تعجبت و فتحتها ثم توجهت إلى غرفة ديميتري و فتحت الباب فكان مغلقاً على غير عادته، طرقت عليه عدة مرات و هي تنادي على ابنها . تجمد ديمتري في مكانه و هو في حيرة من أمره، هل يفتح الباب لأمه و تراه في هذه الحالة أم لا ؟ إنه لا يستطيع تجاهل نداءاتها فقد تظن بأن مكروهاً أصابه، فكر للحظات ثم قرر فتح الباب و الاستنجاد بها فهو في حالة رعب حقيقي من التغير الحاد الذي طرأ على شخصيته في شخصيته ..

توجه إلى الباب و فتحه فدخلت أمه لترى ابنها في حالة يرثى لها و الدماء تغطي رأسه و ملابسه ..

= يا إلهي، ما الذي حدث لك ؟

= لقد تعرضت للسرقة من قبل شابين في طريق عودتي و ضربني أحدهما بالهراوة على رأسي و هرب، فقدت الوعي لساعة و عندما صحوت كان كل شيء قد تغير أماه !

و أجهش ديمتري بالبكاء بخوف، و هو يروي لوالدته عن التغير في شخصيته (الخوف من الضوء و أعراض

الوسواس القهري الذي ظهرت فجأة و قدرته الجديدة على تحليل الأمور بطريقة دقيقة و غريبة للغاية) ..

= نظف رأسك و غير ملابسك و هيا بنا إلى المشفى مباشرةً، لابد من تصوير رأسك ..

بالفعل قام ديمتري بالاغتسال و تغيير ملابسه و سقطت عيناه و هو يرتدي ملابسه على مكعب روبيك الموجود على مكتبه و الذي يجهل تماما طريقة حله رغم محاولاته الكثيرة السابقة لفعل ذلك، و تملكته رغبة جارفة بمحاولة حله مجدداً، أمسك به و شعر بأصابعه تتحرك لوحدها و هي تغير من ترتيب المكعبات و خلال ثوان كان المكعب قد حل بالكامل و كل وجه منه بلون مختلف عن البقية، و راوده الخوف مجدداً..

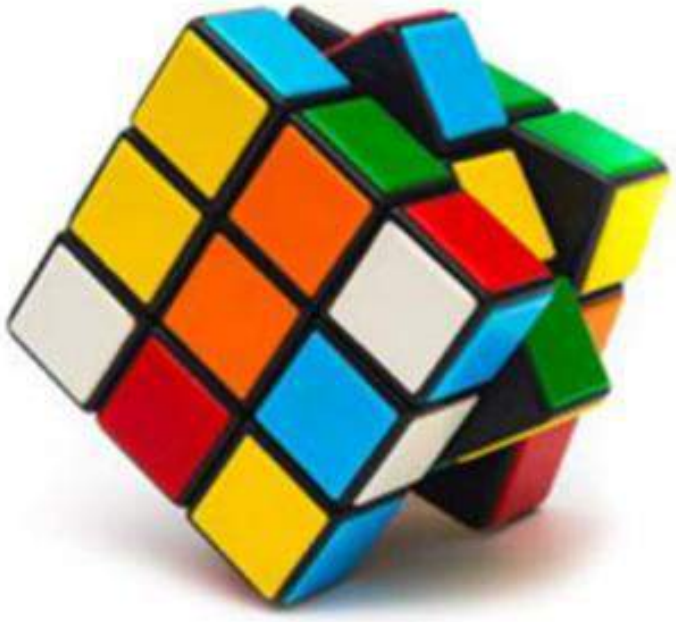

في المشفى تبين بعد تصوير رأس ديمتري أنه تعرض لارتجاج قوي في الدماغ، و بعد فحص الأطباء له و

شرحه لهم عن التغيرات التي طرأت على شخصيته تم تشخيصه بالإصابة بحالة نادرة للغاية تصيب شخصاً من بين كل مليون شخص تقريباً و تدعى (**متلازمة الموهوب أو سافانت**) و هي غالباً متلازمة خلقية تأتي مع ولادة الشخص و نشوئه و تترافق عادة مع طيف من التوحد في حين ينبغ المريض في أحد مجالات الحياة، و في حالات قليلة للغاية تحدث هذه المتلازمة عند الأشخاص الذين تعرضوا لأذية دماغية أدت إلى دخول مناطق جديدة من الدماغ إلى العمل في حين كانت غير مفعلة سابقاً كما هو حال ديمتري بعد الضربة على رأسه ..

طمأن الأطباء ديمتري و والدته أن أعراض الخوف من الضياء و الوسواس القهري ستتراجع مستقبلاً تدريجياً خاصة مع العلاج النفسي المناسب، و بأن ديمتري أصبح منذ اليوم نابغة جديدة في عالم حل الأحاجي و الشفرات، و عليه أن يطور موهبته لكي يستفيد منها في حياته ..

عاد ديمتري إلى منزله بصحبة والدته و هو يشعر بخوف أقل بعد أن توضحت الصورة لديه خاصة و أن والدته أصبحت على دراية بحالته، لذا ما إن دخلا المنزل حتى أغلقت أمه الستائر كلها و قادته إلى غرفته ، احتضنته و قالت ..

= نم قليلاً بني، فأنت لم تنم طوال الليل و هذا سيرهق أعصابك و دماغك أكثر ..

بعد تشخيصه بمتلازمة سافانت تغيرت حياة الشاب الروسي ديمتري **180** درجة، أصبح لديه عبقرية من نوع خاص في فك الشفرات و الألغاز، و مع مرور عام من الحادثة تراجعت أعراض الخوف من الضياء و الوسواس القهري كثيراً خاصةً مع جلسات العلاج النفسي المصاحب ..

و في أحد الأيام و بينما هو يقلب صفحات موقع التواصل الاجتماعي على حاسوبه ظهرت له صورة غريبة تحدت إمكانياته الجديدة في فك الشفرات و حل الأحاجي، كانت عبارة عن وشم كبير على ظهر أحد الرجال، و ما كتب تحت الصورة كان تحدياً أكبر بكثير بالنسبة إليه ..

و الصورة هي للممثل الإيطالي الراحل جيانلوكا كامبيدانو و قد كتب تحتها: (**فك الشفرة و اربح كنز جيانلوكا السري مجهول المكان**).. و روت الصفحة تفاصيل وفاة جيانلوكا الذي تبين لاحقاً أنه مات اغتيالاً بالسيانيد، دون معرفة القاتل و إن كانت الدلائل تشير إلى إحدى منظمات اليمين المتطرف في إيطاليا كردة فعل على إشهار جيانلوكا لإسلامه، و قالت الصفحة أن الوشم على الأرجح يدل على مكان سري يخفي فيه جيانلوكا ثروته كلها بشكل ذهب و مجوهرات ..

شرع ديمتري على الفور بمحاولة حل الشفرة الجديدة الخاصة بالممثل جيانلوكا ، و كان أول ما بدأ به هو قراءة

كل المعلومات الممكنة المتعلقة بشخصية و حياة الممثل جيانلوكا ..

بعد أيام من القراءة التفصيلية عن جيانلوكا و حياته اكتشف ديمتري أن المعلومة الوحيدة الهامة و الغريبة عنه هي إشهاره لإسلامه بشكل مفاجئ، فهل لذلك علاقة بالوشم على ظهره ؟ لكن الوشم هو للعذراء سيدة لبنان و العبارة تحتها (أجمل شقيقاتها الستة) تخصها أيضاً على ما يبدو ..

بحث أكثر عن السيدة العذراء عند المسلمين و كانت هنالك معلومات غزيرة عنها حتى أن هنالك سورة في القرآن الكريم كتاب الله عند المسلمين تدعى سورة مريم و جذبت ديمتري هنا معلومة غريبة بأن السور في القرآن لها أرقام كما الآيات فيها، وبدأ عقله يعمل بسرعة الضوء مجدداً، هنالك أرقام في القرآن إذاً و الشفرة تحتوي على رقم ، فما هو الرابط بينهما ؟

بحث أكثر و كان رقم سورة مريم هو **19** ، فسارع على الفور بالبحث عن الآية **25** فيها فكانت ..

(و هزي إليك بجذع النخلة، تساقط عليك رطباً جنياً)

استطاع عقل ديمتري الجديد أن يربط المعلومات ببعضها خاصة إشهار جيانلوكا لإسلامه، إذ لابد من أن يظهر ذلك جلياً في الوشم الذي وشمه بعد الإشهار بفترة قصيرة، و

أصبح شبه متأكد بأن الآية هي المقصودة من الرقم **25**، لكن ما المقصود بعبارة (أجمل شقيقاتها الستة) هل هي العذراء؟ هذا مستبعد فهي لم يكن لديها أخوات !

بدأ عقله يحلل الأمور بسرعة الضوء و وصل إلى نتيجة وحيدة، إن المقصود بالعبارتين معاً هو مكان جغرافي متخفٍّ في المعاني ..

بحث عن أماكن جغرافية تتعلق بالنخيل، فكان أشهر مكان في العالم هو جزيرة النخلة في دبي في الإمارات العربية المتحدة..



بحث أكثر و أكثر عن الإمارات العربية المتحدة حتى وصل إلى معلومة جعلته يبتسم بانتصار، لقد عثر على ضالته ..

كم كنت عبقرياً جيانلوكا كامبيدانو!!

الإمارات العربية المتحدة عبارة عن سبع إمارات و يصنف المقيمون دبي بأنها أجمل إمارة فيها أي أنها (أجمل شقيقاتها الستة) أي أن المقصود بجذع النخلة في الآية الكريمة هو جذع جزيرة النخلة على الأرجح.

بعد بعض البحث تبين لديمتري أن جيانلوكا امتلك بالفعل فيلا في جزيرة النخلة في دبي و بالتحديد عند أول الجزيرة أي جذع النخلة و لابد أن البحث هنالك سيؤدي للعثور على الكنز الذي (سيتساقط رطباً جنياً) على مكتشف موقعه، قفز من كرسيه فرحاً، إنه قاب قوسين أو أدنى من أن يصبح ثرياً ..

يا إلهي، الأحجية التي سعى لحلها الملايين لفترة طويلة دون جدوى، استغرقت من ديمتري دقائق لا أكثر، ما الذي حدث داخل دماغ هذا الفتى بالضبط ؟!

إذاً أصبح مكان الكنز معروفاً الآن و هو فيلا جيانلوكا في جزيرة النخلة، لكن قبل كل شيء هنالك مشكلة حقيقية، كيف سيتمكن من البحث في تلك الفيلا ..؟

بحث أكثر عن معلومات متعلقة بها و لحسن حظه وجد أن مالكها الجديد عرضها للبيع مقابل مبلغ ضخم و هو **25** مليون دولار !! و هذا المبلغ الضخم هو على الأرجح بسبب امتلاكها سابقاً من قبل شخص مشهور للغاية توفي في ظروف غامضة كالممثل جيانلوكا كامبيدانو..

إن الوسيلة الوحيدة للبحث داخل الفيلا هو بشرائها ..

فكيف سيتمكن من فعل ذلك ؟!

استطاع الوصول إلى المعلومات المتعلقة بصاحب الفيلا و تواصل معه بالإنجليزية عبر رقمه على تطبيق التواصل الاجتماعي، وكان رجلاً إماراتياً يدعى هيثم ..

(مرحباً سيد هيثم، أدعى ديمتري و أنا من روسيا، ومهتم بشراء فيلا جزيرة النخلة ..)

جاءه الرد بعد دقائق ..

(أهلاً سيد ديمتري، ما الذي تحب الاستفهام عنه ؟)

(أولاً، هل الفيلا مسكونة ؟)

(لا، إنها على حالها كما تركها الممثل الراحل جيانلوكا كامبيدانو..)

ابتسم ديمتري، فهذه نقطة هامة نحو الأمام ..

(النقطة الثانية، هنالك موضوع صغير قبل شرائي للفيلا ..؟)

(بالطبع، ما هو؟)

(أرغب بتجربة الفيلا لليلة واحدة فقط قبل اتخاذ قراري النهائي بشرائها، فهل تمانع ؟)

(و لماذا ترغب بالقيام بذلك ؟)

(إن مجرد كون الفيلا ملك سابق للمثل الإيطالي الراحل يجعلني أرغب بشرائها بنسبة 90 % لكنني بحاجة لرؤيتها أولاً بعيني على أرض الواقع و تجربة الحياة فيها لليلة لأرى إن كانت تناسبني ، فإن ناسبتني بالفعل سأشتريها على الفور و سأدفع مليون دولار إضافي إلى سعرها)

تأخر الرد قليلاً مما يوحي إلى تفكير السيد هيثم بطلب ديمتري ..

(لا مشكلة أبداً ، و أؤكد لك أنها ستنال إعجابك الشديد ، فهي فيلا فخمة تحتوي كل ما تشتهيه..)

(اتفقنا، غداً مساءً سأصل إلى دبي ، أين ألتقيك ؟)

تأخرت الإجابة قليلاً، و قد شعر ديميتري بدهشة السيد هيثم لسرعة الإجراءات ..

(انتظرني عند مدخل جزيرة النخلة على الساعة الثامنة مساءً)

(ممتاز، إذاً موعدنا على الثامنة مساءً و عندما أصل هناك سأتصل بك مباشرة على تطبيق التواصل الاجتماعي ..)

(على بركة الله ..)

أخذ ديميتري نفساً عميقاً و هو يفكر :

لقد أنجز الجزء الأول من العملية و كسب فرصة الانفراد بالفيلا لبعض الوقت .. و بقي الجزء الثاني بالبحث الدقيق فيها لكشف مكان إخفاء الممثل الفذ لثروته .

كان ديمتري يملك بعض المال في حسابه البنكي، لذا حجز الكترونياً تذكرة طيران إلى دبي على الساعة الثالثة ظهراً، و أخبر والدته بأنه ربح جائزة ضخمة في مسابقة لحل الأحاجي و عليه استلامها في دبي ..

في اليوم التالي و على الساعة الثامنة مساءً كان ديمتري يقف تحت نخلة كبيرة في مدخل جزيرة النخلة بدبي ينتظر السيد هيثم بعد أن أخبره بوصوله و أعطاه إحداثياته، و أخذ ينظر حوله بإعجاب من الترتيب و النظافة و النظام في كل مكان، وكان برج خليفة ينتصب عالياً في سماء دبي بمشهد مهول ..

بعد حوالي نصف ساعة توقفت سيارة على جانب الطريق و ترجل منها شاب يرتدي الملابس التقليدية للشعب الإماراتي ، أخذ ينظر حوله و كأنه يبحث عن أحدهم ..



ابتسم له ديميتري بعد أن عرفه و لوح له بيده، ابتسم هيثم و توجه نحوه ..

= الحمد لله على سلامتك سيد ديمتري ..

= شكراً سيد هيثم ..

= اصعد إلى السيارة و هيا بنا إلى الفيلا ..

بعد خمس دقائق وقفت السيارة أمام فيلا في أول الجزيرة ، فترجل منها الاثنان و تقدما من الباب و أخرج السيد هيثم المفتاح وناوله لديميتري ..

= هاك المفتاح افتحها بنفسك ..

فتح ديميتري الباب و دخلا سوياً ..

= تجول في الأرجاء للتأكد من سلامة كل شيء ..

قام الاثنان بجولة في أرجاء الفيلا، كانت تحفة فنية حقيقية من كل النواحي و شعر ديميتري أن مبلغ **25** مليون مناسب تماماً لمثل هكذا منزل فخم..

= هل كل شيء على ما يرام ؟؟

= أجل ..

= إذاً أعذرني سيد ديميتري فأنا مرتبط بموعد و عليّ المغادرة، تشرفت بلقائك و معرفتك و أتركك لتجرب الفيلا هذه الليلة و موعدنا غداً صباحاً على الساعة التاسعة.

= إلى اللقاء سيد هيثم، تشرفت بمعرفتك أيضاً ..

وقف ديميتري وحيداً في صالة الفيلا، و أخذ يفكر بسرعة الضوء .. أين يمكن لشخص مثل جيانلوكا كامبيدانو أن يخبئ كنزه ؟

استرجع المعلومات التي حصل عليها من تحليل الوشم على ظهر الممثل، كانت الآية الكريمة تشير إلى هز جذع نخلة كي يتساقط الكنز رطباً جنياً ، فهل هنالك في الفيلا مجسم لنخلة مثلاً .. ؟

أخذ يتجول بين الغرف باحثاً عن شيء من هذا القبيل و هو مدهوش بالكامل من الفخامة و الترتيب الهائلين في كل مكان و بكمّ التحف و اللوحات المذهل في المنزل، و في غرفة المكتبة في الطابق السفلي عثر على ضالته ، كان هنالك مجسم رخامي لثلاث نخلات متجاورة مواجه للمكتبة تماماً فوق المدفأة الحجرية..



اقترب منه أخذ يفكر قليلاً .. (هزي جذع النخلة) هكذا تقول الآية الكريمة ..

أمسك بجذع النخلة الأولى و حاول تحريكه فتحرك معه إلى الأمام، انتقل إلى الثاني و حركه إلى الأمام فلم يستطع حاول تحريكه إلى الخلف فتحرك معه ثم الثالث فتحرك إلى الأمام بدوره، و هنا سمع ديمتري صوتاً غريباً كشيء يدور حول محور ثم اهتزت أرضية الغرفة و فتح باب سرّي فيها مخفيّ بإتقان فلا أثر له على الإطلاق ، اقترب ديمتري من الباب فوجد درجاً يتلوى إلى الأسفل ، لم يتردد و نزل عليه حتى بلغ غرفة صغيرة الحجم نسبياً تتوسطها خزنة ضخمة قليلاً ، اقترب ديمتري من الخزنة و قلبه ينبض بشدة و حماسه في الذروة، كان هنالك رمز إدخال مؤلف من أربعة أرقام، فكر قليلاً ثم ابتسم، أدخل الرقم الأول **1** ثم **9** ثم **2** ثم **5** إنه رقم سورة مريم في القرآن الكريم و رقم الآية المفضلة فيها عند الممثل الراحل جيانلوكا كامبيدانو..

أصدرت الخزنة تكة و فتح بابها فلمع الذهب و المجوهرات في الظلام على ضوء ساعة ديميتري إضافةً إلى رزم مال نقدي من ورقة العشرة آلاف دولار، كانت هنالك ثروة حقيقية تقدر بالملايين في الخزنة تساقطت على حياته رطباً جنياً .. !!

ابتسم ديميتري بانتصار، و لمس رأسه مكان الضربة التي

تعرض لها منذ عام، لقد كان ثمن تلك الضربة الملايين، و فتحت له الباب نحو حياة جديدة .. اقتطع **26** مليون دولار من مال الخزينة كثمن للفيلا التي ستصبح غداً صباحاً بكنزها ملكاً رسمياً له و خرج من الغرفة السرية ..

*****

في مغالطتنا الجديدة هذه عزمت عزيزي القارئ أن أغير طريقة السرد قليلاً مجدداً فأقص عليك هذه القصة القصيرة التي ابتدعتها و ذات العلاقة الوثيقة بجوهر مغالطتنا من باب المتعة أولاً و التي كان وشم الممثل الإيطالي فيها عبارة عن خريطة كنز تمكن الشاب الروسي من فك شفرتها فقادته إلى كنز حقيقي يقدر بالملايين ، و مغالطتنا هذه (**خريطة الكنز**) تتناول كما هو واضح من اسمها موضوع الكنوز المخفية التي إن عثر الإنسان على خريطتها تغيرت حياته جذرياً و بغمضة عين.. أما سؤال مغالطتنا الجوهري المعتاد فهو:

(هل اكتشاف الكنوز في الحياة هو أمر مقتصر على بعض البشر المحظوظين ، أم أن هذه الفرضية مغالطة و هنالك كنوز تنتظر الجميع بلا استثناء ؟!)

و جوابنا الوجيز المبدئي الذي سيفاجئ و يفائل كثيرين على ما أظنّ هو :

(كل إنسان سيأتي إلى هذه الأرض هو شخص

محظوظ للغاية و بانتظاره كنز هائل لا يقدر

بثمن بعد سنوات من ولادته بلا أدنى شك)

ربما يشكك كثيرون بهذا الادعاء الغريب ، فكثيرون أتوا إلى الحياة و غادروها فقراء كما نعلم ، فعن أي كنز أتحدث !؟ هل هو كنز معنوي كالعادة لإسكات الفقراء و دفعهم إلى الرضا بواقعهم المادي كما يقول البعض افتراءً على قوة الأمور المعنوية في الحياة ؟

أبداً عزيزي القارئ ، اطمئن فهي كنوز مادية حقيقية ستحيل حياتك إلى جنان حرفياً ..

كيف ذلك ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات القليلة التالية و ذلك بالتطرق إلى نقطتين رئيسيتين تباعاً: **مفهوم الكنز** أولاً و **قصة كذبة الملاك الصادقة** ثانياً..

فهيا بنا نبحر في محيط مغالطتنا عزيزي القارئ لنصل إلى جزيرة الكنز الحقيقية فأثبت لك أنك على موعد في مستقبلك مع كنوز فيها لا تقدر بثمن ..

❁ **مفهوم الكنز** : و هذا بدوره ينطوي على شقين:

■ **تعريف الكنز** : الكنز مفهوم بسيط و شائع يعرفه الجميع و يداعب عقول و أحلام المليارات منهم خلال حياتهم ، و يمكن اختزاله بالقول (**هو ثروة طارئة يعثر عليها الإنسان عن طريق الصدفة**) كالفلاح الذي يحرث أرضه للزراعة فيعثر على جرار مليئة بالذهب ، أو الشخص الذي يعثر على خريطة كنز فيتبع مسارها ليعثر على صندوق كنز مخبأ في باطن الأرض على إحدى الجزر أو يسحب ورقة يانصيب فتقوده إلى الجائزة الكبرى و غيرها .. و بعيداً قليلاً عن جوهر مغالطتنا و قبل الخوض في تفاصيلها و لأنني أعلم يقيناً عزيزي القارئ أن قصة الكنوز المخفية تثير فضولك و حماسك منذ نعومة أظافرك ، سنتطرق من باب المعرفة و المتعة و باختصار إلى أشهر **5** كنوز مفقودة في العالم و التي لا يزال مكانها مجهولاً حتى اليوم بانتظار المحظوظ الذي سيعثر عليها :

● **قطار الذهب النازيّ** : وهو قطار مليء بثروات هائلة من الذهب والكنوز تم إخفاؤه في الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وغاب عن الأنظار بعد ذلك، ويُعتقد أن القطار مخفي في شبكة من الأنفاق السرية في عمق **جبال أول البولندية**.



● كنز ليما :

في القرن **16** حكمت إسبانيا مدينة ليما الموجودة في البيرو، وعلى مدى القرون الأربعة التي تلت تلك الحقبة، جمع الإسبان ثروة هائلة احتفظوا بها هناك حتى عام **1820** ، لكن ثورة اندلعت ضد الإسبان دفعتهم للفرار من البيرو فنقلوا تلك الكنوز المقدر قيمتها بين **12** و**60** مليون دولار إلى المكسيك.

وكان الكابتن **ويليام طومسون** مسؤولاً عن نقل هذه الثروات على متن سفينة (**مريم العزيزة**) ، لكن الطمع تغلب عليه فاغتال برفقة رجاله بقية الحراس قبل الإبحار إلى **جزيرة كوكوس**، حيث يزعم أنهم دفنوا الكنز هناك ، اختفى طومسون بعدها و بقي مكان كنزه مجهولاً حتى اليوم ..



● كنز القرصان الشهير بلاكبيرد :

فبينما يعتقد البعض أن كل الثروات التي نهبها بلاكبيرد خلال حياته قد اكتُشفت بعد وقتٍ قصير من وفاته، يؤكد آخرون أن كنزه الحقيقي لم يُعثر عليه بعد ، فمنذ العثور على حطام السفينة (**انتقام الملكة آن**) قبالة سواحل كارولينا الشمالية عام **1966** و علماء الآثار و الباحثون عن الكنوز يجوبون الموقع أملاً في العثور على ثروة القرصان ..



● غرفة الكهرمان :

يطلق عليها البعض (ثامن عجائب العالم) ، و تعود إلى عام **1701** عندما أمر ملك بروسيا **فريدريك الأول** ببناء غرفة فاخرة في قصره على طراز فريد ، فصممها

النحات الألماني **أندرياس شلوتر** و بناها حرفي دانماركي يُدعى **جوتفريد ولفرام** ، وبُنيت الغرفة من أرضيتها حتى سقفها بألواح الكهرمان، و كانت مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة، لكنّ محتوياتها فُقدت في زمن ما خلال الحرب العالمية الثانية و لا يزال مكانها مجهولاً حتى اليوم ..



● ألماسة فلورنسا :

إحدى أثمن الماسات في التاريخ ، ويُقدر حجمها بنحو **137** قيراطًا، فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام **1918** وزوال **الإمبراطورية النمساوية المجرية**

اصطحبت العائلة المالكة تلك الماسة إلى المنفى في سويسرا، و يزعم البعض أنه في عام **1921** سرق أحد الأشخاص المقربين من العائلة الماسة مع بعض الأحجار الكريمة الأخرى من التاج النمساوي وأرسلها إلى أمريكا الجنوبية، وما زالت مفقودة حتى الآن..



■ **أنواع الكنوز** : للكنوز في الحياة نوعان أساسيان :

● **كنوز مادية** : من مال ، مجوهرات ، ذهب .. إلخ كحال الكنوز التي تطرقنا إليها منذ قليل و التي بلا شك قد تغير حياة الإنسان الذي يكتشفها جذرياً ليتخلص من الفقر و الحاجة و ينتقل إلى حياة النعيم ..

● **كنوز معنوية** : و هي تتمثل بثالوث مقدس لا مثيل له و لا غنى عنه أو بعده و يشمل :

(الأخلاق و الإيمان و المعرفة)

و هو كنز لا يقدر بثمن لأنه لا يبني إنساناً عظيماً بحق

فحسب ، بل هو مفتاح لكنوز مادية كبرى في حياته أيضاً ، و هذا ليس الكنز العظيم المادي الذي زعمت بأنّ جميع البشر سيعثرون عليه منذ قليل ، لكنه بلا شك سيساعدهم في الوصول إليه لاحقاً ، فعلى خلاف ما يقول البعض بأن هذا الثالوث لا يطعم الخبز فإنّ ذلك غير صحيح على الإطلاق لعدة أسباب أهمها :

① الثري مادياً إن أفلس ضاع إلى غير رجعة أما من يتحلى بهذا الثالوث فإن أفلس ساعده الثالوث نفسه على النهوض على قدميه مجدداً ، فإن أدبرت الحياة بوجهها عنه و أفلس تمنحه **الأخلاق** الصبر و **الإيمان** التسليم و **المعرفة** الفرص الجديدة ، أما من لا يمتلك هذا الثالوث فهو فاقد لكل هذا و إن أفلس انتهى رسمياً بغير رجعة ..

② من جهة أخرى و كما يقول المثل :

(درهم مال يحتاج قنطار عقل)



فما فائدة أن تمتلك كنوزاً مادية هائلة و أنت لا تملك العقل و الوعي الكافيين لإدارتها ؟! ستبددها و تفلس بأسرع وقت ، و هذا ما حدث فعلياً حول العالم مع أشخاص كثر ربحوا الملايين باليانصيب لكنهم خسروها كلها بعد فترة قصيرة بسوء الإدارة و التدبير

③ **قوة المعرفة** : فمعلومة وحيدة قد تعثر عليها بقراءاتك قد تفتح أمامك أبواباً للثراء ، فقد توحي إليك باكتشاف أو اختراع أو موضوع رواية أو تصميم بناء و غيرها .. أو على أقل تقدير تحل مشاكل نفسية أو شخصية معقدة في حياتك و تجعل منك أقوى و أكثر تحكماً بنفسك و حياتك، الأمر الذي يساعدك لاحقاً على الثراء ..

④ **قوة الأخلاق و الإيمان** : و هذان كنزان عظيمان لا تستهن بهما على الإطلاق ، فهما من جهة أسلحتك التي ستواجه بها مصاعب و مصائب الحياة الدنيا متقلبة المزاج و الظروف ، كما أنهما من جهة ثانية الوسيلة الأولى و الأخيرة كي تجنب نفسك العودة إلى الحياة ثانية بعد الموت عبر دورة جديدة للتقمص ، بل تسمو بروحك مباشرةً إلى جنان الله حيث الكنوز المادية و المعنوية التي لا توصف بكلام و لا تحاط بعقل ، أما من غادر الحياة بلا أخلاق و بلا إيمان فلا شك أنه سيعود إليها ثانيةً و ربما على هيئة أدنى أو بظروف أسوأ .. فماذا ستفيدك كنوزك المادية التي جمعتها في حياتك الأولى عندها ؟!

و لنا في المصير النهائي لأثرياء التاريخ عبرة من **قارون إلى أوناسيس إلى عدنان خاشقجي** و غيرهم ..

❁ **قصة كذبة الملاك الصادقة** : و هي قصة افتراضية تجعلنا نرى الحياة من منظور مختلف و زاوية أخرى و ستدهشك على بساطتها بلا شك ..



و مضمونها كالتالي :

((يميل الإنسان بطبيعته البشرية منذ طفولته إلى الإيمان بقناعة تامة زائفة أنه **سيشيخ و يعمّر ليعيش حياةً طويلة** رغم أن ذلك قد لا يحدث ، فحياته قد تنتهي طفلاً أو شاباً أو كهلاً ، بل قلة من البشر يعمّرون على أرض الواقع .. و لنفترض هنا أن ملاكاً نزل عليك من السماء في مراهقتك و أخبرك بأنك ستعثر على كنز من المجوهرات عندما تبلغ سنّ الخمسين من عمرك سيجعلك أثرى

الأثرياء و يحيل حياتك جنة ، فكيف ستتعامل مع حياتك القادمة حتى تبلغ سن الخمسين ؟!

بلا أدنى شك ستؤجل كل أحلامك إلى بعد هذا السنّ فتزهد بالمال و الثراء مبدئياً فأنت على موعد معهما لاحقاً بكل تأكيد ، و تقتنع بحياتك الراهنة ، كما تطمئن لمستقبلك حتى شيخوختك ، بل ستنشغل في شبابك بأمور معنوية كالثالوث المقدس الذي تحدثنا عنه (**الأخلاق و الإيمان و المعرفة**)، لأن أمامك متسع من الوقت للاستمتاع بالأمور المادية بعد بلوغك سنّ الخمسين كونك تؤمن بأنك ستعمّر و تشيخ ..

هنا تأتي الفكرة الرئيسية في قصتنا و مغالطتنا ككل و مربط الفرس فيهما ، فتخيّل أنك توفيت عند بلوغك سنّ الخمسين بدلاً من عثورك على الكنز الموعود ، هل ملاك السماء في هذه الحالة خدعك و كذب عليك بوعوده هذه ؟

إطلاقاً ، فأنت بحياتك السابقة القويمة و الرضية و القنوعة و الإيجابية ستسمو بروحك بعد الموت إلى جنان الله ، و جميعنا يعي تماماً ماذا تعني هذه الجنان ، حيث تغدو كنوز التاريخ كلها مجتمعة بالنسبة لها كذرة في فضاء الكون .. و للإنسان الصالح هنالك عطاء غير محدود أو منتهٍ و إلى الأبد .. بل الحقيقة أنّ الملاك إن كذب عليك بشيء ، فبأنّ الكنوز التي كانت تنتظرك عند سن الخمسين

أكبر بكثير و كثير مما وعدك !! فهو لم يكذب عليك على الإطلاق بل كانت كذبة صادقة تماماً و الاختلاف الوحيد أنك **عثرت على كنزك في مكان لم تكن تتوقعه على الإطلاق ، مكان خارج حدود هذا الكون** ، و لا تنسَ أبداً بأنّ الناس عبر التاريخ قطعوا قارات كاملة وراء كنوز الأرض **غير المضمونة** بلا تذمر و بحماس كبير ، فكيف يتذمرون من الانتقال الآني من دار الدنيا إلى دار الآخرة بلا جهد أو تكاليف لبلوغ كنوز حقيقية **مضمونة** لا توصف بكلام ؟!))

و ما ينطبق على قصتك الافتراضية هذه مع الملاك ينطبق على جميع البشر في الحياة ، فقد وعدهم الله عبر أنبيائه بأن من يشغل حياته في الدنيا في تطوير **الثالوث المقدس** السابق فإن جنانه الرحبة بما فيها تنتظره بعد الموت .. و الله حقيقة لا تقبل الشك و جنانه حقيقة أخرى كما وعدنا .. فلماذا يرضى الإنسان بوعد ملاك له بأنه سيعثر على كنز سيجعله ثرياً في عمر متقدم و ينتظر ذلك بقناعة و تسليم و اهتمام بالثالوث المقدس ، و لا يرضى بوعد الله له بأنه سيحصل على كنوز لا توصف في نفس العمر تماماً لكن بأن يحلّ أجله و ينتقل إلى الجنان ، فيعيش حياته برضا و قناعة و تسليم أيضاً و ينشغل بتطوير هذا الثالوث ريثما يحين أجله هذا و يعثر على كنوز السماء .. ؟!

فربما كتب الله لك أن تموت بعمر الثلاثين مثلاً ، و مغادرتك إلى الجنان عندها أعظم بكثير مما لو استمريت على قيد الحياة و عثرت على كنز مادي محدود بعمر الثلاثين نفسه ثم استمتعت به حتى عمر المئة افتراضياً علماً أن السعادة الصرفة في الحياة الدنيا سراب لن يتحقق و لو امتلكت كنوز الأرض قاطبة..

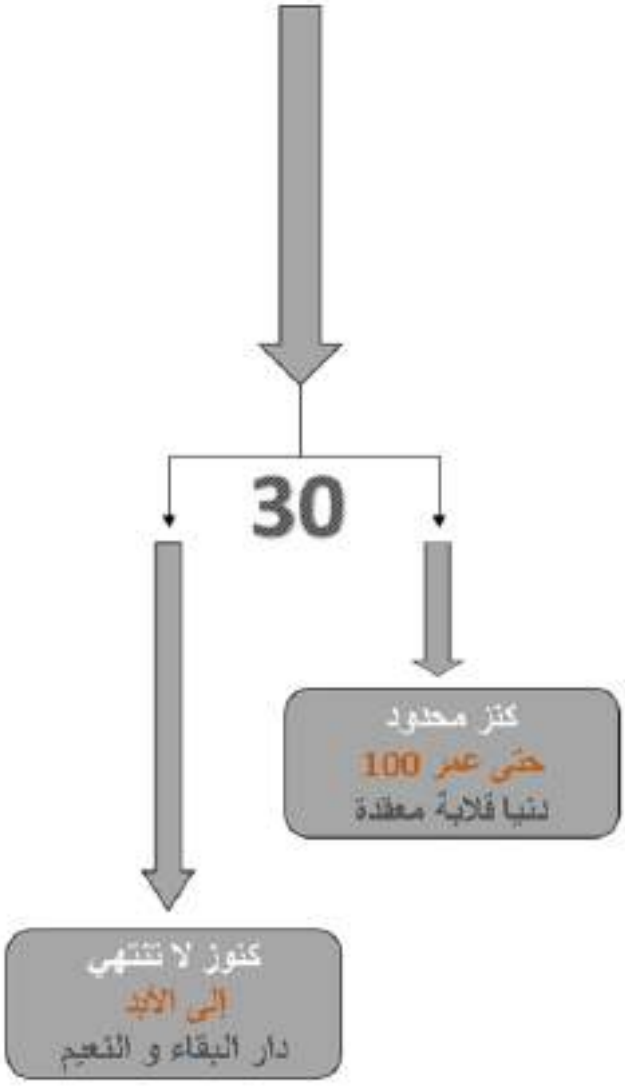

و هذه مفارقة عجيبة أراها عند الأغلبية الساحقة من البشر ، و إن فكرت بها قليلاً عزيزي القارئ ستجدها شائعة و غير منطقية و مدهشة للغاية !! إذ بالفعل كل إنسان يأتي

على هذه الحياة سيعثر على كنز حقيقي في فترة معينة من حياته و هي بالتحديد (اليوم الذي سيموت فيه) فلماذا نرفض انتظار هذا اليوم و ذاك الكنز بقناعة و رضا و تسليم فنؤجل أحلامنا كلها إلى ما بعد هذا السنّ لكن لنحققها كلها بأفضل صورة ممكنة في مكان آخر أجمل بكثير ؟! في حين نقبل بانتظار ذلك اليوم مقابل كنوز أقل بكثير إن كنا سنعمّر كثيراً بعده ؟! و ما الفارق بين الحالتين بالأساس سوى **الاختلاف الهائل بين قيمة الكنزين و طبيعة المكانين (دار الفناء القلابة و دار البقاء الأبدية) ؟!**

فكّر بها قليلاً عزيزي القارئ ، ستجد أن السبب الوحيد لهذه المفارقة و المغالطة هو ضعف إيمان البشر بالله و بالحياة بعد الموت ، و هنا يعود الثالوث المقدس ليثبت أهميته العظيمة في حياتنا فتمنحنا المعرفة الإيمان و يمنحنا الإيمان القناعة بقسمة الله و انتظار كنوز السماء بعد انقضاء أجلنا فنعيش حياتنا بأخلاق رفيعة ..



و يمكننا تلخيص كل ما سبق بأنّ السماء وشمت على

جسدها خريطة كنز مخبأ فيها كما فعل الممثل جيالوكا كامبيدانو بالضبط ، **كنز لا يقدر بثمن و لا يوصف بكلام و لا يحاط بعقل** .. أما فك شفرة هذه الخريطة فيكون بتطوير الثالوث المقدس في حياتنا (**الأخلاق و الإيمان و المعرفة**) الكفيل بمنحنا هذا الكنز بعد سنوات محددة من عمرنا عندما يحين أجلنا فنغادر الدنيا الفانية **مرة واحدة و إلى الأبد** إلى جنان السماء الرحبة حيث تنتظرنا الكنوز العظيمة الموعودة لنتمتع بها إلى ما لا نهاية ، و جلّ ما تطلبه السماء منا هو الصبر و الانتظار قليلاً لبضعة سنوات لا أكثر .. فما عليك عزيزي القارئ سوى فك شفرة هذا الوشم بالالتزام بالثالوث المقدس كما ذكرنا و سيكون قدرك كالشاب الروسي الموهوب و المحظوظ ديمتري فتعثر على كنز ضخم يحيل حياتك جناناً حرفياً ..!!

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**خريطة الكنز**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= يا ليتني أعثر على خريطة تقودني إلى كنز عظيم يغير حياتي جذرياً نحو الأفضل ..

بل أن نقول :

= لكل إنسان في هذه الحياة كنوز عظيمة تنتظره في سنّ معين من حياته بلا أدنى شك ، وذلك عندما يأتي أجله الذي قد يكون أقرب كثيراً مما يتخيل ، أما خريطة هذا الكنز فموشومة على جسد السماء و تقول لك :

(اتبع الثالوث المقدس و هذا أكثر من كافٍ .. لتغادر الحياة مرة واحدة و إلى الأبد و تعثر على كنزك الموعود في الجنان كما وعدتك ..)

لا يمكننا فهم الحياة الدنيا بدقة و عدل إن لم نربطها بالحياة الآخرة كتتمة طبيعية و منطقية لها .. فإن اعتبرنا **حياة الإنسان في داري الفناء و البقاء جزءاً واحداً لا يتجزأ** ، فعندها سندرك جيداً أنه في نقطة معينة من هذه الحياة سيعثر كل إنسان بلا استثناء بالفعل على كنوز عظيمة لا تقدر بثمن ، لا توصف بكلام و لا تحاط بعقل كما وعدتك في مستهل مغالطتنا و هذه حقيقة ثابتة لا تقبك الشك أبداً و علينا التعامل معها كواقع لا كاحتمال بالإيمان و اليقين بوجود الله و حقيقة جنانه و عندها سيتغير كل شيء و تتغير نظرتنا إلى الحياة جذرياً .. أما خريطة الكنوز هذه فبيدنا جميعاً ألا و هي : (**الالتزام بالثالوث المقدس : الأخلاق و الإيمان و المعرفة**) ، و كلّ ما علينا هو تتبع هذه الخريطة في رحلة حياتنا على هذه الأرض **لبضعة سنوات لا أكثر** كمغامرة فريدة و ممتعة و شيقة نمخر فيها عباب محيط الحياة الدنيا بسفينتنا الخاصة حتى نبلغ

جزيرة الكنز (الحياة الآخرة) حيث ينتظرنا كنزنا العظيم المدفون فيها كما وعدتنا الخريطة بالضبط ..

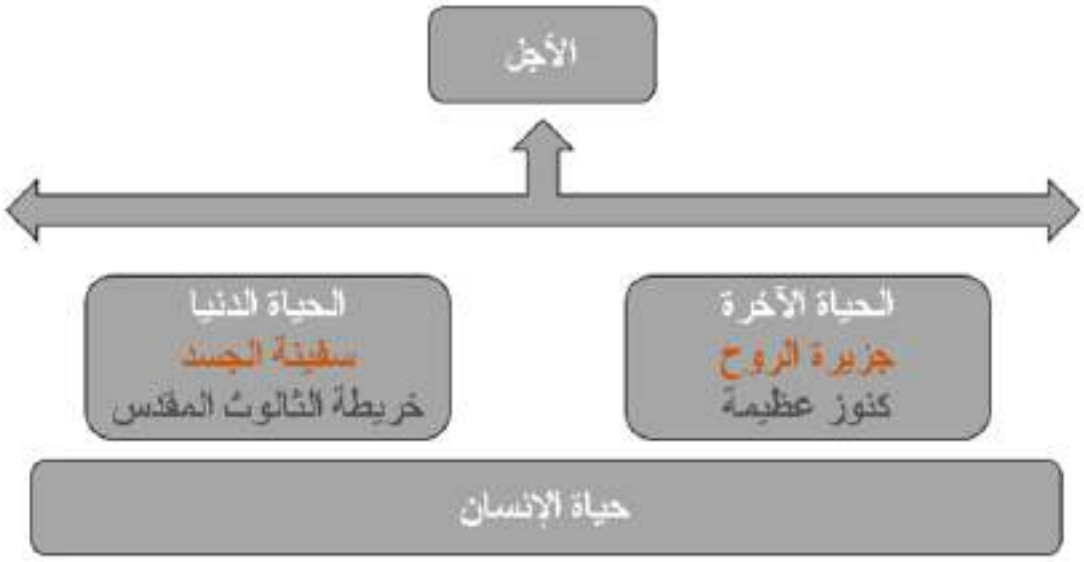

و في النهاية أتركك عزيزي القارئ مع هذه المقولة العظيمة لرسول المحبة العظيم (المسيح) التي تتقاطع مع جوهر مغالطتنا على نحوٍ رائع و مثاليّ :

((لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسدها السوس و الصدأ ، و حيث ينقب السارقون و يسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسدها سوس أو صدأ ، و لا سارقون ينقبون و يسرقون))

OLD IS GOLD مغالطة

(علوم الأوّلين)

قام اليوتيوبر شامل المصري برفع حلقته الجديدة على قناته الثقافية (اقرأ) على اليوتيوب و كان محتوى الحلقة على النحو التالي :

((أهلا بكم جميعاً أصدقائي .. حلقة اليوم مقتضبة .. فلا تخشوا الملل .. سنتحدث فيها عن **هرمس** .. أو **مثلث العظمة** .. الشخصية الساحرة و الغامضة في التاريخ ، و عن علاقته بالفيزياء الحديثة ..

هرمس الهرامسة من هو ؟

قد يكون الاسم مرّ عليك من قبل و قد تجهله .. و ربما تعرف بالفعل عنه أشياء ..

سأخبرك من هو بإيجاز شديد ..

هرمس هو شخصية مختلف عليها تاريخياً لكن الجميع يتفق على نسب كتاب (**متون هرمس**) إليه او ما يدعى : (**هرموتيكا**) .. لقب بمثلث العظمة .. و منهم من رد هذه الصفة لأنه كان يصف الله بثلاث صفات ذاتية هي **الوجود والحكمة والحياة** .. ومنهم من ردها لتجليه بثلاث شخصيات: **آخنوخ الفرعوني و إرميس الإغريقي و النبي إدريس** ، و منهم من قال لأنه تحلى بثلاث صفات عظيمة : **النبوة والمُلك والحكمة**.

ما يهمنا في حلقة اليوم هو الارتباط الغريب بين ما قاله هرمس في متونه و بين بعض قوانين الفيزياء .. قمت

بتلخيص أفكار هرمس الكونية في سبعة مبادئ ، سأذكرها مع ما يتوافق معها من قوانين فيزيائية مكتشفة حتى الآن :

◉ **العقلانية**: وهي أن العقل هو الشيء الوحيد الذي يمكن إثباته وهو الحق ← العقل هو الصورة المصغرة للإله الذي فسر كل شيء و وصل إلى كل القوانين و النتائج ..

◉ **التناظر**: هناك دائما علاقة وتواصل بين جميع الظواهر ← نظرية الزمر ..

◉ **الاهتزاز**: كل شيء في الكون يتحرك و لا يوجد سكون ← نظرية الأوتار الفائقة ..

◉ **الازدواجية القطبية** : كل شيء ثنائي متضاد ← مثل الالكترون و البوزيترون ..

◉ **التناغم** : كل شيء يتدفق بتناغم ← نظرية كل شيء و التناغم بين القوى الأربعة الأساسية في الكون ..

◉ **السبب و النتيجة** : لكل سبب نتيجة، ولكل نتيجة مسبب، و الكل يتم بحسب قوانين ← مبدأ السببية الراسخ الذي عجز الجميع عن هدمه ، فالطاقة مثلا لا تفنى و لا تخلق من العدم بل هي نتيجة أو سبب ..

◉ **الجنسين** : لكل شيء جنسان، ذكر وأنثى (الأقطاب) و تولد التيار الكهربائي بينهما كتولد تيار الحياة بين الذكر

و الأنثى ..

و كما ترون هنالك تشابه غريب بين متون هرمس و قوانين الفيزياء الحديثة و القديمة ، خاصةً التناظر و الاهتزاز و التضاد و التناغم ..

و خير من جسّد هذه المبادئ السبعة في لوحته هو **ليوناردو دافنشي** في رسمته الأيقونية (**الرجل الفيتروني**) التي تتألف من شخصين عاريين مرتبطين معا أحدهما في دائرة و الآخر في مربع ..

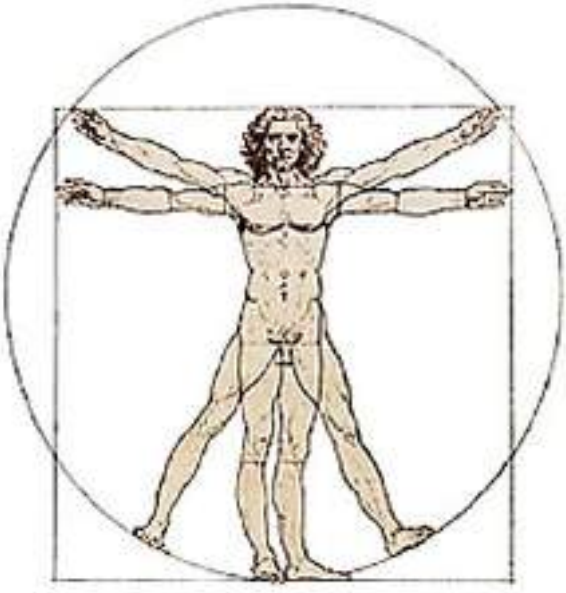

فالعقل يحكم كل شيء .. و **التناظر** باد تماما في الرسمة .. و حركة الشخص تشير إلى **الاهتزاز** الدائم و عدم السكون .. و الشخصان **متضادان** مع بعضهما و يقال أن أحدهما يمثل الذكر و الآخر الأنثى .. الدائرة تشير إلى الكون الواسع أما المربع فيشير إلى القوى الأربعة الفيزيائية التي تحكم كل شيء في هذا الكون .. و اللوحة

أمامنا الآن بسبب أن دافنشي رسمها ، و رسم دافنشي لها جعلنا نراها الآن و هذه هي **السببية** ..

إذاً بين مثلث العظمة و دائرة الكون و مربع القوى الفيزيائية تتجسد أسرار الفيزياء الساحرة ..

و هنا تنتهي حلقة اليوم المختصرة حول شخصية هرمس و متونه و ما يقابلها من أسرار فيزيائية .. أرجو ان تكونوا قد استفدتم .. و في حال ذلك شاركوا الفيديو مع من تحبون لتعم الفائدة على الجميع .. و اكتبوا لي في التعليقات عن رأيكم في هذا الارتباط و عن نظريات فيزيائية أخرى تعرفونها تتوافق مع متون هرمس ..))

*****

من شخصية هرمس أو النبي إدريس الغامضة التي تحدث عنها صديقنا الافتراضي شامل ، و التي كانت على اطلاع بعلوم واسعة و أسرار لم يكتشفها البشر حتى زمن قريب ، في حين أنّ النبي إدريس هو ثاني الأنبياء ترتيباً بعد آدم مباشرةً أي أنه موغل في القدم ، نقتحم فضاء مغالطتنا الجديدة (**OLD IS GOLD**) أي القديم ذهب لا يصدأ مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل ما وصلت إليه البشرية اليوم من تقدم

علمي مهم ، هو تطور طبيعي للبشرية على نحوٍ

متصاعد و مطّرد ، أم أنّ هذه مغالطة شائعة بين الناس ، و الأوّلون بلغوا مستويات هامة من العلوم ربما لم يصل البشر اليوم إلى بعضها ؟!)

كي نجيب على سؤالنا هذا بشكل كافٍ و دقيق كما آمل ، سنقوم بمقاربة مغالطتنا عبر سلسلة من الاكتشافات الأثرية و القصص التاريخية المذهلة التي لا يزال العلم حتى اليوم يقف مكتوف الأيدي عاجزاً عن تفسيرها ، و التي ستدهشك بلا شكّ عزيزي القارئ إن كنت تظن بأنّ الحضارات القديمة بدائية .. لكن قبل البدء بذلك لابدّ من التطرق إلى مفهوم مهم للغاية في مغالطتنا و هو **منحنى تطور العلم عبر التاريخ** ، حيث نجد هنالك وجهتي نظر في هذا الصدد :

❶ **تطور العلم المتصاعد** : و يعني بأنّ حضارات التاريخ تتطور بشكل متزايد صعوداً مع مرور الزمن، و هي النظرية الأكثر قبولاً عند أغلب البشر ، و بالمحصلة يرى أنصارها بأنّ الحضارة البشرية اليوم هي النسخة الأكثر تطوراً بين حضارات التاريخ ..

❷ **تطور العلم المتناوب الجيبي** : و يعني بأنّ

حضارات التاريخ تتطور ثم تتراجع لتتطور مجدداً ثم تتراجع كحالة من المدّ و الجزر مع شروق شمس

الإمبراطوريات و أفولها ، و يؤمن بهذه النظرية قلة ، و بحسب هذه النظرية فإنّ بعض الحضارات القديمة ربما كانت متطورة كحالنا اليوم أو حتى أكثر تطوراً ، و هذا ما سنحاول مقاربته في مغالطتنا هذه ..

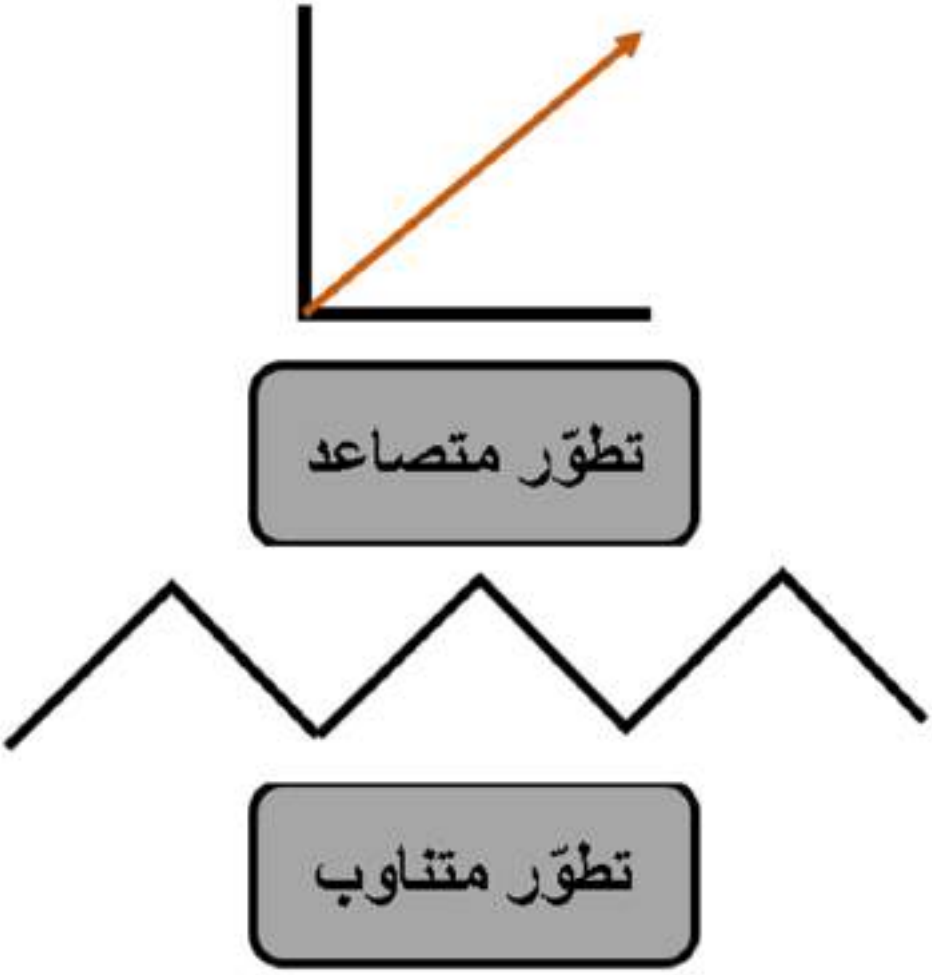

و الآن هيا بنا عزيزي القارئ نتحدث عن بعض الأسرار الدفينة في الحضارات القديمة التي يعجز العلم الحديث عن تفسيرها حتى يومنا هذا ، و التي تؤكد بأنها كانت حضارات متطورة إلى حد كبير على خلاف ما هو شائع بين أغلب البشر :

❁ **أسرار الأهرامات الفرعونية** : و هذا بند واسع للغاية ، لذا سنكتفي بذكر بعضها فقط :

● **بناء الأهرامات المثالي** بتصميم لا تشوبه شائبة ، و لا تزال طريقة نقل القطع الحجرية و رفعها لغزاً عصياً على التفسير حتى يومنا هذا، بالإضافة إلى ذلك فإن الكتل الحجرية تلك تمّ قطعها بشكلٍ مثالي و متساوٍ على نحوٍ غريب إن أخذنا بعين الاعتبار الأدوات البدائية التي كانت متوفرة في زمن بنائها !! إلا إن كنا على خطأ و كانت تلك الحضارة متطورة على نحوٍ كبير بأدوات لم نعهدها من قبل ..



● مكان الأهرامات يتوسط الخط المار في منتصف

الأرض بالضبط بالنسبة للقارات بدقة عجيبة !!

فكيف تمكن الفراعنة من إنجاز ذلك بدون توفر خرائط للعالم في ذلك الوقت ؟!

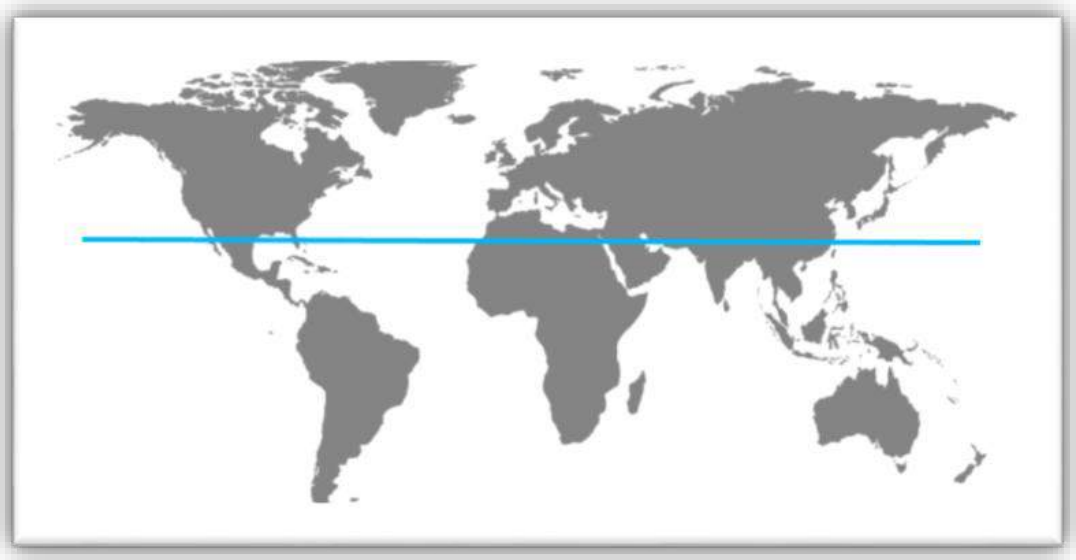

● **الرياضيات المذهلة في بناء الأهرامات** : فمحيط أي هرم منها مقسوماً على ارتفاعه يساوي **3.14** و هو رمز باي **π** الشهير في الرياضيات .. و أيضاً محيط غرفة الملك مقسوماً على الارتفاع يساوى نفس القيمة **3.14** ، و بدوره محيط تابوت الملك مقسوماً على ارتفاعه يساوى نفس القيمة **3.14** !!

● **علاقة الأهرامات بعلوم الفلك** :

■ ارتفاع الهرم الأكبر الذي يتجه من الأرض نحو السماء هو **149.4** متر ، و المسافة ما بين الأرض و الشمس **149.4** مليون كيلو متر بالضبط !! ..

- ممر الدخول للهرم الأكبر خوفو يشير الى نجم القطب الشمالي والدهليز الداخلي يشير الي نجم الشعرة اليمانية ، كما ان الهرم الأكبر بالنسبة للنظام الفلكي يقع تحت أكبر نجم فى السماء ..

- في يوم **27** شباط/فبراير من كل عام، يحدث تعامد لأشعة شمس الظهيرة مع الهرم الأكبر، و هو عيد إله الشمس «**رع** » عند الفراعنة ، و ينعكس الضوء في هذا اليوم على الواجهات الأربع للهرم، التي كانت ملساء ومصقولة وبيضاء اللون من الحجر الجيري في تلك الفترة ، ليظهر الهرم ككتلة من الضوء المنعكس ..

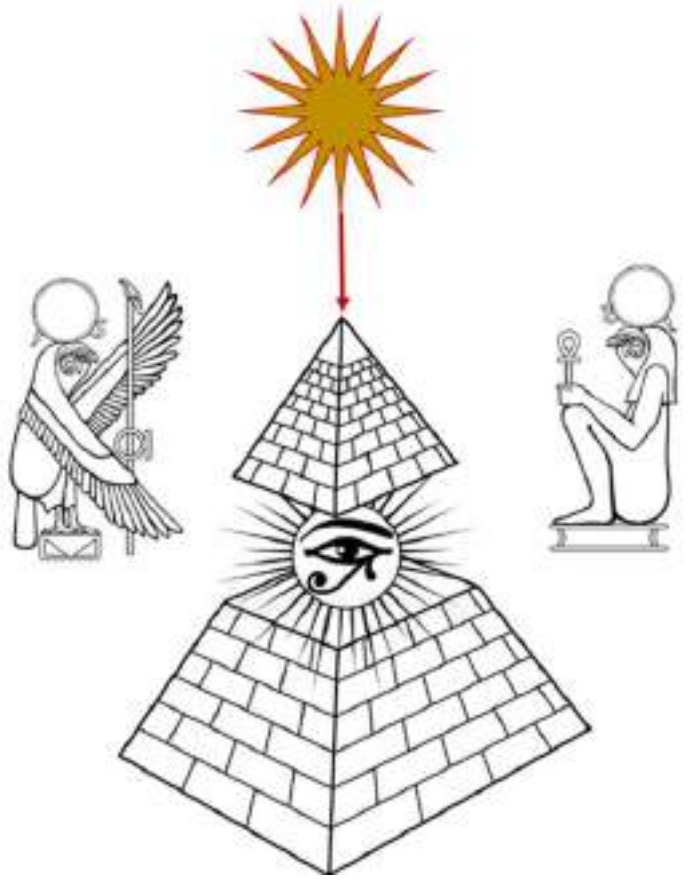

- بنيت الأهرامات الثلاثة على نحوٍ يتناسب مع النجوم

الثلاثة في حزام أوريون من حيث الحجم و الترتيب ..



بعض الحقائق الغريبة عن الأهرامات :

- لو وضعت قطعة لحم في داخل الهرم، ستجد أنها تنشف دون أن تتعفن مهما مضى عليها من زمن ..
- لو تركت موس حلاقة قديم عدداً معيناً من الساعات داخل الهرم ، سيعود حاداً مرة أخرى ..
- لو جلبت أي نبات إلى داخل الأهرامات ، فسينمو بصورة أسرع بكثير من نموّه خارجها ..
- درجات الحرارة داخل الاهرامات تبقى ثابتة بحدود **20** درجة مئوية ، بالرغم من الحرّ الشديد في مصر..

● علاقة الفضائيين ببناء الأهرامات : فهنالك بعض الأدلة الغريبة التي تربط الفراعنة القدماء بالفضائيين و لا تزال مثار جدل حتى يومنا هذا ، و منها :

■ كان السير **ويليام بيتري** عالم مصريات معروفاً على نطاق واسع .. وكان لديه في منزله مجموعة من المقتنيات الأثرية التي حصل عليها خلال تنقيبه عن الآثار في مصر و بالتحديد في منطقة تل العمارنة و أبيدوس.. و يقال أنه ضمن هذه المجموعة و على نحو غريب مومياوات لا تتطابق مع البنية العظمية للإنسان، و يعتقد البعض أن تكون هذه المومياوات بقايا حقيقية لكائنات فضائية..!!



■ هنالك أيضاً بردية تولي التي تحكي قصة ما حدث في يوم من الأيام في عهد حكومة **تحتمس الثالث**، عندما

شوهدت دائرة من النار في السماء ومعها عدة سفن على شكل صحون طائرة والتي اختفت بعد فترة..

لم تُشاهد بردية تولي مرة أخرى بعد وفاة الأخوين تولي على نحو مريب يطرح العديد من الأسئلة عن صحتها و مضمونها !! ..



- اكتشاف بعض الرسومات الغامضة في قاعة الأعمدة في **معبد سيتي الأول** في أبيدوس، وهي رسومات لما يشبه نوعاً من الأطباق الطائرة الغريبة ..

فإن كانت هذه الأدلة حقيقية فعلاً فلا شك أن حضارة الفراعنة كانت متطورة للغاية بسبب هذه العلاقة مع جنس فضائي متطور بلا شك !!

و القائمة تطول كما قلنا بخصوص أسرار بناء أهرامات الجيزة الغامض ، لكن ما ذكر لوحده يؤكد أن ما بلغه الفراعنة من تطور علمي (رياضي ، فلكي ، أجهزة و أدوات ...) أكبر بكثير مما نعرفه اليوم ، و إلا لما تمكنوا

من بنائها و في زمن قياسي و وفق أرقام رياضية ثابتة و دلائل فلكية مدهشة ..

❁ **أسرار الهنود الحمر الغامضة** : و هي كثيرة بدورها و نكتفي مجدداً بذكر بعضها :

● **بناء الأهرامات المعقد** أيضاً وفق معايير رياضية و فلكية مذهلة بدورهم ..



● **خطوط نازكا في البيرو** : و هي منحوتات عملاقة في الأرض (جيوغليفات) تمتد لمسافة مئات الأمتار و تأخذ أشكالاً دقيقة للغاية لحيوانات و رموز ..

و تعود في جذورها للهنود الحمر منذ مئات السنين ، و لا تزال طريقة رسمها لغزاً عصياً على التفسير حتى يومنا هذا ، فدقتها و مساحتها الواسعة يقتضي

بالضرورة متابعتها من السماء أثناء إنجازها ، فكيف تمكن الهنود الحمر من فعل ذلك ؟!

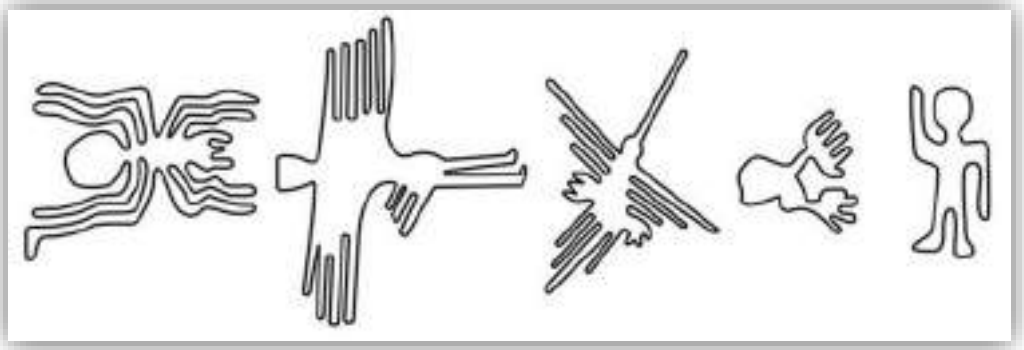

● **تحف كويمبايا** : هي عشرات القطع الذهبية غريبة الشكل عثر عليها في دولة كولومبيا ، يمثل بعضها مجسمات لهياكل طائرة على نحو غريب لا يتناسب مع الحقبة الزمنية التي اكتشفت فيها عندما كان الطيران مجرد حلم غير قابل للتطبيق بالنسبة للبشر ..



فهل تمكن الهنود الحمر من الطيران بالفعل ، هذ قدا يفسر طريقة رسم خطوط نازكا !!

❁ **اكتشافات أثرية غامضة مذهلة** : و القائمة تطول للغاية هنا أيضاً ، نذكر منها :

● **بطارية بغداد** : و هي جهاز مكتشف بالقرب من بغداد عام **1936** و يعود إلى قبل الميلاد ، و يشابه كثيراً بنية البطاريات المستخدمة حالياً .. و هو اكتشاف خطير ينسف نظرتنا للحضارات القديمة و تطورها العلمي ..



● **جهاز كشف الزلازل الصيني** : اخترع في القرن **2** الميلادي من قبل العالم الموسوعي الصيني **زانج هينغ** ، و هو قادر على كشف الزلازل على بعد مئات الكيلومترات و تحديد جهتها أيضاً ، و كانت آلة هينغ عبارة عن وعاء برونزي كبير يبلغ طوله مترين، يتوسطه عمود استشعاري استخدم لتحسس حركات

الزلازل ، كذلك امتلكت هذه الآلة ثماني فتوحات على شكل تنانين لتحديد الاتجاهات، وقبالة كل فتحة وضع إناء صغير على شكل ضفدع ، وبالتزامن مع حدوث الزلزال، تسقط من إحدى الفتوحات كرة صغيرة داخل فم الضفدع ليتم تحديد اتجاه المنطقة المتضررة من الزلزال حسب اتجاه الضفدع الذي تقع بداخله الكرة، وتبدأ على الفور عملية نقل المساعدات إلى الجهة المنكوبة .. و هذا الاختراع يسبق اختراع السيزموغراف لرصد الزلازل بقرون كثيرة ، فهل هذه اختراعات حضارات بدائية بالفعل ؟!



- اكتشفت علماء الآثار صوراً لما يشبه **المصابيح الكهربائية** إلى حد كبير على أحد مقابر تل العمارنة

في مصر ، أثار الاكتشاف ضجة كبيرة حول تاريخ اكتشاف المصباح الكهربائي بالفعل ، و درجة التطور العلمي عند الفراعنة بالطبع !!

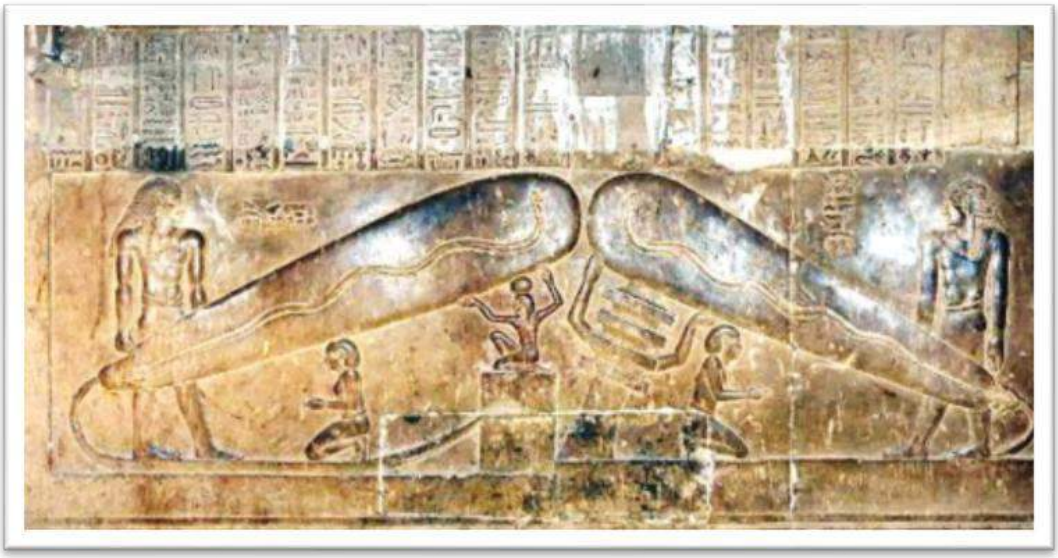

● **الأبواب الأتوماتيكية عند الإغريق** : اخترعها العالم والمهندس العظيم هيرون في القرن **1** الميلادي في الإسكندرية، حيث صمم نظام تلك الأبواب باستخدام سلسلة من الحبال و البكرات، و استخدم نظاماً هيدروليكياً يعتمد على إزاحة الماء الثقيل لتحريك أبواب أحد المعابد اليونانية المهمة في الإسكندرية..

● **أول حاسوب في التاريخ** : و هو آلة **أنتي كيثيرا** التي تم اكتشافها عام **1900** في حطام سفينة أنتي كيثيرا في البحر الأبيض المتوسط قرب جزيرة أنتي كيثيرا اليونانية ، و هي عبارة عن قطعة أثرية تعود لقبل الميلاد و تمثل آلة ميكانيكية معقدة من التروس والمسننات، اخترعها

الإغريق للحساب الفلكي لمواقع الأجرام والتنبؤ الدقيق بالخسوف و لأمور أخرى ربما، ، وهي معروضة الآن في المتحف الأثري الوطني في أثينا..



● **الاستفادة من الطاقة الشمسية عند الفراعنة** :

اكتشف علماء الآثار أنّ الفراعنة قاموا باستخدام مواد بسيطة تدعى (**السبج**) و هو نوع من الزجاج البركاني يتكون فى الغالب من السليكون ، لبناء خلايا شمسية بسيطة باستخدام الأسلاك النحاسية أيضاً ، و تعتبر هذه أقدم خلايا شمسية مكتشفة في التاريخ حتى اليوم ..

● **أول جهاز يستخدم قوة البخار لتوليد الحركة**:

حيث اخترع الإغريق جهاز **إيولي بيل هيرون** قبل اختراع المحرك البخاري بقرون طويلة ، و هو جهاز آلي يعمل بالبخار اخترعه المهندس اليوناني **هيرون** نفسه ..

تتكون هذه الأداة المبتكرة من كرة مجوفة يتصل بها أنبوبان منحنيان ، و عندما يتم تسخين الكرة فإن البخار المتولد يتسرب عبر الأنابيب، مما يتسبب في دوران الكرة ..

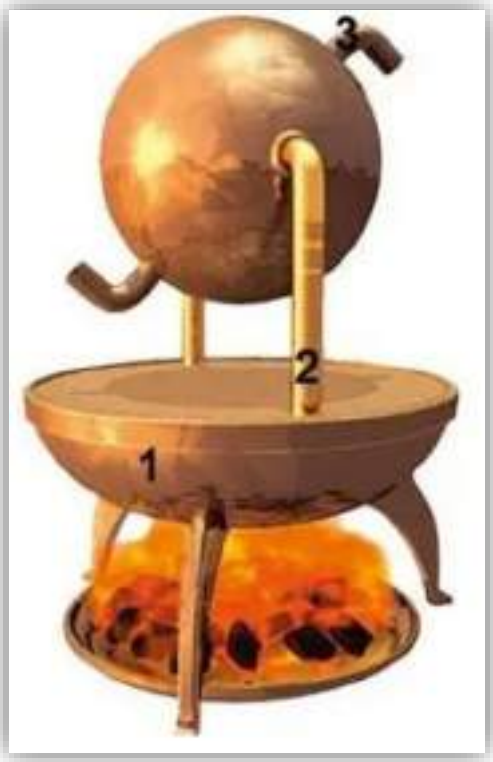

● **آلة البيع الأوتوماتيكية** : ظهرت أول آلة من هذا النوع في القرن **1** الميلادي، لمنع الناس من سرقة المياه المقدسة على يد المخترع هيرون أيضاً ، الذي وضع رافعة في مسار فتحة العملة النقدية ، فإذا وضع أحد الاشخاص عملة سيتدفق الماء المقدس من صنبور مفتوح ، و لكن بمجرد سقوط العملة المعدنية، تتحرك الرافعة لتغلق صنبور الماء مجدداً ، فلا يأخذ أحد أكثر من حقه و ما دفعه من مال ..

● **أهرامات غامضة حول العالم** : اكتشفت مجموعة أهرامات في بقاع مختلفة من الأرض لا تزال هوية من بناها و آلية بنائها لغزاً عويصاً حتى اليوم و نذكر منها:

■ **هرم إلسوورث في القطب الجنوبي** : و هو هرم عملاق يأخذ شكلاً هرمياً مثالياً طول كل من أضلاع قاعدته **2** كم و ارتفاعه **400** متراً ، اكتشف عام **1935** من الجوّ، و لا يزال لغزاً مبهماً يلفه الغموض من جميع الزوايا ..



■ **أهرامات يوناجوني الغارقة في اليابان** : أهرامات تحت المياه قرب شواطئ اليابان ، يعتقد البعض أنها جزء صغير من حضارة متطورة كحضارة أطلنتس المفقودة و غرقت لأسباب مشابهة ربما ، و لا يعرف العلماء حتى اليوم أي شيء عن هذه الحضارة ..

❁ **قصص من التاريخ عن التطور العلمي للحضارات،** و نذكر منها **5** قصص مدهشة للغاية:

● قصة نقل عرش بلقيس من سبأ إلى النبي سليمان في غمضة عين كما ذكر في القرآن :

(أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)

و يقال أن من قام بهذه (المعجزة العلمية) هو شخص يدعى **آصف بن برخيا** الذي بلغ مبلغاً مهماً من العلم .. فإن كان الأقدمون قادرين على نقل الأشياء من مكان لآخر عبر مسافات شاسعة ، فما هي درجة التطور التي بلغوها ..؟!

● تم ذكر اكتشاف بعض الخيميائيين القدماء **لحجر الفلاسفة** الذي يحيل أي معدن إلى ذهب في وثائق تاريخية متنوعة المصادر، و تكرار هذه القصة في جميع الحضارات بمختلف العصور يطرح عشرات الأسئلة و إشارات الاستفهام !!



- توجد ثلاث روايات قديمة عن مادة تعرف باسم **الزجاج المرن**، و تذكر قصة صانع زجاج قدم **للإمبراطور تيبيريوس** في القرن **1** الميلادي وعاءً زجاجياً، ألقاه أمامه على الأرض فلم ينكسر فخشي الامبراطور من انخفاض قيمة المعادن الثمينة بسبب هذا الاختراع المدهش، لذا أمر بقطع رأس المخترع حتى يموت معه سر الزجاج المرن المقاوم للكسر إلى الأبد.

- ذكرت الوثائق التاريخية المتنوعة استخدام البيزنطيين **للنار الإغريقية** في حروبهم البحرية لحرق السفن ، فهي نار لا تنطفئ بالماء بل فقط بالخل و الرمل ، أما الماء يزيدها لهيباً و اشتعالاً ، و ما تزال مكوناتها و طريقة صنعها لغزاً محيراً للعلماء حتى اليوم ..



- ذكرت بعض الروايات قصة **الترياق الشامل ضد جميع السموم** و الذي تم تطويره من قبل **الملك**

ميثريداتس السادس في القرن **1** قبل الميلاد و يقال أنّ من بين مكوناته الأفيون والأفاعي المفرومة ومزيج من جرعات صغيرة من السموم ومضاداتها ..

هذه أمثلة بسيطة عن اكتشافات أثرية و قصص تاريخية تؤكد أن ما نعرفه عن التطور العلمي الذي بلغته الحضارات القديمة هو جزء يسير من الحقيقة (**أسرار الرياضيات و الفلك ، الطاقة الشمسية ، المصباح الكهربائي ، الحاسوب ، البطارية ، قوة البخار ، الطائرات ....**) و لا ندري لعل قادم السنوات يزيح الستار عن اكتشافات أغرب بكثير !!

لنعود إلى مستهل مغالطتنا (**متون هرمس**) و كيف كان الأوّلون على دراية بكثير من الظواهر العلمية من حولنا .. فنصل إلى نتيجة واضحة بأن (**القديم ذهب لا يصدأ**) و جلّ ما تفعله البشرية الآن هو البناء على ما أسّسه القدماء أو ربما الوصول إلى مستويات من التطور بلغوها بالفعل من قبل دون أن ندرك ذلك ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**OLD IS GOLD**) من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الحضارات القديمة كانت متخلفة و على الدرجات الأولى من سلم التطور بالمقارنة بحضارتنا اليوم ..

بل أن نقول :

= إن كثيراً مما اكتشفناه عن الأولين لا يزال لغزاً عصياً على الفهم و التفسير بالنسبة لنا رغم تطورنا العلمي بالنسبة لهم .. مما يطرح وجهة نظر قوية بأنّ ما بلغوه من تطور علمي أكبر بكثير مما نظنّ ، و السنين القادمة ستدهشنا أكثر بلا أدنى شك في هذا الصدد ..

لطالما كانت الصورة النمطية في ذهننا عن إنسان الكهف مرتبطة **بالجهل و التوحّش و التخلف** ، لكن الاكتشافات الأثرية المتلاحقة دحضت تماماً هذه الصورة ، فأظهرت رسوماته في **كهوف شوفيه** في **منطقة الأرديش** جنوب **فرنسا** و التي تعود إلى **20** ألف سنة، أنه حمل روحاً مرهفة و ذوقاً فنياً رفيعاً ، برسومات دقيقة ملونة للطبيعة و الحيوانات و غيرها ..



كما أنه اكتشف أهم اكتشاف في تاريخ البشرية و الذي كان حجر الزاوية في تطور كل شيء لاحقاً ألا و هو (**النار**) كما أثبتت ذلك دراسات أثرية **في كهف وندر ويرك** (المعجزة باللغة المحلية) في **صحراء كالا هاري** في **جنوب إفريقيا** ، حيث عثر على أدوات حجرية متقنة الصنع من اختراعه و بقايا لآثار إضرام نار تعود إلى حوالي **1.8** مليون عام .. ليثبت كل ذلك أنّ إنسان الكهف كان **فناناً مرهفاً و مخترعاً مميزاً ، و مكتشفاً عظيماً** منذ ملايين السنين على خلاف الصورة المشوهة التي في أذهان الناس عنه..

و لا ندري لعل نظرتنا للحضارات البشرية القديمة كحضارات (**بدائية و متخلفة**) هي صورة مشوهة و ظالمة بدروها ستبددها و تدحضها الاكتشافات الأثرية القادمة كما فعلت بعض الاكتشافات الحالية و التي أتينا على ذكر جزء منها في هذه المغالطة على سبيل المثال لا الحصر كي لا نطيل الحديث ..

مغالطة الإعدام

(ولكم في القصاص حياة !!)

= هل سمعت آخر الأخبار يا صديقي ؟! .. لقد تم أخيراً القبض على القاتل المتسلسل X و حكم عليه بالإعدام بالكرسي الكهربائي بعد محاكمة قصيرة بسبب اعترافه بارتكاب جرائمه و الكم الهائل من الأدلة التي عُثر عليها في منزله ، و سينفذ الحكم بعد أسبوع .. يا له من خبر مفرح !!



= خبر مفرح بلا شك لأرواح الضحايا و لذويهم و لعامة الناس الذين سيسلمون من الأذى بعد الآن ، لكن ماذا عن X نفسه ؟

= ما حاله ؟

= سيعدم و يغادر الحياة بلا توبة أو تغيير ..

= هذا جزاؤه بالنهاية ..

= كيف تقول ذلك ؟! لا شك بأن هنالك أسباب قاهرة تقف خلف تصرفاته هذه .. الإنسان لا يصبح قاتلاً من فراغ أو بين ليلة و ضحاها !! فلابد من وجود اضطراب عضوي أو نفسي كان المحرك الأساسي لأفعاله .. من جهتي و بحكم فضولي بالقراءة عن القتلة المتسلسلين ، وجدت أنّ الشيء المشترك بينهم أنهم عانوا جميعاً من طفولة صعبة للغاية ، كما أنهم كانوا غير مستقرين نفسياً أبداً .. هؤلاء - رغم جرائهم البشعة الكثيرة - لا يستحقون الإعدام بل يستحقون معاملة خاصة بغية علاجهم و إعادة تأهيلهم فهم ضحية لا تختلف عن ضحاياهم ، بل الحقيقة أنهم أفرغوا غضبهم جراء الظلم الذي طالهم على الآخرين كي يشعروا بشيء من العدل في حياتهم ..

= انتبه يا صديقي ، أنت بذلك تشرّع لكل إنسان عانى في حياته كي يصبح مجرماً! ..

= أبداً .. صدقني يا صديقي ، لو أن أي إنسان مسالم عانى مما يعانيه هؤلاء القتلة المتسلسلين من اضطراب عضوي أو نفسي خطير لفعل بالضبط ما فعلوه .. من لا يرتكب الجرائم لم يصل بعد إلى العتبة الحرجة التي يتحول فيها الإنسان إلى وحش بلا رحمة .. بمن في ذلك أنا و أنت ..

= و الحل برأيك ؟

= الحل بدراسة هؤلاء طبياً بدقة فائقة لتشخيص حالتهم

و المباشرة بعلاجهم .. و عندها فقط تكون قد نفذت حكم الإعدام الحقيقي و العادل بقتل النسخة المريضة منهم التي ارتكبت تلك الجرائم ، لتولد نسخة جديدة طبيعية منهم نادمة على ما فعلته في الماضي ..

*****

صفحات التاريخ تعج بمئات القتلة المتسلسلين المشهورين الذين قتلوا العشرات بدم بارد من قبيل **جاك السفاح** أو **وحش الأنديز بيدرو ألونسو لوبيز** أو **السفاح الوسيم تيد بندي** أو **سفاح روستوف أندريه تشيكاتيلو** أو **سفاح باكستان جاويد اقبال** أو **جيفري دامر** و غيرهم .. و كان يوم إلقاء القبض عليهم عيداً وطنياً تحققت فيه العدالة وسط هتافات الناس المطالبة بإعدامهم .. و في الحقيقة البشر عبر التاريخ تفننوا بطرق إعدام المنافسين أو المجرمين من الشنق إلى المقصلة فالرصاص أو الغاز أو الحقنة السامة ، و ربما الكرسي الكهربائي أو الغرق ... و غيرها ..



و تعددت الأسباب و نتيجتها النهائية واحدة (موت الإنسان بلا إمكانية للرجوع أو تصحيح الخلل الحاصل

في حياته) ففي الحقيقة هذا الإعدام لم يُعد الضحايا إلى الحياة و لم يجبر قلوب ذويهم المنكسرة و الأهم أنه لم يشرح لنا بالضبط لماذا تحول هؤلاء البشر إلى قتلة متسلسلين بلا مشاعر إنسانية .. بمعنى أنه إعدام مجاني بلا فائدة .. قد يقول البعض أنه أنهى أذى هؤلاء للناس الأبرياء ، لكن السجن لوحده كفيل بتحقيق هذه الغاية كالإعدام بالضبط !! و هذه العملية العبثية هي جوهر مغالطتنا الجديدة (**الإعدام**) مع سؤالها الجوهري التالي :

(هل الإعدام فعل عادل بالفعل ؟ و ما الفائدة التي يحصّلها المجتمع من تنفيذه ؟)

كي نجيب على هذا السؤال بشكل أعمق و أوسع سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **3** زوايا هامة (علمية و دينية و أخلاقية) كي تتقاطع محاور الأفكار في النهاية بنتيجة مرضية في هذا الصدد ..

و قبل الانطلاق في هذه الرحلة لا بدّ من التمييز بين نوعي الإعدام الأساسيين :

① **الإعدام العقائدي** : و هنا يتم إعدام شخص بسبب اختلافه عن المنفذ بالعقيدة الدينية أو السياسية أو العسكرية أو الفكرية .. و هذا هو النوع الأشيع عبر التاريخ .. و بالطبع هذا النوع مرفوض شكلاً و مضموناً .. فالاختلاف بالرأي و التوجه و المعتقد حق لكل إنسان

طالما أنه لا يفرض وجهة نظره بالقوة على الآخرين، بل هذا ما يفعله منفذو الإعدام حرفياً في هذه الحالة ..

② **الإعدام الجزائي** : و هنا يتم إعدام شخص بسبب ارتكابه لجرم ما يخرق القانون و غالباً ما يكون القتل ، لكنه أحياناً ينفذ لأسباب أخرى كالسرقة و الاحتيال و الاغتصاب و غيرها حسب الفترة التاريخية و البقعة الجغرافية .. و هذا النوع هو صميم مغالطتنا التي سنقارب خلالها مدى شرعية و صحة هذا الإجراء ..

و الآن هيا بنا عزيزي القارئ كي نقارب مغالطتنا من زاويتيها الهامتين ..

❁ الزاوية العلمية :

هنالك في الفيزياء قانون أيقوني يقول :

(لكل فعل رد فعل يساويه بالمقدار و يعاكسه بالاتجاه)

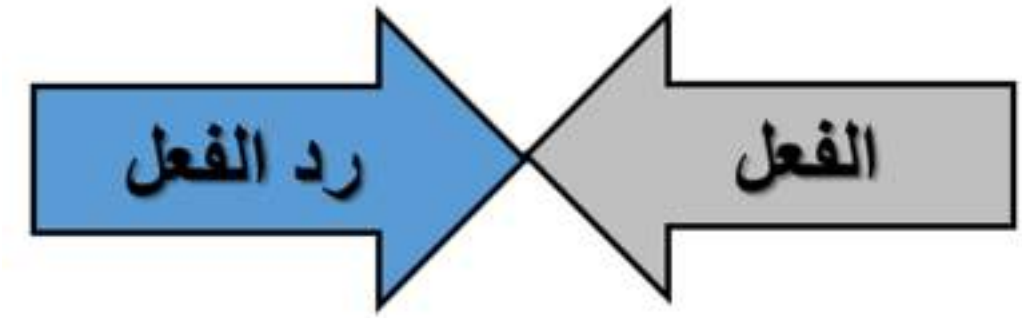

و هذا القانون ينطبق بدوره على أفعال البشر أنفسهم ..

فمن كان فعل الحياة تجاهه مجبولاً بالحب و الرحمة و السلام كان رد فعله عليها من ذات الطبيعة و بنفس المقدار .. أما من كان فعل الحياة تجاهه مفعماً بالكره و الألم و الضياع فلا تتوقع منه رد فعل على الحياة من حوله إلا من ذات الطبيعة و بنفس المقدار ، و هكذا ببساطة يولد المجرمون .. و كلما كانت أفعالهم أكثر وحشية فكن على يقين بأن الحياة عاملتهم بنفس هذا المقدار من الوحشية .. و لم تولد وحشيتهم من العدم تماما كالطاقة في هذا الكون ..

و إن قمنا بتحليل الأسباب الكامنة خلف الفعل الإجرامي لبعض الناس ، سنجد **4** أسباب رئيسية تشمل **99** % من المجرمين :

◉ **مرض عضوي** : كورم القوائم في غدة الكظر الذي يفرز هرمون الأدرينالين الذي يسبب بدوره نوبات من الغضب الشديد يفقد فيها المريض السيطرة على نفسه تماماً .. أو ورم الخصية المفرز لهرمون الذكورة التستوستيرون الذي يفاقم غريزة المريض الجنسية بشدة و قد يدفعه للاعتداء الجنسي على الآخرين ..



◉ **مرض نفسي** : و يندرج تحت هذا السبب الغالبية الساحقة من المجرمين ، و للمرض النفسي هنا نوعان:
= **مرض نفسي داخلي** بلا تأثير من المحيط و غالباً ما يكون وراثياً أو جينياً ..

= **مرض نفسي خارجي** بسبب الظروف الشاذة القاهرة التي تحيط بالمريض و خاصة في فترة الطفولة .. وهذا النوع الثاني يشمل القسم الأعظم من المجرمين على وجه أكثر دقة ..



◉ **حالة تغييب العقل** : كمن يرتكب جريمة و هو تحت وطأة المشروبات الروحية أو المخدرات أو العقاقير ..



◉ **جرائم بالصدفة** : كحال اللص الذي يسرق منزلاً فتتطور الحالة إلى عراك مع ساكن المنزل الذي كان يظنه في الخارج فيقتل أحدهما الآخر بدون تفكير .. و قس على هذا المثال ..



و كما ترى عزيزي القارئ .. فالأسباب الأربعة السابقة لا تستدعي إعدام المجرم القاتل فيها .. بل تستدعي تحديد السبب الحقيقي منها و علاج الجاني منه كي نقتل بذلك المجرم المريض الذي ارتكب الجريمة و بنفس الوقت يولد في المجتمع إنسان جديد سويّ نادم على ما فعله .. و الأهم من هذا كله أن نجاة هؤلاء المجرمين من واقعهم السابق المظلم سيدفع كثيرين يعيشون هذا الواقع إلى طلب المساعدة و التشخيص و العلاج قبل ارتكابهم لجرائم بدورهم مما ينقذ المجتمع مما هو أسوأ ..أما من يظن أن الإعدام هو رادع يخيف البشر فيمنعهم من ارتكاب الجرائم .. فللأسف هذا غير صحيح على الإطلاق ..

فالرادع يكون لإنسانٍ واعٍ سويّ ، أما المجرمون و كما حللنا في الأسباب السابقة فهم غير واعين على الإطلاق و لا يفكرون بعواقب أفعالهم بالأساس !!

❁ **الزاوية الدينية** : يقول البارئ في الذكر الحكيم :

(و لكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب)

فإن كان القصاص هو إنهاء حياة المجرم بالإعدام ، فأين الحياة في ذلك ..؟!

القصاص هو فعل يقتل الجانب المظلم من الجاني بتحديد سببه و علاجه كي يشعّ الجانب المشرق منه على حياته و حياة الآخرين في المجتمع .. و هنا يتضافر العلاج الطبي مع السجن لتحقيق هذه الغاية .. و بالرجوع للأسباب السابقة نجد أن أول سببين قصاصهما هو العلاج العضوي أو النفسي ، أما السببان الأخيران فقصاصهما السجن كي يقلع الإنسان عن الإدمان الخطير أو عن الجرائم الأخرى غير القتل كالسرقة و غيرها .. و هنا لا بد من التنويه إلى نقطة غاية في الأهمية في مغالطتنا و هي **طبيعة السجون في العالم** ، فالغاية من السجن هي (إعادة تأهيل و بناء الإنسان لتغذية الجانب المشرق منه) أما ما نراه على أرض الواقع فهو العكس تماماً (تدمير الإنسان أكثر و تغذية الجانب المظلم منه) عبر الإهانة اللفظية و الجسدية ، و افتقار أغلب السجون لمقومات الحياة الطبيعية ، و غياب التأهيل النفسي و الثقافي و الاجتماعي للمساجين .. ليخرج السجين بعد

سنوات من احتجازه أسوأ مما كان .. فإن كان مجرماً قبل دخوله السجن ، كيف سيكون عليه الوضع بعد الإفراج عنه ؟!

و السبب الكامن خلف طبيعة السجون هذه ، هي ببساطة أنّ الحكومة تنظر إلى المجرمين كأشرار لا كضحايا و هنا مربط الفرس في مغالطتنا .. أنت تتعامل مع مرضى بحاجة لمداراة و علاج .. و هذا حق لهم و واجب عليك ..



❁ **الزاوية الأخلاقية** : إن النظرة العامة الشائعة بين البشر عن المجرمين القتلة هي أنهم أشرار و شياطين متجردة من الإنسانية .. و الحقيقة المغيبة المؤلمة في هذه المغالطة و كما حللنا في الزاويتين السابقتين هي أن المجرمين كما أسلفنا هم ضحايا بأنفسهم كضحاياهم

بالضبط .. و رغم قسوة و بشاعة جرائمهم و الخوف الكبير الذي يبثونه في أعماق الناس فإننا يجب ألا نغفل عن هذه الحقيقة .. و أول شيء علينا القيام به بعد إلقاء القبض عليهم هو تحديد السبب الكامن خلف تصرفاتهم و علاجه بالقصاص المناسب كي نكتب لهؤلاء المجرمين حياة جديدة بحق كما أوصانا الخالق .. حياة مفعمة بالتوبة و الندم على ما فعلوه في الماضي و التعويض عن ذلك بأفعال جيدة و خيرة في الحاضر و المستقبل .. و صدقني عزيزي القارئ كلمة اعتذار حقيقية يقولها المجرم التائب بصدق لذوي الضحايا أفضل بألف مرة من إعدامه ... فالاعتذار الحقيقي قد يجبر الكسور لأنه يمنح ذوي الضحايا شعوراً بأنّ موت أحبتهم أحيا روحاً ميتة أما الإعدام فلن يغير فيها شيئاً بل هو موت يضاف إلى موت بلا نتيجة ..

و لمن يستنكر منح المجرمين فرصة ثانية ليتوبوا في حياتهم عليه أن يتذكر المقولة الأيقونية :

(كل بني آدم خطاؤون ، و خير الخطائين

التوابون)

و إن كانت عصمة الأنبياء و الرسل هي **عصمة الرسالة** التي لا ينبغي أن يطالها خلل أو نقص أو عيب ، فإن الأنبياء كأشخاص لم يكونوا معصومين و أخطأوا حتى بعد بعثتهم .. فما قولك ببشر عاديين أنهكتهم الأمراض العضوية أو النفسية أو غيّب عقلهم أو ارتبكوا جرماً

بالصدفة في لحظة ارتباك .. ألا يستحقون فرصة للتوبة و التغيير عبر تقديم العلاج لهم و التأهيل المناسب في سجون مخصصة لهذه الغاية !؟

تذكر عزيزي القارئ أنّ :

۞ **أدم** أول الأنبياء و أبو البشر افتتح عهد البشرية بخطيئة عصيان أمر خالقه كما ذكر القرآن :

(و عصى أدم ربه فغوى)

۞ **نوح** ناجى ربه أن ينقذ ابنه من الطوفان رغم يقينه بفسوقه و كأنه يلتمس عذراً بحكم رابطة الدماء لا رابطة الأخلاق ..

۞ **موسى** قتل شخصاً بطريق الخطأ فسامحه الله و بعثه نبياً كما ذكر القرآن :

(و قتلت نفساً فنجيناك من الغم)

۞ السيد **المسيح** في الرواية المسيحية ضعف أمام آلام الصلب و عاتب الله بقوله (**لماذا تخليت عني يا أبتي**؟)

۞ نبي الرحمة **محمد** عاتبه الله بشدة بشأن تجاهله لابن أم كلثوم الأعمى عندما أراد الحديث منه في قوله تعالى :

(عبس و تولى إذ جاءه الأعمى)

فإن ارتكب الأنبياء الأخطاء في حياتهم و غفرها الله لهم ، فمن هم البشر كي لا يغفروا لبشر عاديين أخطاءهم فيتم قصاصهم بقصاص يبعث فيهم الحياة السوية الخيرة من جديد ؟!

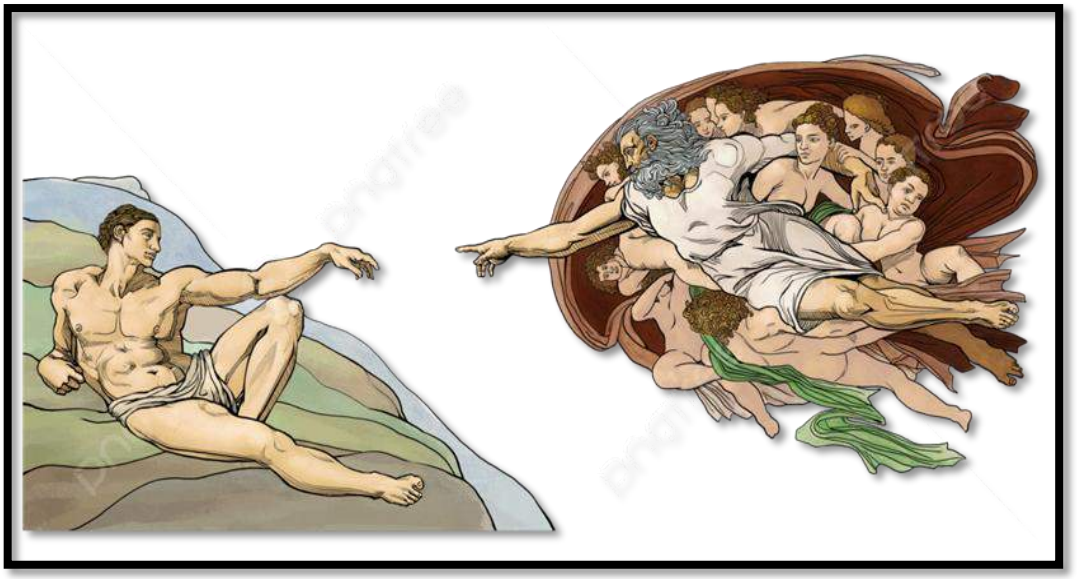

*****

في ختام مقاربتنا لمغاطتنا الحساسة للغاية (**الإعدام**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= هذا القاتل مجرم شرير تلبسه الشيطان ..اقتلوه و خلصوا المجتمع من شره و آذاه ..

بل أن نقول :

= غضب الناس من المجرمين مبرر بسبب وحشية جرائمهم و خسارة أحبائهم .. لكن يجب ألا يعمي هذا الغضب بصرنا و بصيرتنا ، بل أن نفكر بهدوء و تجرد بأنه ما من إنسان يرتكب جريمة من فراغ ، و لا بدّ من

وجود مرض أو حالة مغيبة للعقل أو ظرف طارئ سبب قيامه بذلك .. و علينا تحديد هذا السبب بدقة ثم علاجه ، فالقصاص من المجرم لا يكون بإنهاء حياته كلها ، بل بإنهاء حياته السوداء السابقة كي تشرق حياة بيضاء على سنواته اللاحقة ..

يشيع في العائلات حول العالم مطالبة الأهل لأبنائهم بالدراسة و التفوق .. لكن بنفس الوقت نجد العائلة لا تشجع أبناءها على ذلك ، و لا تؤمن لهم الظروف المناسبة لإنجاز ذلك فتسود الخلافات و المشاكل العائلية اليومية فيها و التي تجعل الطالب يعيش في جو مكهرب من القلق و الخوف ، أو ألا يساعد الآباء أبناءهم في واجباتهم أو متابعة سلوكهم في المدرسة بالتواصل مع أساتذتهم، أو تجاهل إصابة الأبناء ببعض الحالات الصحية التي تسبب عدم القدرة على التحصيل الدراسي كمتلازمة فرط النشاط و نقص الانتباه مثلاً و غيرها من الأمور ..

و بمحصلة كل هذه الظروف يفشل الطالب في دراسته أخيراً و يسقط في امتحاناته فيجن جنون الآباء عليه و يعاقبونه على فشله ..

لكن بالأخذ بعين الاعتبار للظروف السابقة ، من يستحق العقاب في القصة ؟!

من هو الجاني و من هو الضحية ؟!

و كيف ينبغي التعامل مع الطالب كي ينجح بالفعل ؟!

هذه هي باختصار قصة المجرمين في المجتمع عزيزي القارئ بين الجاني بعيون الناس و الضحية بعيون الواقع ..





(أعنة حورية)

قد يقف الإنسان الفضولي طويلًا عند تخوم السؤال، ذاك السؤال الذي لا يطرحه العقل البسيط الغارق بتفاصيل الحياة اليومية و أعبائها ، بقدر ما تطرحه النفس العطشى للغموض : أين يقلع كوننا وإلى أين يتّجه ؟ أيتوسّع إلى غير نهاية كما تتسع البحار في خيال شاعرٍ جائع للمطلق؟ أم أنه مسرح ذو جدران غير مرئية، يكبر حتى يبلغ سقفه المرسوم، ثم يتوقّف كما تتوقف الموجة عند الشاطئ، تاركة وراءها سرًّا لا يُفصح عنه ؟



إن فكرة الحدود ليست رياضية فحسب، بل هي نافذة على المصير. فالقول أن كوننا بلا حدود يعني كونًا يركض في الظلام إلى الأبد، محكومًا بقوانين باردة لا قلب لها ولا غاية، بينما الإيمان بالحدود هو إيمان بأن هناك يدًا حكيمة رتبت المشهد، وضبطت ساعة الخلق، وحدّدت اللحظة

التي عندها يغلق الستار ليُفتَح ستار آخر. هنا يصبح السؤال فلسفيًا بامتياز : هل نحن مجرّد صدًى في فراغ، أم أننا جزء من مخطوط إلهيّ تتوالى فصوله عبر أكوان متعاقبة ؟

وربما، وراء هذه التخوم التي لا تراها تلسكوباتنا، لا يقبع الفراغ العقيم، بل يقيم وعدٌ آخر، وعدٌ بحدائق غيبية صيغت من ضوءٍ ناعم وطمأنينةٍ مطلقة. هناك حيث تتهادى أجسادنا السماوية كطيور من بلور، تغفو على ضفاف النور في انتظار لحظة اليقظة الكبرى. لحظة رنين جرس كوني لا يسمعه إلا من خُلق له، فإذا دوّى، انبثقت الأرواح من سباتها كما تتفتح الأزهار فجأة مع شروق شمس أبدية، وبدأت أسطورة أخرى، أوسع و أبهى : أسطورة العودة إلى الأصل، إلى الجنان التي وعد الله بها من آمن بسفر هذا الكون.

الكون إذن ليس مجرّد معادلات جامدة ولا فوضى أزلية بلا غاية، بل قد يكون سطرًا في كتاب أكبر، يتنفّس كلما تمدّد، ويبوح كلما تلاشى، حتى إذا بلغ نهايته، قلب الخالق الصفحة وبدأ فصلًا جديدًا. وما نحن إلا مسافرين بين السطور، نحمل دهشتنا ونمضي، نبحث عن إجابة في وجه السماء، وفي صمت الليل، وفي الحنين العميق الذي يسكن صدورنا، ذلك الحنين الذي يهمس دائمًا : لا بد أن وراء هذا الكون بابًا آخر ، و حكاية أخرى ، و موعدًا لم

يحن بعد ..

تخيّل أن الإنسان، وقد أرهقته الأسئلة، يبتكر يومًا ما جهازًا مهيبًا يعمل بمبدأ الإيكو ذاته؛ كما يرتد الصدى من جدران الوادي، كذلك يرسل هذا الجهاز نداءه نحو أبعد نقطة يمكن أن يبلغها الضوء. إشارات تُقذَف في صمت الفضاء، ثم يجلس الإنسان مترقّبًا رجع الصدى من خلف حدود الكون. فإن عاد الصدى، عاد حاملًا سرًّا مهيبًا : أن وراء هذا الامتداد ما يتخطى المجرّات والقوانين. وربما يكون ذاك الصدى نفسه نداءً من العالم الآخر، يعلن أن الفراغ لم يكن فراغًا قط، بل ستارًا يخفي حقيقة أعظم. عندها سيسجد الإنسان أمام الاكتشاف، مدركًا أن الكون لم يكن نهاية السؤال، بل بدايته ..



الجهاز المتخيَّل، القائم على مبدأ الإيكو الكوني، سيكون أشبه بقلب نابض يرسل نبضاته في عروق الفراغ. ينطلق شعاع من الطاقة المركّزة، ليس كضوءٍ عادي، بل كرسالة مُشفّرة تبحث عن جدار خفي في أقصى الكون.

يسبح النبض عبر المجرّات، يعبر سُحب الغاز والظلام، ويظلّ مندفعًا كطائر يبحث عن صخرة يرتدّ منها صوته. فإذا ما لامس حدودًا — سواء كانت حقيقية أم ستارًا غير منظور — عاد رجع الصدى محمّلًا ببصمة من هناك، إشارة تؤكد أن خلف الامتداد صوتًا آخر ينتظر الإنصات. سيجلس الإنسان غداً في مستقبلٍ عظيم، أذنه على حافة الزمان، يترقّب ارتعاشة صغيرة في الموجة، فيكتشف أن سؤالنا الأول لم يكن لغزًا فارغًا، بل مفتاحًا لطريق. هكذا يصبح الجهاز جسرًا بين الفراغ وما وراءه، مرآةً تعكس المجهول، ولعلها تصافح يد الخالق عبر ومضةٍ مرتدّة من البعيد البعيد.

****

من يدق الباب يسمع الجواب ..

مثل شعبي شائع في تراثنا .. يخبرك أن لكل فعل رد فعل .. و لكل سبب نتيجة .. و .. لكل صوت صدى أو كما يسمى عالمياً (إيكو) ..

من هذه الحقيقة انبثقت فكرة الإيكو .. ليس كميثولوجيا فحسب بل كجهاز يتيح للإنسان إمكانيات جمة بدءاً من اكتشاف جسده ، مروراً باكتشاف كوكبه ثم اكتشاف الكون برمته .... انتهاءً ربما بما هو أبعد من ذلك .. ما هو قابع خلف حدود هذا الكون ، أي الكون الأكبر

المجهول بالنسبة للبشر و الذي تعرج إليه الأفكار عبر حقب التاريخ المتسلسلة ..

و رغم هذه التأثيرات الهائلة لمبدأ الإيكو و الأجهزة المعتمدة عليه ، يبقى من الأجهزة المظلومة إعلامياً ، فهو - على خلاف القنبلة الذرية مثلاً التي تحصد أرواح الملايين في غمضة عين لذا تحتل مساحة كبيرة من تفكير الإنسان عقله و حديثه – جهاز مسالم بسيط لا يضر على الإطلاق ، بل ينفع لأقصى الحدود .. لذا لا يعيره البشر أي اهتمام ، لأنه في متناول اليد و لا يمكن

أن يؤذيهم .. أو بالأحرى لا يريد أن يؤذيهم .. لذا سأجعل من هذه المغالطة الفكرية الجائرة بحق الإيكو مساحة لاستعادة حقوقه ، إظهار محاسنه و التعريف بها لمن يجهلها .. حيث سنقارب بدقة أكثر هذه الكيان الوديع بتحليله من الزوايا الأربعة التالية :

① إيكو الحورية ..

② آلية عمل الإيكو ..

③ استخدامات الإيكو ..

④ الإيكو من زوايا أخرى ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نسأل الأسئلة و ننتظر صدى الأجوبة الشافية عليها ..

أولاً ، الإيكو كأسطورة :

في البدء لم يكن سوى صوتٍ عارٍ يتردد في الفضاء، يبحث عن جدارٍ يحتضنه، عن صدرٍ يعيده من الغياب. ومن رحم الجبال ولد الإيكو (الصدى) ، روح الصوت العائد من مسافةٍ بعيدة. لم يكن انعكاسًا فحسب، بل كان حياةً ثانية للصوت الأول، كأن الزمن يخجل أن يترك الهمسة تموت، فيمنحها فرصة أخرى للبقاء.

في أساطير الإغريق، كانت "**إيكو**" حورية تتكلم كثيرًا، تغازل الكلمات حتى أغضبت الآلهة، فحكموا عليها بأن تفقد حرية لسانها و هبة كلماتها ، فلا تقول إلا ما يُقال لها و تردد كلام الآخرين مراراً و تكراراً كأنه صدى ..



لم يعد لها صوتها الخاص، بل صارت مرآة الكلام، ظلّ العبارة، العروس التي لا تُزفّ إلا إلى أصداء الآخرين. أحبّت نرسيس، فرفضها، وظلت تردد اسمه حتى ذاب جسدها، ولم يبق منها إلا الحنجرة... إلا الصدى. ومنذ ذلك اليوم، كل جرفٍ ينادي اسماً، يسمع رجعاً غامضاً هو دمعة تلك الحورية إيكو التي لم تمت تمامًا.

ثانياً ، آلية عمل الإيكو كجهاز :

كأنك تضع أذنك على قلب الكون لتسمع خفقاته، هكذا يعمل جهاز الإيكو.

هو ليس مجرد آلة، بل شاعرٌ يكتب قصيدته بموجات، يرسل ذبذباته الصوتية في عمق الجسد، لترتدّ إليه محملةً بأسرار الأنسجة والدماء.

الموجات فوق الصوتية، التي لا يسمعها الإنسان، تنطلق بخفة الطير، وتعود كأنها مرايا تلتقط صورًا غير مرئية للعين.

كل ارتدادٍ هو كلمة، كل اختلاف في الصدى جملة، والجهاز ينسج من هذا النسيج لغةً بصرية تُترجم نبض الحياة.

في غرفة صغيرة، يتجسد العلم في هيئة ضوءٍ وصوت، يربط الفيزياء بالطب، والفلسفة بالوجود، إذ يكشف المخفي دون أن يمسّه.

إنه فن الإصغاء لما وراء الصمت، حيث العروق تغني، والعضلات تهمس، والقلب يبوح بأعمق أسراره ، و الجنين يطمئننا : أنا بخير .

العقل حين يتأمل عمل الإيكو يدرك أن المعرفة ليست دائمًا بما تراه العين، بل بما يلتقطه الصدى في الأعماق.

إنه حوار بين الموجة والجسد، بين التقنية والحياة، بين العلم والخيال.

ومثل متصوفٍ يقرأ الإشارات الخفية في الكون، يقرأ الطبيب صور الإيكو ليفهم اللغة المستترة تحت الجلد.

هكذا يصبح الإيكو جسرًا بين الغموض والوضوح، بين المجهول والمعرفة، بين الصمت والكشف.

ثالثًا ، استخدامات الإيكو :

لتقنية الإيكو استخدامات في جميع مجالات الحياة لا مجال لذكرها كلها في مغالطة محكومة بعدد صفحات معين .. لكن لعل أبرز هذه الاستخدامات هو :

❁ الاستخدامات الطبية :

= تشخيص الأمراض : تصوير الأعضاء الداخلية مثل الكبد، الكلى، الطحال، الغدة الدرقية.

= طب القلب : تقييم حركة عضلة القلب، عمل الصمامات، كمية الدم المتدفق.

= متابعة الحمل : تصوير الجنين وتقييم نموه وصحته.

= الإجراءات التداخلية : توجيه الإبر أثناء أخذ الخزعات أو تصريف السوائل.



۞ الاستخدامات البيولوجية :

= دراسة نمو الأنسجة الحية والتغيرات البيولوجية في الحيوانات والنباتات.

= مراقبة عمليات فسيولوجية مثل تدفق الدم أو حركة العضلات.

۞ الاستخدامات البحرية :

= السونار (Sonar) : يعتمد على مبدأ الإيكو لتحديد مواقع الأجسام تحت الماء (غواصات، سفن غارقة).

= دراسة أعماق البحار ورسم الخرائط الطبوغرافية

لقاع المحيط.

= تتبع حركة الأسماك والكائنات البحرية.

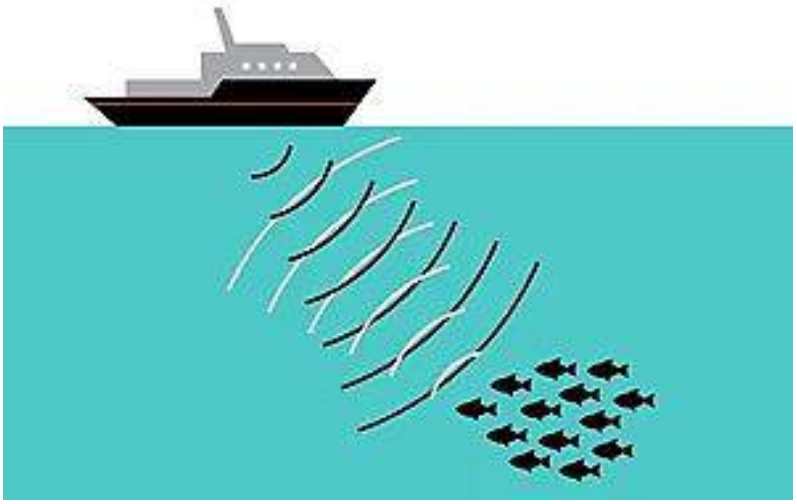

❁ الاستخدامات الصناعية :

= الفحص غير الإتلافي (NDT) : الكشف عن الشقوق أو العيوب في المعادن والخرسانة دون تدميرها.

= قياس سماكة المواد (مثل جدران الأنابيب و الخزانات).

= مراقبة جودة اللحام.

❁ الاستخدامات في الجيولوجيا والجغرافيا :

= فحص الطبقات الجوفية في الأرض.

= البحث عن النفط والغاز والمياه الجوفية.

= دراسة الزلازل والبراكين باستخدام الموجات الصوتية.

❁ الاستخدامات في علم الحيوان :

= دراسة سلوك الحيوانات التي تستخدم الصدى (مثل الخفافيش والدلافين).

= تحليل أنظمة الاتصال الصوتي عند الكائنات البحرية.

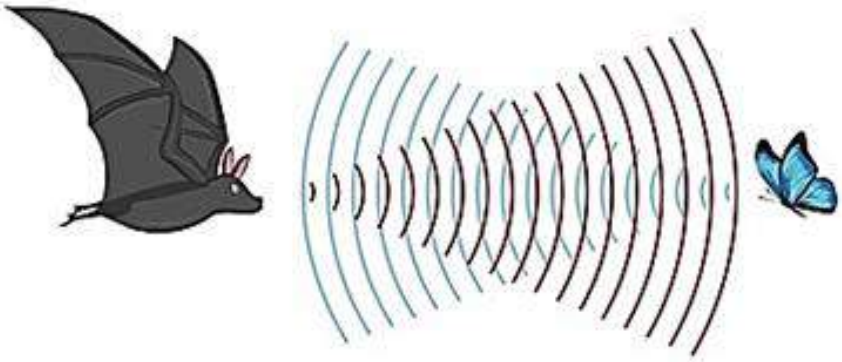

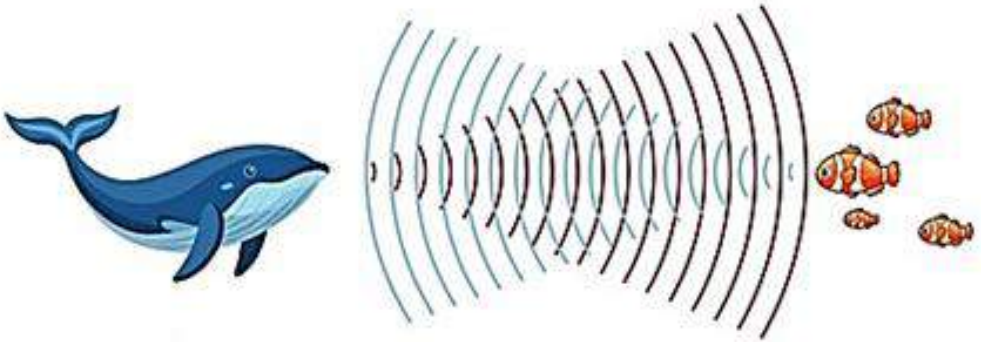

رابعاً ، الإيكو من زوايا أخرى :

للإيكو أصداء في مختلف نواحي الحياة .. الشعراء كانوا أول العشّاق للصدى. فهم يعرفون أن الكلمة حين تعود من الفراغ، تصبح أثقل، أعمق، كأنها تُجرّب أبدية صغيرة. الصدى في القصيدة ليس مجرد تكرار، بل هو حيلة الذاكرة كي تحتفظ بالمعنى، ووسيلة القلب ليقيس عمق وحدته. يقول الشاعر في سره : (أرددك لكي لا

تفلت مني، أكرر اسمك لأنني أخشى أن أنساك) ، فيجيبه الإيكو : (أنا هنا... أنا أنت) ..

أما الفلاسفة فرأوا في الإيكو استعارة للوجود نفسه. فما نحن إلا أصداء لأرواحٍ سبقتنا، وظلال لأفكارٍ تُعيد إنتاج نفسها عبر العصور. كل جيل يظن أنه يبتكر، وهو في الحقيقة يسمع رجع أصوات الماضي. حتى الحرية التي نحلم بها، ربما هي مجرد صدى قديم يتكرر في كهوف البشرية. لكن، أليس في الصدى جمالٌ آخر ؟ إنه لا يُعيد الشيء كما هو، بل يُعيده مشوّهاً قليلاً، مضطرباً قليلاً، كأن الحقيقة لا تصل إلا عبر اهتزازات الغياب.

الفن التشكيلي أحبّ هذه الأسطورة بدوره . رسم **بوسان** لوحته الشهيرة **إيكو ونرسيس** ، وجعل الحورية واقفةً في الظل، تنظر إلى الفتى الذي لا يرى إلا انعكاسه في الماء. هنا يتضاعف الإيكو: صدى صوتٍ يتحول إلى صدى صورة. وما الفن سوى هذا : تكبيرٌ خافت لرجعٍ داخلي، ترديدٌ آخر لصوتٍ مجهول يسكننا.

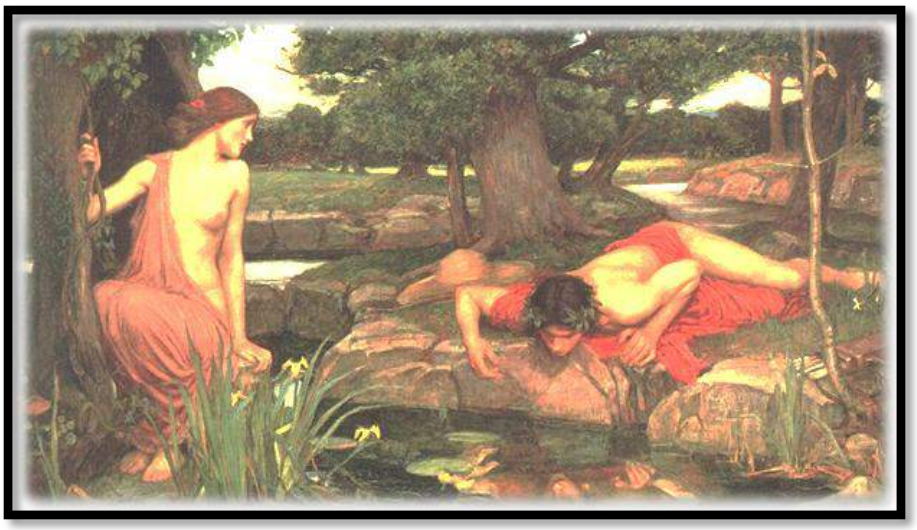

في الطبيعة ، مهد الإيكو الوثير ، يأخذ الصدى مجده و يحن لطفولته ..

أدخل كهفًا، وأصرخ : أنا !

فيردّ الجبل عليك : أنا... أنا... أنا ...

لحظة سحرية، كأن الكون يعترف بوجودك .. الطبيعة ليست صامتة؛ الجبال لها حنجرة، والبحار لها آذان. الإيكو هو حوار سرّي بين الإنسان والعالم، علامة أن الأصوات لا تضيع، بل تعود في هيئة أخرى. أحيانًا يعود الصوت أوضح، وأحيانًا يعود مكسورًا، كروحٍ لم تجد السلام.



في مختبرات العلماء، لم يعد الصدى مجرد حكاية رومانسية. صار أداة كشف. الموجات فوق الصوتية تطرق جدران الجسد، وتعود لتخبر الأطباء عن قلوبنا، عن أجنتنا، عن شراييننا الملتوية. أصبح الإيكو حارسًا

داخليًا، عينًا تستمع بدل أن ترى. وفي البحار، تحوّل إلى سونار يكشف أعماق المحيط، يبحث عن الحيتان والسفن الغارقة. الصدى صار عينًا لا تُخدع بالظلام.

و حين يخلق العازف نغمة، وتعود إليه من جدار المسرح مضاعفة، يشعر أن الزمن نفسه يغني معه. الصدى ليس تشويشًا، بل إضافة؛ إنه يوسع الأفق الصوتي، يجعل الأغنية أكبر من حنجرتها، أوسع من حدود اللحن. الموسيقى بلا صدى كهمس في فراغ، أما معه فهي حوار مع المدى.

نفسياً ، نحن نحمل أصداءنا الداخلية. كل كلمة قيلت لنا في الطفولة لا تموت، بل تعود بصوتٍ آخر حين نكبر. نسمع آباءنا وأمهاتنا يتحدثون في أعماقنا، نسمع النداءات الأولى، الانكسارات الأولى، وكأن حياتنا سلسلة من الأصداء التي لا تهدأ. كل حُبٍّ عظيم هو صدى لحبٍّ ضائع، وكل خوفٍ جديد هو صدى لجرحٍ قديم .. و في الصدى تجسيد لفكرة الكارما التي لا تموت و لأثر الفراشة و أحجار الدومينو التي تلاحق بعضها حتى تعود إلينا ..



الإيكو لا يموت. إنه طريقة العالم في أن يقول لنا : ما من شيء يضيع تمامًا. حتى الصوت العابر في الوادي يبقى، حتى الهمس الذي نظن أنه اختفى يتكرر في أماكن مجهولة. الصدى ليس فقط رجع الأصوات، بل هو وعد : أن كل ما نقوله يعود إلينا، عاجلاً أو آجلاً، في شكل آخر. وهكذا يصبح الإيكو معلمًا صامتًا ، علّمنا أن الحياة نفسها ترديد متكرر، وأن أجمل ما فيها ليس الصوت الأول، بل رجعُه... حين يعود إلينا وقد صار أغنى، أعمق، وأشدّ غموضًا.

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**إيكو**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لماذا أتحدث عن الإيكو .. إنه كيان مسالم و وديع .. الأجدر بي التحدث عن أسلحة فتاكة أو سموم خطيرة تهدد حياتي و تزلزل راحتي ، فالإيكو عبد لخدمتي و غيره عدو يجب أن أتجهز له..

بل أن نقول :

= هذا كلام جائر بحق الإيكو .. الإيكو ككيان وديع يستحق منا الثناء و المديح .. أن نتغنى بمزاياه .. نتسامر على أساطيره .. نتعقب أثره في مختلف نواحي الحياة .. أن نتعلم أن نهتم بأصدقائنا المسالمين أكثر من انشغالنا

بالتفكير بعدونا الخبيث المتربص بنا ..

و لعلنا إن منحنا الإيكو حقه الضائع يقودنا إلى الجنة المفقودة .. هناك خلف حدود الكون الأصغر ، حيث يقبع الكون الأكبر ، مستقرنا الأخير .. يهمس لنا بصدى الإيكو : **أنا حقيقة .. أنا موجود ..**



النمق الكمي

(DOCTOR STRANGE)

= لم تخبرني يا صديقي .. هل أعجبك فلم السينما الذي شاهدته بالأمس مع خطيبتك ؟

= للغاية .. فلم مثير و شيّق ..

= و ما اسمه ؟

= دكتور سترنج **DOCTOR STRANGE** ..



= و ما قصته ؟

= طبيب جراح يمكنه التنقل بين العوالم المتوازية عبر بوابات معينة ..

= لا شك أن يعجبك إذن .. إنه قريب على اختصاصك في الفيزياء .. و كيف تعمل تلك البوابات العجيبة ؟

= لم يذكر الفلم الآلية بالضبط .. لكنها ذكرتني بالأنفاق الكمية في فيزياء الكم ، التي تعبر من خلالها الجسيمات

دون الذرية من مكان إلى مكان آخر لحظياً ..

= معقول ؟!! هل هنالك في الواقع هكذا نظرية ؟ أي الانتقال الآني ؟

= بالطبع بل أكثر من ذلك .. يمكن أن يتم الانتقال بين مكانين بينهما حيز غير قابل للاختراق ..

= مدهش !! أعتقد أن تطور البحث العلمي في هذا المجال قد يأتينا مستقبلاً بحلول خلاقة للسفر اللحظي عبر الزمكان نحن كبشر أيضاً ..

= وارد جداً يا صديقي ، فالعلم لا ينفك يدهشنا بأسراره جيلاً بعد جيل .. بل عاماً بعد عام ..

****

الانتقال اللحظي ..

حلم داعب مخيلة كثيرين عبر العصور .. شيء أقرب إلى سحر الحواة أو معجزات الأنبياء .. لكنه في الحقيقة مفهوم مثبت علمياً اليوم ، و إن كان على مجال ضيق يشتمل الجسيمات دون الذرية في الفيزياء ..

فما قصة النفق الكمي بالضبط ؟ و هل يمكنه بالفعل أن يفتح أمامنا الأبواب للانتقال الآني كبشر خلال قادم السنوات كما يدعي البعض أم أنها محض مغالطة من دنيا الخيال العلمي ؟!

هذا ما سنحاول معرفته سوياً خلال الصفحات التالية ، حيث سنقارب بدقة أكثر هذا المفهوم الفيزيائي الغامض و الساحر طمعاً في إجابات مرضية ، و ذلك عبر النقاط الأربعة التالية :

① **ما هو النفق الكمي ؟**

② **مجالات استخدام النفق الكمي ..**

③ **النفق الكمي و الثقب الدودي ..**

④ **النفق الكمي فلسفياً ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نفتح سوياً البوابة و نعبر إلى الجهة الأخرى من النفق إلى عالم الكمومية الموازي الساحر ..

أولاً ، ما هو النفق الكمي ؟

في عمق العالم الذري، حيث تتراقص الإلكترونات حول النوى في مسرحٍ لا يشبه أي شيء نراه في حياتنا اليومية، يظهر النفق الكمي كظاهرة غريبة، ساحرة، تتحدى المنطق الكلاسيكي. تخيل أن جسيمًا صغيرًا دون ذريّ – قد يكون إلكترونًا أو بروتونًا – يواجه حاجزًا لا يمكن أن يتجاوزه وفق قوانين الفيزياء التقليدية، لكنه فجأة يظهر على الجانب الآخر، كما لو أنه اخترق الجدار بطريقة سحرية. هذه هي الحقيقة الغريبة للعالم الكمومي : (**الجسيمات ليست مقيدة بما نراه، بل بإمكاناتها**

الاحتمالية) ..

لكن كيف يحدث النفق الكمي ؟

النفق الكمي ينبع من طبيعة المادة نفسها على المستوى دون الذري. كل جسيم ليس مجرد نقطة ثابتة، بل موجة احتمالية، تمتد في الفضاء و لا يمكننا تحديد أين يمكن أن يوجد الجسيم ، فهو في كل مكان و ليس في أي مكان في كل لحظة كما يبوح لنا بسره مبدأ **عدم اليقين لهايزنبيرغ** .. عندما تصادف هذه الموجة حاجزًا للطاقة يفوق طاقتها الحالية، لا تتوقف عند الحاجز. بعض أجزاء الموجة تتسلل إلى الجانب الآخر، فيظهر الإلكترون مثلاً هناك وكأنه اختفى ثم عاد ليظهر في مكان جديد. القوانين لا تُنتهك، لكن الاحتمال يتحقق بطريقة تبدو مستحيلة على مستوى الواقع اليومي ، إذن فالقصة بالأساس تبدأ من فكرة ازدواجية طبيعة الجسيمات دون الذرية بين جسيم و موجة كما أثبتتها **تجربة الشق المزدوج ليونج** ..

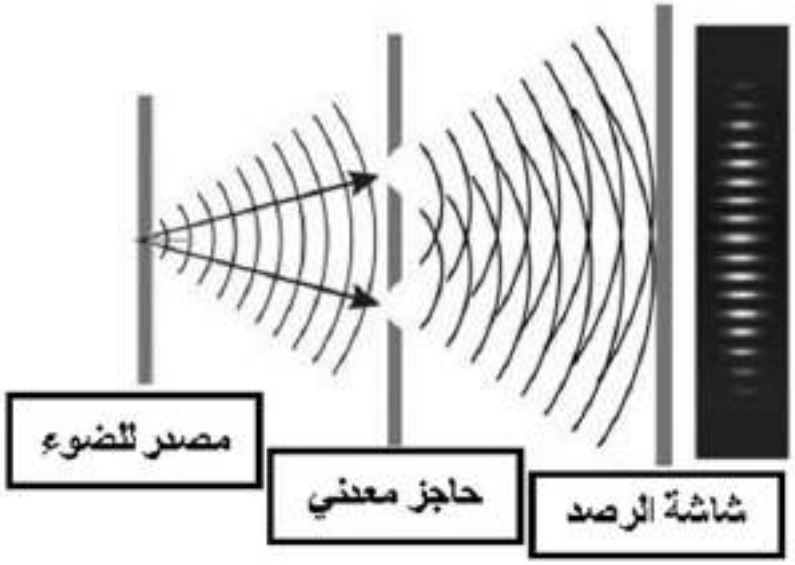

و النفق الكمي يحدث في كل مكان تقريبًا في العالم الذري، لكنه يظهر بشكل أكثر وضوحًا في البيئات التي تتطلب طاقات دقيقة للغاية : مثلاً في **النجوم** تعتمد التفاعلات النووية التي تمنح الشمس ضوءها وحرارتها على النفق الكمي للسماح للبروتونات بالاندماج رغم تنافرها الكهربائي .. و في **الإلكترونيات الحديثة** ، الترانزستورات وأشباه الموصلات تعتمد على الظاهرة نفسها في عملها، ما يجعل الأجهزة الذكية ممكنة .. و في **التجارب المخبرية الدقيقة** ، حيث يمكن للعلماء مشاهدة الجسيمات وهي تتخطى الحواجز بطريقة تبدو مستحيلة.

ثانياً ، مجالات استخدام النفق الكمي ..

النفق الكمي ليس مجرد ظاهرة طبيعية غريبة، بل أداة علمية مذهلة يمكن الاستفادة منها في مجالات شتى دون الخوض في تفاصيل علمية معقدة أكثر ، من قبيل :

- **الحوسبة الكمومية** : تعتمد على حالات الاحتمال للجسيمات لنقل ومعالجة معلومات بسرعة تفوق الخيال.
- **التصوير الطبي والمواد النانوية** : تسهيل حركة الإلكترونات في أجهزة دقيقة للغاية.
- **تطوير الطاقة والاندماج النووي** : النفق الكمي يسمح بتجاوز العقبات التقليدية للطاقة، وهو أساس للتقدم في تكنولوجيا الطاقة النظيفة.

ثالثاً ، النفق الكمي و الثقب الدودي ..

في أعماق الذرة، حيث تتراقص الإلكترونات في أرجاء لا يراها إلا المختبر، يحدث **النفق الكمي** كما قلنا ، جسيم يختفي من موقعه ليظهر فجأة على الجانب الآخر من حاجز يبدو مستحيلًا تجاوزه. لا يتحرك الجسيم كالكرة التي نتخيلها، بل يتسلل كموجة عبر عالم الاحتمالات، حيث تصبح الحدود غير ثابتة والواقع مرنًا، وكأن الكون يهمس لنا بأن كل شيء ممكن، حتى ما يبدو مستحيلًا.

على نحو مدهش، يبدو أن **الثقب الدودي** في الكون هو النسخة الماكروسكوبية لذلك الإلهام الكمومي. هو نفق في الزمكان، يربط بين نقطتين بعيدتين عبر **جسر خفي** ، يتيح – نظريًا – الانتقال اللحظي بينهما. لم يُرصد بعد ثقب دودي، لكنه يبقى فكرة مذهلة تشبه تمامًا الإلكترون الذي يتسلل عبر الجدار: حدود الواقع تتبدل، والمكان والزمان ليسا ثابتين كما اعتقدنا.

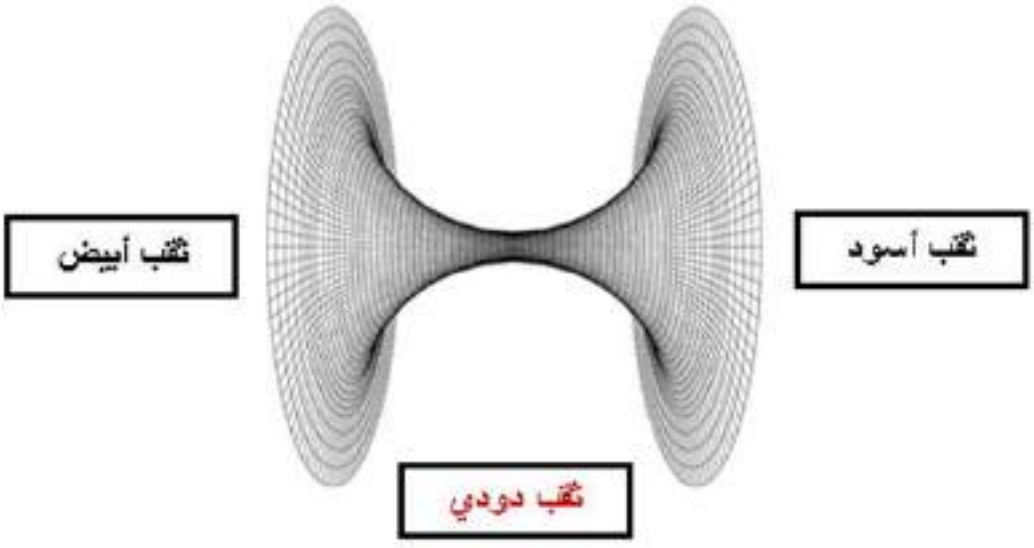

يكمن التشابه في جوهر الظاهرة : كلاهما يحقق الانتقال الفجائي عبر حواجز تبدو غير قابلة للاختراق. النفق الكمي ملموس، وقد تم قياسه في المختبر؛ الثقب الدودي نظري مثبت على الورق فقط ، لكنه يفتح أبواب الخيال العلمي والفلسفة معًا. كلاهما يدعونا للتأمل في مرونة الواقع، في الاحتمالات الخفية التي تحكم الكون، وفي حقيقة أن الحواجز ليست نهاية الطريق دائمًا، بل مجرد مرحلة في رحلة غامضة نحو الجانب الآخر.

وعلى المستوى الفلسفي، يعلّمنا هذا التشابه أن الكون لا يلتزم بالقوانين كما نراها نحن، بل يستثمر الاحتمال والمرونة والفضاء الخفي ليخلق طرقًا غير مرئية للتنقل، سواء على مستوى الجسيمات الدقيقة أو بين نجوم ومجرات بعيدة. في كلتا الحالتين، النفق الكمي والثقب الدودي يوسّعان إدراكنا للوجود، ويذكراننا بأن المعجزات ليست حكراً على الخيال، بل هي جزء من النسيج العميق للكون، تنتظر فقط من يجرؤ على فتح بوابة النفق و عبوره ..

رابعًا ، النفق الكمي فلسفياً ..

إذا عدنا من الذرات إلى الإنسان، نجد للنفق الكمي رمزية عميقة. كيف يحدث أن بعض العقبات في حياتنا تبدو مستحيلة، ثم فجأة نجد طريقة لتجاوزها؟ النفق الكمي يُذكرنا بأن الاحتمالات المفتوحة دائمًا موجودة، حتى حين

يبدوا الحاجز عظيمًا. قد يكون الحلم بعيدًا، أو القرار صعبًا، لكن الاحتمال نفسه يحملنا إلى الجانب الآخر، تمامًا كما تتسلل الموجة الكمومية ليظهر الجسيم في مكان لم نتوقعه.

كما أن النفق الكمي يعلّمنا درسًا آخر : الوجود ليس ثابتًا، والحياة ليست خطية. الجسيمات تتنقل بين الحالات، تختفي وتظهر، ونفس الأمر ينطبق على القرارات، الفرص، وحتى العلاقات الإنسانية. كل عقبة تحمل في طياتها إمكانية غير مرئية، وكل حدود يمكن تجاوزها إذا فهمنا طبيعة الاحتمال والمرونة الداخلية.



و يمكننا رؤية أصداء النفق الكمي في الحياة اليومية ، كالإلهام المفاجئ، الذي يبدو وكأنه يظهر من العدم، لكنه

كان موجودًا في العقل غير الواعي .. أو النجاح بعد سلسلة من الفشل، وكأن الطريق المستحيل أصبح ممكنًا فجأة .. أو تجاوز الخوف أو الألم، والظهور على الجانب الآخر أقوى وأكثر نضجًا.

إن النفق الكمي، بهذا المعنى، ليس مجرد ظاهرة فيزيائية، بل مرآة للوجود الإنساني. يعلمنا أن الحدود التي نراها ليست دائمًا حدودًا حقيقية، وأن الاحتمال، ولو خفيًا، يمكن أن يفتح لنا أبوابًا لم نكن نعلم بوجودها.

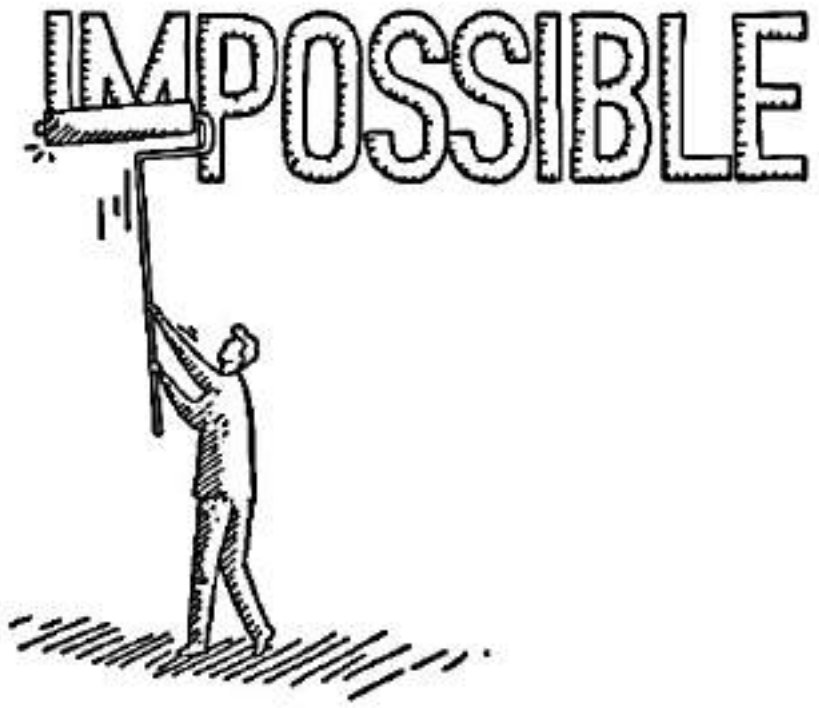

في النهاية، النفق الكمي يجمع بين العلم والأدب، بين الواقع والخيال، بين المادة والاحتمال. إنه يذكرنا بأن العالم أكبر من إدراكنا اليومي، وأن كل شيء، حتى في أصغر الجسيمات، يحمل مفاجآت تتحدى المنطق. وفي حياتنا، كما في عالم الذرات، يكمن الجمال في أن

الاحتمالات دائمًا موجودة، وأن ما يبدو مستحيلًا قد يحدث، إذا ما سمحنا لأنفسنا أن نؤمن بمرونة الكون و بالاحتمال الذي يتسلل، كالإلكترون، ليغير مسارنا إلى الأفضل.

****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة المقتضبة تجنباً للتعقيد في التفاصيل العلمية (**النفق الكمي**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الانتقال اللحظي من مكان لآخر خرافة من عالم الخيال العلمي و لا يمكن أبداً أن تتحقق ..

بل أن نقول :

= الانتقال اللحظي مثبت نظرياً و علمياً على مستوى الجسيمات دون الذرية و نظرياً حتى الآن على مستوى الأجرام السماوية ، و ما أدرانا لعل العلم مع تطوره يمكننا من الانتقال اللحظي على المستوى البشري .. لا نؤكد .. و لا ننفي أيضاً .. بل نترك باب النفق الكمي مفتوحاً على جميع الاحتمالات .. و العلم رهان لا يخسر أبداً كما عوّدنا ..

يذكر في أرشيف التاريخ قصة رجل مؤمن عنده علمٌ من الكتاب (يقصد بذلك علم الكتاب السماوي الأشمل الذي اطلع على جزء يسير منه بهبة ربانية) ، قال للنبي

سليمان : (**أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن يرتد اليك طرفك**) .. وكان أفضل من الجني الذي قال له : (**أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك**) .. فربما تم ذلك عبر خاصية الأنفاق الكمية .. و لعلّ هذا أول ذكر لميكانيكا الكم والتشابك الكمي و النفق الكمي في القرآن قبل قرون طويلة من ولادته في أوروبا .. !!



واقع افتراضي

(الأكوان الموازية)

العالم الآخر ..

المقصورة الزجاجية ..

ارتجف صوت أريان وهو يلتقط أنفاسه المضطربة، ما زال غير قادر على استيعاب المشهد الذي يحيط به. رفع بصره نحو الجهاز الكروي الذي يضيء كقمر مكتمل و قال :

= أهذا حُلم؟ موت وشيك ، أم هذيان ما بعد الحادث؟ أين أنا حقاً؟ هل أي من هذا كله حقيقي ؟



جاءه الصوت الأنثوي مجدداً، هادئا، عميقًا و مطمئنا كأنه بلسم للآذان يتسلل من مسافة لا تُقاس بالزمان ولا بالمكان :

= لا، ليس حلماً يا بني... لقد متَّ هناك، على الأرض، تحت ضوء مصابيح المشفى الذي عملت فيه طويلاً. قلبك

توقف، وجسدك الأرضي استسلم، أما الآن فأنت هنا، في العالم الآخر، حيث تبدأ الحياة من جديد.

ارتعش قلبه من وقع الكلمة : ميت ؟ كررها في داخله كما لو أنها صخرة سقطت في بئر مظلم. لكن المفارقة أن صوته هنا لم يتهدج، بل خرج صافياً، وكأن الموت محا ارتباك الجسد.

أعاد النظر إلى الزجاج المنحني أمامه، فانعكس مجددا وجه لا يعرفه. عيون أكثر اتساعاً أقرب إلى لون العسل المصفّى ، شعر محايد ليس داكناً و لا فاتحاً .. ملامح تقف على نصل بين حدين الجدية و البشاشة ، جسد لم يكن له .. ارتجف ثانية ، مصفوعاً بالمفاجأة ، ثم قال بتوتر :

= لكن هذا... هذا ليس أنا !!! لماذا تغيّرت ملامحي؟ أين وجهي؟

أين جسدي؟

ابتسم الصوت على نحو يُشعر لكنه غير منظور و قال :

= لكل إنسان جسدان يا بني؛ جسد أرضي تحيا به على كوكب الأرض ، وجسد سماوي يقترن به هنا. حين يموت الجسد الأرضي يتفتت إلى ذرات لا عودة لها، لكن عندها سيستيقظ الجسد السماوي الذي لا يفنى، ويبدأ رحلة أبدية

في هذا العالم. هذا هو جسدك الآن ، جسدك الحقيقي بعد أن تحرر من ثِقَل التراب.

جلس أريان على حافة السرير الغريب، يتلمس يديه الجديدة، جلده، وجهه، حتى صوته بدا مختلفاً. قال بصوت متهدج بالدهشة :

= و لماذا هذا الشكل دوناً عن سواه ؟

أجابه الصوت الأنثوي :

= الأجساد السماوية هنا متشابهة في هيئتها الأولى ، الهيئة التي اختارها العلم بالدراسة و التحليل ، كلنا هنا شخص واحد و أتينا من نور واحد .. هنا ليس الشكل ما يمنحك فرادتك، بل جوهرك وما تختاره أن تكون. إذ لديك فرصة أن تعيش أي تجربة تريدها، في أي جسد تختاره ، وفي أي بيئة تنتقيها و تفضلها متى شئت ، عبر **عدسات الأكوان الموازية** ... بها تستطيع أن تتقمص أي شخصية أي صورة، أن ترى نفسك كيفما تشاء، أن تعيش حيوات لا تنتهي في عوالم لا تنفد. كل ما عليك فعله أن تختار البيانات المرغوبة ، وستُخلق التجربة أمامك كما لو كانت حقيقة مطلقة.

شعر أريان وكأنه أمام سرّ أكبر من أن يحتمله. أصغى لقلبه فإذا به يخفق ليس بالخوف، بل بالترقب. و في عينيه

لمعان طفل اكتشف باباً خلفياً لحياة تحمل في طياتها كثيرا من الإثارة و المتعة. همس بشغف لم يستطع كبحه :

= أيمكنني... أن أجربها الآن؟ أيمكنني أن أرى تجسيد هذا الكلام بعيني؟

ساد الصمت لحظة، كأن المقصورة كلّها حبست أنفاسها، ثم أجاب الصوت بنغمة دافئة تشبه وعداً :

= نعم، حان الوقت أن ترى ... و هذه هبة لكل انسان تطأ قدماه العالم الاخر .. انظر فوق مجسم الكرة الزجاجية ستجد عدستي عين لاصقتين ، ارتديهما و سأخبرك بعدها ما ينبغي عليك فعله ..



في تلك اللحظة انبثق نور ناعم من قلب الجهاز الكروي، وشعر أريان أن الهواء من حوله يتكثف كستارة حريرية شفافة، يوشك أن تُفتح لتكشف له مسرحاً لا نهائياً من العوالم. ارتعش جسده السماوي، لكنه لم يتراجع؛ كانت

الحماسة أقوى من الخوف. مد يده نحو الكرة الزجاجية و التقط العدستين من عليها ثم ارتداهما بسهولة ..

جلس على حافة المقصورة، وكأن قلبه لم يعد يملك مكانًا في جسده السماوي من كثرة الترقب. أمامه، على حافة رؤيته الجديدة في العدسات ، تكدّست قائمة بيانات شفافة .. قرأ البند الأول : **اختر تجربتك** ..

لم يكن الاختيار مجرد نقرة أو لمسة ، بل أوامر شفوية تكفي

قال الصوت الأنثوي برفقٍ آسر، كأنما يحاول أن يلمس رغبة دفينة في روحه :

= هيا أريان ، اختر ما تريد أن تعيشه و تجربه ..

تردد أريان لحظة، ثم تذكّر شيئًا صغيرًا من طفولته : صورةٍ لطيور سوداء وبيضاء تمشي بوقار على جليد لا نهاية له البطاريق ، مذ رآها على شاشة التلفاز في طفولته و حلم جميل ولد في قلبه أن يراها بأم العين ذات يوم .

ابتسم ..

= أريد أن أرى البطاريق... أريد أن أعيش هذه التجربة في جسد شاب أشقر، في القطب الجنوبي لكوكب الأرض ..

ضحِكَ الصوت الأنثوي، ضحكته رقيقة محببة و مفعمة بالحنان و الأمان ، وتكشف عن معرفةٍ لا يخفى عنها شيء ..

= البطاريق... حلم الطفولة يا أريان، أليس كذلك؟!

تراكمت في صدره دهشة غريبة؛ كيف يعرف الصوت أسراره قبل أن ينطق؟ لكن الردّ لم يترك مجالًا للتعجب؛ كأنّ العالم الآخر هنا لا يكتفي بالاستجابة، بل يقرأ ما لم يُقَل. على الفور، أمر الصوت العدسات بما أراد .. و في لحظةٍ، تبدّل المحيط من حوله قبل أن يرتد إليه الطرف ، كما لو أن نفسه قد انتقلت عبر بوابات زمنية. وجد نفسه على جليدٍ شاسعٍ أبيض يتوهّج تحت ضوء شمس شاحبة، والهواء يلسع وجهه بقسوةٍ. فرو كثيف يلتف حول جسده يقيه قليلاً من البرد الذي لم يكن مفهومًا مجردًا ، بل حضور له لسان و لمسة : رقاقات هواء تخترق الأقمشة، صقيع يرسم خيوطًا على شفته، وذاكرة عظمية تصرخ بالبرودة.

أمامه، امتد موكبٌ من بطاريق الإمبراطور يمشي بوقار عتيق؛ بعضها يجلس على بيضه، رؤوس صغيرة تطل من بين ريشٍ كثيف، وبعضها يقفز برشاقة إلى الماء، سوداء وبيضاء تشرئب وتغوص وكأنها تعزف سيمفونيةً للحياة. الصوت الخفيض لأقدامها على الجليد، صفير

الريح المتقطع، ورائحة البحر البعيدة، كلها أتت في آنٍ واحد؛ كان كل ذلك حقيقيًا و لا يخضع لتفسير منطقيٍ..



ابتسم بذهول و سعادة .. فحلم الطفولة تحقق بأغرب سيناريو ممكن !!

نزع كفه و مد يده ليلمس الأرض الجليدية. البرودة اخترقت جلده، لكن اللمس كان حقيقيًا ، قساوة الجليد تحت راحة يده، لامعة ومخدرة في آن. حرّك قدميه فوجد حركاته حرة كما لم يشعر من قبل ، لم يكن الجسد الجديد عبئًا، بل أداة حية تمنحه قدرةً على أن يكون في مكانين : على الأرض وفي الفضاء اللامحدود للخيال. انه يشعر و كأنه يعيش على كوكب الارض مجدداً .. بل إن دموعاً تجمعت عند حواشي عينيه، ليست دموعاً من أثر الرياح فحسب، بل دموع عجبٍ من قدرة قلبه على البكاء في واقع افتراضي أمام منظرٍ لم يتخيله يوماً.

فجأة، وبطريقةٍ لا تسمح للعقل بترتيب اعتراض، صدمه سؤالٌ داخلي : كيف يقنع عقله بأن هذا كلّه ليس حقيقيًا؟ الريح تعوي في أذنه، منظر الماء يتلاطم أمامه، وطعم الملح يلعق شفتيه، كيف له أن يقنع ذاته أن كل هذا ليس سوى محاكاة متقنة؟ قبل أن يجد جوابًا، عاد الصوت الأنثوي يرنّ مجددًا كمن يقرأ أفكاره قبل أن تتبلور :

= لا يمكن الجزم بين الواقع والخيال هنا ، فالعلم قد بلغ أقصى درجاته، و لهذا دعي العالم الاخر جنة ، لأنه يدفعك الى الجنون من هول التطور ، السعادة و المتعة التي يمكنك ان تحظى بها ..

= محقة تماماً ، لكن كيف تقرأين أفكاري ؟

ضحكت بحنو :

= أنا أوجدتك يا أريان فكيف لا أعرف عنك كل شيء ؟!

= أوجدتني ؟!

= بالفعل .. سنتحدث عن ذلك أكثر بعد قليل .. لكن يدك التي نزعت عنها القفاز بدأت تصاب بقضمة الصقيع و ستتألم بشدة لاحقاً ، لذا علينا أن نعود الى المقصورة ، فما رأيته الآن يكفي لتفهم كيف تسير الأمور هنا في العالم الآخر .. و ما ستؤول إليه الأمور هناك على كوكب الأرض في نهاية الزمان مع تطور الذكاء الاصطناعي و الواقع الافتراضي ..

بالفعل كان البرد قد بدأ يثقل في أوردته ، و شعورٌ كطعنة خنجر يسكن عظام يده.

= حسنا فلنعد ..

و بغمضة عين أخرى تبخّر المشهد من حوله ، كأنما أحدًا يغلق كتابًا كبيرًا و شيقاً بنهاية فصلٍ أخير. عاد إلى مكانه الأصلي في المقصورة الزجاجية، لكن عودته لم تكن عودةً إلى ما كان قبلها؛ كانت محمّلةً بصدى الريح و الموج ، بلسعة الصقيع وبصوت البطاريق البعيد. نظر حوله وقد علت ملامحه دهشةٌ لا تخفى :

= هذا... هذا مذهل .. بل أكثر بكثير من الذهول ..

خرجت الكلمات منه كهمس طفل عرف باباً سرياً لمسرح متعة لا تنتهي ..

ضحكت مجدداً، ضحكةٌ فيها اعتراف بالسرّ وبقوته، وقالت بلطفٍ لا يخلو من الثقة :

= وهذا لم يكن سوى تجربة بسيطة للغاية. العدسات هنا تعمل وفق ذكاء صناعي متطور بشدة؛ قادرة على توليد قصص كاملة معقدة لتعيشها بحذافيرها : ألغاز، مغامرات ، معارك ، استكشاف، استرخاء، حل جرائم، رحلات فضائية، غوصٌ في أعماق المحيطات ... و كل ما يخطر ببالك و ما لم يخطر . ليست مجرد مشاهد، بل سردٌ حيّ

يولد تفاصيله أمامك، قابلاً للتعديل حتى أصغر ذرة كما رأيت بأم العين .. بل أكثر من ذلك .. وجود البشر أنفسهم على كوكب الأرض هو إحدى هذه التجارب .. مجرد واقع افتراضي يعيشونه بدقة لا متناهية تجعلهم يفقدون التمييز بين الواقع و الخيال ..

= نظرية أفلاطون عن الوهم !!

= أحسنت ، و أنت محظوظ أن خرجت من الغرفة المغلقة و كشف عنك الحجاب لترى الحقيقة كما هي ليزول وهم أفلاطون من عقلك ..

= و أعتقد أن أجمل ما في هذه العوالم الافتراضية أن حواسنا تعمل كلّها بكفاءة : نأكل، نشرب، نسبح، وكما جربت بنفسي نشعر بالألم و بكل شيء آخر ..

= تماما لكنه ألم وهمي و غير مؤذٍ ؛ إذ يبقى جسدك الأساسي سالماً متى غادرت التجربة. في الحقيقة يمكنك اختيار بياناتك بدقة هائلة لا حدود لها ، حتى لون زرّ قميصك تصبح خيارًا .. بل ما هو أدق من ذلك بكثير ..

ابتسم أريان، ابتسامة تختلط فيها رهبة الطفولة بنشوة الباحث عن معنى، وقال :

= إنها... إنها جنة باعثة على الجنون حرفيًا !!

= و ما خفي كان أعظم ..

ساد الصمت للحظات ثم هشمه بالسؤال المتوقع منذ

زمن :

= إننا نتحدث منذ ساعتين سيدتي ، لكنك لم تخبريني من أنتِ ؟ هل أنت الله .. هل الله أنثى كإلهة الهندوس **شاكتي** ؟

= لا لست الله .. الله ليس أنثى .. و ليس ذكر على حد سواء ، أنا شجرة السماء .. زيتونة لا شرقية و لا غربية .. مكتشف الكون الأكبر و مصمم الكون الأصغر.



على كل حال هذا السؤال لا يمكنني التصريح به الآن ، بل يبقى سراً من أسرار الحياة و الكون الأكبر لن يتجلى إلا بعد انتهاء الحياة و استيقاظ كل الأجساد السماوية .. لكن يمكنك الاستدلال على ماهيتي بالاستئناس بأسطورة **حي بن يقظان** الشهيرة على الأرض ، التي أوحيت

لمبتدعها أن يخرجها للنور و ضمنتها أسطورتي الشخصية ، أعلم أنك تجهلها ، لكن إن قدر لك أن تعود مجدداً إلى الأرض فيمكنك البحث عنها أكثر علك تصل إلى حقيقتي بنيّ ..

****

قد يعتقد أغلب من يقرأ القصة السابقة أنها ضرب من ضروب الخيال .. مبالغة علمية أو أحلام يقظة .. و لا يلام على ذلك في الحقيقة .. لكن ماذا لو أخبرتك عزيزي القارئ أن هذه القصة تمثل واقع البشرية خلال العقود القادمة .. ماذا لو أخبرتك أنك بعد زمن ليس ببعيد ستتمكن من عيش تجربة صديقنا أريان بحذافيرها لكن هنا على كوكب الأرض .. إنه الواقع الافتراضي يا صديقي .. الذي و هو ما يزال يحبو على خطى التطور يبهرنا بإمكانيات مذهلة لغاية ، و عندما سيتزاوج مستقبلاً مع ذكاء اصطناعي متطور سينجبان لنا تجربة عوالم افتراضية تذهب بالعقل من هول جمالها و دقتها.

و خلال الصفحات التالية سنعيش سوياً في دنيا الواقع الافتراضي لنتعرف عليه من الزوايا الثلاثة التالية :

① تاريخ تطور عن الواقع الافتراضي ..

② تطبيقات الواقع الافتراضي ..

③ الأكوان الموازية ..

لذا ضع نظارات الواقع الافتراضي على رأسك عزيزي القارئ و هيا بنا في مغامرة شيقة تحبس الأنفاس ..



أولاً ، تاريخ تطور الواقع الافتراضي ..

الواقع الافتراضي ليس مجرد اختراع تقني، بل هو أشبه بمحاولة الإنسان أن يمدّ بصره إلى عوالم لم تُخلق بعد، وأن يكسو الحلم لحمًا وعظمًا، فيسير داخله كما يسير داخل مدينة ملموسة. هو امتداد لذلك الحنين الأزلي نحو كسر قيود الجسد والانفلات من حدود المكان والزمان، نحو أن يعيش الإنسان أكثر من حياة، وأكثر من مصير.

لكن من أين بدأت هذه المغامرة التي تكاد اليوم تبتلع وعينا ؟

تاريخ هذا الانغماس في الواقع الافتراضي ليس جديدًا كما قد نظن. ففي عام **1935**، قدم كاتب الخيال العلمي الأمريكي **ستانلي وينباوم** نموذجًا خياليًا في قصة قصيرة بعنوان **نظارات بجماليون**. في أحداث القصة، التقت الشخصية الرئيسية بأستاذ جامعة اخترع زوجًا من النظارات يمكن من خلالها الانغماس في التجارب الخيالية باستخدام حاستي الشم واللمس، تجربة أقرب إلى السحر العلمي من مجرد خيال.



بعدها و في **خمسينيات القرن العشرين**، صنع المهندس الأمريكي **مورتون هيليغ** جهازًا سماه **سينسوراما** ، أشبه بآلة حُلمٍ ميكانيكية، يجلس بداخلها المشاهد ليحيا تجربة بصرية وسمعية وحسية تتجاوز شاشة السينما الجامدة. لقد كانت تلك المحاولة البدائية إعلانًا صريحًا أن الإنسان لم يعد يكتفي بالمشاهدة من بعيد، بل يريد أن يكون هو البطل، أن يدخل داخل الصورة ويذوب في نسيجها.

ومع **السبعينيات والثمانينيات**، بدأت الجامعات ومراكز الأبحاث تتسابق لتطوير خوذات العرض وأنظمة المحاكاة. لم يكن العالم آنذاك يملك ما يكفي من قوة

الحوسبة، لكن الرغبة كانت أشدّ من العجز، فظلت المحاولات تتكرر حتى انفتحت أبواب **الألفية السابعة**. فظهرت ثورة الإنترنت والهواتف الذكية، ومع تسارع قدرة الحواسيب على معالجة الصور، انفجر الحلم القديم في هيئة خوذات أنيقة ومحتوى غامر يأسر الحواس كلها .. ففي عام **2010**، قدمت **شركة جوجل** خدمة التجول الافتراضي ثلاثية الأبعاد، وفي نفس العام ابتكر الأمريكي الشاب **بالمر لوكي**، وهو في الثامنة عشرة من عمره فقط، أول نموذج أولي لنظارات رأس تقدم تجربة الواقع الافتراضي بشكل متكامل. كان مجال رؤيته **90** درجة، وهو إنجاز لم يسبق له مثيل، معتمدًا على قوة معالجة الكمبيوتر للصور.



اليوم، لم يعد الواقع الافتراضي حكرًا على المختبرات أو ألعاب الفيديو، بل صار فضاءً رحبًا تُعقد فيه الاجتماعات،

تُجرى فيه العمليات الجراحية التدريبية، تُدرّس فيه العلوم، وتُبنى فيه مدن من ضوء لا تقل تعقيدًا عن مدن الطوب والحجر.

وفي كل بقعة من العالم، أخذ الواقع الافتراضي يبحث عن أعظم المنصات التي تستحق أن تكون أوعية لأحلامه. وربما كان أوضح تجسيد لذلك هو **كرة عين لاس فيغاس** (Sphere)، المعلم الهندسي والفني الهائل الذي يشبه قمرًا اصطناعيًا هبط إلى الأرض ليحاصر الحواس بخطاب بصري غير مسبوق. بداخل هذه القبة العملاقة، يعيش الزائر تجارب غامرة تتداخل فيها الصورة والصوت والحركة، حتى يكاد ينسى أين تنتهي ذاته وأين يبدأ المشهد. هناك لا يشاهد الإنسان عرضًا، بل يتحوّل إلى خلية من جسد العرض نفسه.



لكن فيغاس ليست وحدها التي حملت شعلة هذا الحلم.

ففي **اليابان** مثلًا، طوّرت مدن الألعاب الرقمية فضاءات كاملة مبنية على تكنولوجيا الواقع الافتراضي، حيث يمكن للزائر أن يدخل عوالم مستوحاة من الأنيمي أو من المستقبل السيبراني، فيختلط الوهم بالحقيقة على نحو لا يمكن فصله. وفي **دبي**، تُقام معارض وتجارب تعليمية تتيح للناس أن يتنقلوا بين الكواكب أو يعبروا التاريخ كما لو كانوا يلمسونه بيدهم. أما في **أوروبا**، فقد صارت المتاحف تستعين بالواقع الافتراضي لتعيد بناء ما هدمه الزمن؛ يقف الزائر أمام أطلال قديمة، ثم يضع الخوذة فإذا به يرى القصور والأسواق والوجوه التي اختفت منذ قرون.

هكذا يقف الواقع الافتراضي اليوم، ليس كاختراع عابر، بل كبرق يلمع في الأفق، يوحي أن حدود الحقيقة نفسها قابلة لإعادة الصياغة. وما نحن إلا في بداية الرحلة.

ثانياً ، تطبيقات الواقع الافتراضي ..

الواقع الافتراضي لم يعد اليوم محض أداة تقنية، بل صار بوابةً خفية يخرج منها الإنسان إلى عوالم جديدة، كأنه يعيد خلق نفسه في كل مرة يضع فيها الخوذة ويستسلم لتيار الضوء والصوت. إنه ليس بديلاً عن الواقع فحسب، بل إعادة تفسير له، كأن الوجود نفسه لم يعد يكتفي بوجه واحد، بل يطلب مرايا لا متناهية تعكس صورًا أخرى للحياة.

في **عوالم الترفيه**، صار الواقع الافتراضي ملاذًا للإنسان الهارب من ضيق يومه. يمكنه أن يجلس في غرفة صغيرة قاتمة، لكنه بمجرد أن يرتدي الخوذة يجد نفسه على شاطئ هاواي عند غروب الشمس، أو في قاعة موسيقى حيث العازفون حوله يعزفون سمفونية حيّة. لم يعد الترفيه مجرد لعبة أو فيلم، بل تجربة غامرة تذيب الحدود بين الحلم واليقظة. سيأتي يوم قد يصبح فيه السفر ترفًا نادرًا، بينما يكتفي معظم الناس برحلات افتراضية دقيقة تجعلهم يشتمّون رائحة البحر ويسمعون ارتطام الأمواج.



كما حوّل الواقع الافتراضي مفهوم **العمل** من نشاطٍ محكوم بالجغرافيا إلى فضاء مفتوح. لم يعد المكتب يعني طاولة وكرسيًا في مبنى زجاجي، بل قد يكون صالة

افتراضية يتقابل فيها الزملاء من قارات شتى، يتبادلون المستندات كما يتبادلون النظرات، وتحيطهم جدران من بيانات حية. في المستقبل، قد تختفي الحدود بين الشركات والدول، لأن كل شيء سيُدار في مدن افتراضية لا يملكها أحد، لكنها تحتوي الجميع.

من أعظم هدايا الواقع الافتراضي أنه جعل من الممكن أن يتدرّب **الطبيب** على إجراء جراحة في قلب نابض مصنوع من الضوء، فيخطئ ويصيب دون أن يُزهق حياة.

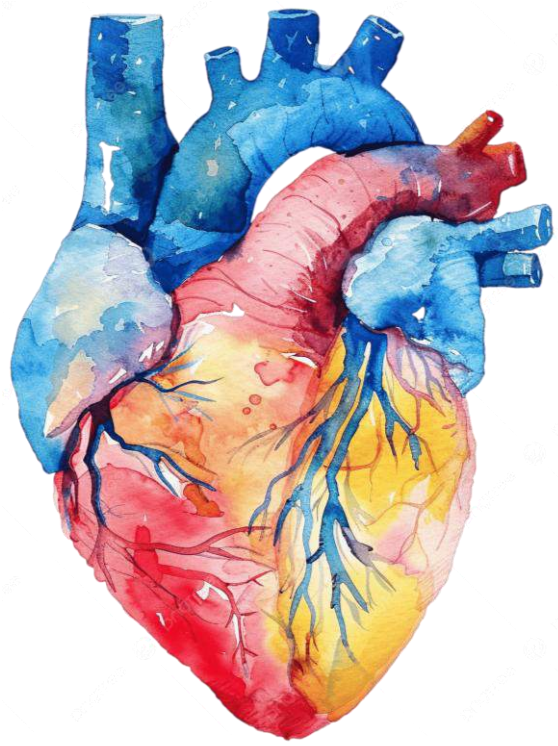

كما أصبح الباحثون قادرين على الدخول داخل جزيء أو خلية، والتجول بين البروتينات كما يتجول السائح في حديقة. إن العلم لم يعد نصًا على الورق، بل رحلة حسية كاملة تُعاش وكأنها واقع بديل. في المستقبل، قد يخضع

المريض نفسه لعلاج نفسي أو تأهيلي في فضاءات افتراضية تشفي الروح والجسد معًا.

الفضاء، الذي كان حلمًا بعيد المنال، أصبح أكثر قربًا بفضل هذه التقنية. يمكن للإنسان أن يعيش تجربة السير على سطح المريخ أو النظر إلى الأرض من المدار، دون أن يغادر كوكبه. لكن ما هو أعمق من ذلك، أن رواد الفضاء أنفسهم سيستعينون بالواقع الافتراضي للتدريب وللتأقلم مع العزلة الكونية، وكأنهم يحملون معهم نسخة ثانية من الأرض أينما ذهبوا. وربما يصبح الواقع الافتراضي هو السبيل الذي يربط المستوطنات البشرية القادمة على المريخ بذكريات الأرض ودفئها.



أما **الفن**، فقد وجد في الواقع الافتراضي جنة لم يكن يحلم بها. الرسام لم يعد يكتفي بالقماش، بل صار يرسم عوالم كاملة يمكن للزائر أن يسير بداخلها. والموسيقي لا يقدّم لحنًا مسموعًا فقط، بل فضاءً متغيرًا تتحرك فيه الألوان والأشكال وفق الإيقاع. في المستقبل قد تنشأ متاحف افتراضية أعظم من كل ما شيّد بالحجر، حيث يلتقي الفنانون والجمهور في عوالم من الضوء الخالص.



المستقبل الذي ينتظر الواقع الافتراضي ليس مجرد تطويرٍ للتقنية، بل تحوّل فلسفي في معنى "الوجود". سيأتي يوم ربما يعيش فيه الإنسان نصف حياته في واقع بديل، يتزوج فيه، يعمل فيه، يبدع فيه، ويحتفظ بالواقع المادي للضرورات البيولوجية فقط. وربما تنشأ حضارات كاملة داخل هذا الفضاء، حضارات من الضوء

والرموز، لا تقل صدقًا عن حضارتنا من اللحم والعظم.

وسيطرح هذا السؤال العميق : **أيهما أصدق ؟ العالم الذي نصنعه من الضوء ونختاره بإرادتنا، أم العالم الذي وُلدنا فيه بلا اختيار؟**

هكذا، يبدو الواقع الافتراضي ليس مجرد تقنية، بل مرآة مصقولة تكشف أعماق الإنسان نفسه، وتدعوه لأن يعيد تعريف **الحرية**، و **المعنى**، و **الوجود**.

ثالثًا ، الأكوان الموازية ..

منذ أن عرف الإنسان **الحلم**، وهو يتساءل : ما هذا العالم الذي يزورني في نومي؟ وهل هو أقل حقيقة من النهار الذي أعيشه ؟ ثم مع مرور القرون، لم يخفت هذا السؤال، بل اتخذ صورًا جديدة؛ فالفلاسفة تحدّثوا عن **عوالم ممكنة** ، والفيزيائيون عن **أكوان موازية** ، بينما مهندسو العصر الرقمي صنعوا بأيديهم **عوالم افتراضية**، كأنهم يقدّمون نسخة بشرية مصغّرة من تلك الفرضيات الكونية.

الواقع الافتراضي هو، في جوهره، دعوة إلى مغادرة حدود العالم الواحد، إلى تذوّق إمكانات لم تتحقق هنا. حين تضع الخوذة على عينيك وتدخل عالمًا مصنوعًا من الضوء، فأنت تعيش تجربة تشبه تمامًا ما تقترحه **نظرية الأكوان الموازية** : أن هناك عالمًا آخر ينتظرك، عالمًا لا يلغيك بل يضيف نسخة ثانية من وجودك. في الافتراضي، أنت تعيش في جسد ليس بجسدك و تمشي

في شوارع لم تُبنَ، وتلتقي بشخصيات لم تولد، وتعيش حياة لم تُكتب لك؛ وفي الموازيات، أنت تعيش مصائر لم تخترها هنا، لكنها تحققت هناك، في صمتٍ كوني بعيد ، فنسختك هناك قد تكون أي احتمال ممكن ..



التشابه بين الواقع الافتراضي و الأكوان الموازية ليس سطحيًا فحسب، بل بنيويًّا : كلاهما يوسّع معنى **الواقع** ، نحن نعتقد عادة أن الواقع واحد، ضيق، محدد بخط زمني واحد. لكن حين ندخل عالَمًا افتراضيًا، ندرك فجأة أن بإمكاننا أن نكون أكثر من نسخة، أكثر من مصير. وحين نتأمل فرضية الأكوان الموازية، يتسع هذا الإدراك أكثر: نحن لا نعيش احتمالًا واحدًا، بل احتمالات لانهائية ، كل منها قائم بذاته، ينتظر من يخطو داخله.

إننا أمام انعكاس متبادل : **الأكوان الموازية هي خيال الطبيعة، بينما العوالم الافتراضية هي خيال الإنسان.** هناك، الكون نفسه يجرّب جميع الاحتمالات الممكنة، وهنا، نحن نحاكي ذلك ببرمجيات وخوارزميات تمنحنا القدرة على صناعة مصائر بديلة. وما بين الاثنين، نجد أنفسنا في منطقة وسطى، حيث يغدو الوجود لعبة من المرايا في كل منها صورة مختلفة لنا و واقع لا يشبه الآخر ..



ربما لهذا يشعر الإنسان داخل الواقع الافتراضي بشيء من الرهبة الوجودية ، حين يتحرك في عالَم رقمي كأنه حقيقي، يتساءل في سرّه : (وما أدراني أن عالمي هذا،

بكل ثقله وصلابته، ليس هو الآخر عالماً افتراضيًا في عين كبرى لا أراها ؟) ..

وبينما يستمر العلماء في البحث عن بصمات الأكوان الموازية في أفق الكون، يستمر المبرمجون في تشييد عوالم افتراضية تحاكيها؛ وكأن الإنسان، في سعيه الدائم، يترجم أحلامه و خيالاته بنفسه إلى عالم آخر، ويحوّل فرضياته الكبرى إلى تجارب قابلة للعيش.

هكذا يلتقي العلم بالحلم، والتقنية بالميتافيزيقا، في معزوفة واحدة عنوانها : **لا وجود لواقع واحد.**

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**واقع افتراضي**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الواقع الافتراضي تجربة محدودة الأفق و واضحة النهايات من البداية ..

بل أن نقول :

= إن الواقع الافتراضي تجربة بلا حدود .. و مستقبلها القادم بعد عقود لن يقل عن إمكانية عيش أي تجربة يريدها الإنسان ، بأي جسد ، و في أي بيئة .. فقط عليه أن يختار شفهياً البيانات المطلوبة .. و عندها سينقله الواقع الافتراضي إلى دنيا مذهلة فيها من روائح الجنة

الشيء الكثير ..

قبل الانتهاء اسمح لي عزيزي القارئ أن أقدم لك نصيحة صغيرة من القلب :

(احتفظ بصور و فيديوهات و أصوات لك و لكل من تحب ليس فقط في قلبك ، بل على أجهزتك الرقمية .. لأنه سيأتي يوم قريب و يسمح لك الواقع الافتراضي من لقائهم جميعا في حال كان الموت قد غيبهم .. كما ستسمح لأبنائك و أحفادك أن يلتقوك شخصياً حتى بعد عقود من وفاتك ..)



الغمرة الإلهية

(جرح النور)

ما أجمل **الراقصين المولويين**... أولئك الذين يدورون في صمتٍ عميق ككواكبٍ حول شمسٍ الإله ، لا يرقصون كما يرقص الجسد، بل كما تصلي الروح. إن حركتهم ليست لهواً ولا استعراضاً، بل هي طقس من طقوس العروج، رحلة تبدأ من الأرض لكنها لا تقف عندها، إذ ما إن يشرع الراقص بالدوران حتى يغدو كأنه خرج من حدود الزمان والمكان، مستسلماً لنداء خفيّ يتجاوز اللغة ويعبر إلى ما وراءها.



في المولوية، لا يكون الجسد إلا أداةً لتجسيد الفناء، والفناء هنا ليس موتاً بل ولادة ثانية : تبدد الأنا الضيقة و توسع الروح المتصلة بالكل. حين يمد الراقص ذراعه اليمنى إلى السماء ويخفض اليسرى نحو الأرض، كأنه يقول للعالم : أنا جسر بين العلو و السفل، بين النور الذي يسكب من الأعلى والطين الذي يستقبله في الأسفل. وفي تلك الحركة المكررة، يصبح الراقص وسيلةً للفيض الإلهي على الحياة ..

الدوار الذي يراه المتفرج مجرد دوران، هو في الحقيقة انمحاء تدريجي للذات، كما يذوب الملح في الماء. فكل التفافة هي تجريد آخر من ثقل الجسد، وكل دورة هي انسلاخ من وهمٍ بشري نحو يقينٍ سماوي. حتى تتلاشى الحدود بين الداخل والخارج، بين الدائر والدائرة، فيصبح الراقص هو الرقصة، وتصبح الرقصة هي الصلاة، وتصبح الصلاة هي العبور إلى حضرةٍ لا تُرى.

ومن يتأمل وجوه المولويين أثناء دورانهم، يلمح تلك السكينة الغامرة التي تُناقض عنف الحركة. عيون نصف مغمضة، كأنها تطل إلى داخل لا إلى خارج، وابتسامة باهتة كأنها انعكاس سرّ لا يُقال. هم في الظاهر يدورون على مسرح، لكنهم في الباطن يدورون في فلك لا نهاية له، حول شمسٍ من محبة الله التي لا تُدرك بالعقل بل تُعاش بالذوق.

إنها حالة صوفية تتجاوز الفهم العادي : الجسد يتحرك، لكن الروح هي التي ترقص. الأصوات الموسيقية والأنغام لا تُسمع بالأذن وحدها، بل بالكيان كله. حتى الصمت الذي يسبق الطقس أو يعقبه ليس فراغاً، بل امتلاء من نوع آخر، امتلاء بنشوة خفية لا يعرفها إلا من ذاقها.

وهكذا، يصبح رقص المولوية درساً رمزياً للبشر أجمع: أن الحياة، مهما بدت معقدة ومليئة بالصراع، إنما هي دوران دائم حول مركز لا يتغير. وأن التلاشي في الحب

الإلهي ليس خسارة بل خلاص، وأن أجمل الحركات ليست تلك التي تسعى إلى إظهار الذات، بل تلك التي تنمحي فيها الذات كي تفسح المجال للنور.

فالمولوية ليست فناً جمالياً فحسب، بل هي فلسفة عميقة تختزل سرّ الإنسان بين الأرض والسماء، بين الجسد الذي يخطو على التراب والروح التي تحوم في عوالم الغيب. هي تذكير لنا أن الرقص الحقيقي ليس ما تفعله الأقدام، بل ما يفعله القلب حين يستسلم لنداء الأعلى.

****

الصوفية ..

ذروة العبادة و منتهى الإيمان .. عندما يذوب الأرضي في السماوي و يتماهيان في كيان واحد أحد .. توجه ديني مفعم بالتأمل و ملهم للبشرية بمئات الأقوال الذهبية ، تبلسم الجراح و تداوي الأرواح بالعسل المصفّى .. و إن كنا قد قاربنا في مغالطات دينية من قبل الأديان السماوية و الأرضية و الحديثة العجيبة و الميثولوجيات الشهيرة ، فالصوفية هي قمة الهرم ، القطعة الأخيرة من الأحجية التي يتكامل معها كل شيء ..

لذا هيا بنا عزيزي القارئ نحتسي الخمرة الإلهية معاً و نسكر بها من قبل أن يخلق الكرم بتدوير ثلاثة كؤوس بيننا :

① تاريخ الصوفية ..

② الصوفية فلسفياً ..

③ أشهر أقوال المتصوفين ..

لذا ارفع النخب و هيا بنا نمنح الصوفية جزءاً يسيراً من حقها الضائع ..

أولاً ، تاريخ الصوفية :

الصوفية ... ذلك النهر الخفي الذي شق طريقه في أرواح البشر كما تشق الجداول مجراها في الصخور، بصبرٍ هادئ وعمقٍ لا ينضب. ليست الصوفية مذهبا سياسيا ولا تيارا عابرا، بل هي حنين قديم للإنسان نحو المطلق، توق دفين في قلب كل كائن أن يخرج من حدود التراب ويستظل بأفق النور. وحين نتتبع تاريخها في العالم، لا نجدها وليدة زمن أو مكان بعينه، بل نلمح جذورها في كل حضارة وديانة، إذ ما من إنسان رفع بصره إلى السماء بحثاً عن معنى إلا وكان فيه مسّ من الصوفية ..

في العالم الإسلامي، ظهرت الصوفية أول الأمر كبذرةٍ من خشية الله وزهدٍ في الدنيا. كان الصحابة الأوائل يسلكون طريق الصفاء الداخلي، ثم جاء التابعون والزهاد الذين فرّوا من زخرف الحياة، ليقيموا في الصحراء أو في الزوايا، مكتفين باليسير، حاملين قلوبهم كأواني نقية

لا تطيق امتلاءً بغير الله. ومع مرور القرون، تشكّلت الطرق، وتبلورت التعاليم، فبرزت أسماء عظيمة أضاءت سماء الروح : **الجنيد، الحلاج، السهروردي، جلال الدين الرومي، ابن عربي**... كانوا شعراء ومفكرين ومجذوبين في آن واحد، حملوا سرّ الله في كلماتهم، وجعلوا من تجربتهم الروحية جسراً بين الأرض والسماء.

لكن الصوفية لم تبقَ حكراً على المسلمين، بل وجدت لها أشباهاً في ديانات وثقافات أخرى. في المسيحية، كان الرهبان والمتصوفة الكبار – من **يوحنا الصليب** إلى **تيريزا الأفيلية** – يعيشون تجارب شبيهة، يغرقون في صلوات طويلة حتى تغدو قلوبهم معراجاً للرحمة. في الهند، أزهرت **مدارس اليوغا والبهكتي**، حيث الانصهار في المحبوب الإلهي يشبه الفناء الصوفي في حضرة الله. حتى في الشرق الأقصى، في **الزن البوذي والطاوية الصينية**، نجد ذات البحث عن الصمت العميق الذي يتجاوز الكلمات، عن فراغٍ يكتنز بالامتلاء. وكأن الصوفية خيط ذهبي ممتد عبر الأديان كلها، يوحّد الإنسان في عطشه للمعنى.

أما جوهر الصوفية السامي، فلا يُختصر في طقوس ولا أزياء، بل في سعيها إلى تحرير الإنسان من أوهام الأنا. الصوفي يعلم أن النفس أخطر أعداء الإنسان، فهي التي تشتهي وتخدع وتنتفخ بالغرور. لذلك جعلوا شعارهم : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) .. فالطريق الصوفي

يبدأ بالزهد والتقشف، ثم بالذكر الدائم حتى تنطفئ ظلمات الغفلة، ثم بالمحبة التي تتسع لتشمل كل الوجود. عندها يتحقق (الفناء في الله) ، لا فناء الجسد، بل فناء الكبرياء والأنانية، ليفيض الإنسان بنورٍ لا يخصه وحده بل يغمر العالم من حوله.



الصوفي لا يرى اختلافاً بين الناس في ألوانهم ومذاهبهم، لأنه غاص أعمق من السطحيات حتى بلغ النبع الواحد الذي يشرب منه الجميع. **لذلك كان الصوفيون في التاريخ دعاة سلام وتسامح**، يميلون إلى العفو لا الانتقام، إلى الإصلاح لا الصراع. لم يكن هدفهم السلطة ولا الجاه، بل كانوا يهربون منها كما يهرب العطشان من السراب. كانوا يرون أن قيمة الإنسان لا تُقاس بما يملك، بل بما ينفق من محبة، وبما يضيء من قلوب الآخرين.

ومن أسرار السمو الصوفي، أنه يجمع بين الفلسفة والشعر، بين العبادة والفن. فقصائد الرومي وابن الفارض، وأشعار الحلاج، لم تكن مجرد كلمات، بل أنغاماً من نارٍ وندى، تعبر القرون لتوقظ فينا ذات الظمأ. حتى الموسيقى والرقص، كما في المولوية، لم تكن عندهم لهواً، بل وسيلة لتجسيد الانسجام الكوني، حيث تدور الأرواح كما تدور الكواكب حول مركزها الأزلي .. الشمس الإلهية التي تنير الكون ..

إن تاريخ الصوفية هو تاريخ بحث الإنسان عن الحرية الداخلية، عن النجاة من قفص الشهوة والزمان .. و جوهرها السامي هو أن يذوب الفرد في بحر المحبة حتى يغدو (**لا شيء**) ، ليكتشف أنه في اللا شيء هذا قد صار (**كل شيء**) .. ومن هنا، فهي ليست مجرد صفحة في كتاب الدين، بل صفحة في كتاب الإنسان، ستظل تقرأها الأرواح في كل عصر، لأنها تجيب عن سؤال لا يموت : **كيف نكون بشراً، ومع ذلك لا نتوقف عن العروج نحو ما يتجاوز البشر؟**

ثانياً ، الصوفية فلسفياً :

الصوفية، حين ننظر إليها من زاوية فلسفية، ليست مجرد طريق للزهد أو التعبد، بل هي محاولة جريئة لفهم الوجود من الداخل، لا من الخارج. إنها فلسفة القلب مقابل فلسفة العقل، إذ بينما ينشغل الفيلسوف العقلي بتفكيك العالم عبر

المنطق والتحليل، ينشغل الصوفي بالانغماس في جوهره عبر التجربة المباشرة، عبر الذوق والشهود. **فالفيلسوف يسأل : ما الحقيقة ؟ أما الصوفي فيغدو هو الحقيقة حين يفنى في المطلق، فيصبح السؤال والجواب شيئاً واحداً.**

الفلسفة التقليدية كثيراً ما سارت على خط العقل الجدلي، تبحث عن برهان، عن تعليل، عن بناء منطقي يربط المقدمات بالنتائج. أما الصوفية، فهي فلسفة لا تخاطب العقل وحده، بل الوجدان والكيان بأسره، لأنها ترى أن المعرفة الحقة لا تُنال بالاستدلال وحده، بل بالتذوق، بما يسمونه (**المعرفة الحضورية**) .. والمعرفة الحضورية تعني أن يدرك الإنسان الحقيقة لا كشيء خارجي عنه، بل كحضورٍ في داخله. وهذا ما يجعل الصوفي فيلسوفاً من نوع آخر : فيلسوفاً لا يكتب بالمنطق، بل يعيش بالمعاناة الروحية.

من الناحية الفلسفية، يمكن القول إن الصوفية محاولة لتجاوز الثنائية التي يعاني منها الفكر الإنساني : ثنائية العقل والجسد، الروح والمادة، الشرق و الغرب ، الإنسان والله. فبينما عجزت الفلسفات الوضعية عن حل هذه الانقسامات إلا بميلٍ نحو طرف دون الآخر، جاءت الصوفية لتقول : **لا انفصال في الحقيقة، بل وحدة في العمق**. كل كثافة في المادة ليست إلا ظلّاً للنور، وكل روح ليست إلا امتداداً للكلّ الأسمى. ومن هنا يتجلّى

مفهوم (وحدة الوجود) عند ابن عربي، أو مفهوم (الحق والحقيقة) عند الرومي، باعتبار أن كل ما في الوجود إشارات ورموز تدل على المطلق و تبصم على أن الله هو كل شيء معاً .. الليل و النهار .. المادة و الروح .. الشرق و الغرب .. الأول و الآخر .. الظاهر و الباطن و كل الثنائيات الأخرى في كيان واحد أحد ..



ومن اللافت أن الصوفية فلسفة ليست نظرية فقط، بل عملية أيضاً. فبينما قد تبقى كثير من النظريات الفلسفية في فضاء التجريد، تترجم الصوفية رؤيتها في طقوسها وممارساتها : في الذكر الذي يكرّس الحضور، في الخلوة التي تتيح مواجهة النفس، في السماع والرقص الذي يجسد الانسجام الكوني. وكأنها تقول إن الفلسفة لا تكون فلسفة حقاً ما لم تصبح أسلوب حياة.

وجوهر هذه الفلسفة أن **الحقيقة واحدة، لكن طرق الوصول إليها متعددة. لذلك انفتح الصوفي على كل**

الأديان وكل الثقافات، ورأى فيها مرايا تعكس ذات النور. في هذا المعنى، يمكن أن نعتبر الصوفية أفقاً فلسفياً كونيّاً، يتجاوز الانقسامات العقائدية الضيقة، **ليبحث عن النبع الذي يسقي الجميع.** إنها فلسفة **الكلّ في مقابل الجزء، الوحدة في مقابل التعدد، الحب في مقابل الصراع.**

وبذلك، تبدو الصوفية كأنها الوجه الآخر للفلسفة، الوجه الذي يعيد إليها بعدها الشعوري والوجودي، فلا تعود مجرد لعبة عقلية، بل بحثاً صادقاً عن معنى الإنسان في الكون. **إنها فلسفة لا تُكتَب بالحروف فقط، بل بالدموع والصلوات والرقصات،** فلسفة ترى أن المعرفة الحقيقية ليست ما نملكها في كتبنا، بل ما يسري فينا كتيار سرّي لا ينضب.

ثالثاً ، أشهر أقوال المتصوفين :

لقد ترك المتصوفون من بعدهم إرثاً حياً لا يموت ، يرسم لنا ملامح الطريق الذي قادهم إلى الله و الصورة التي رسموها له في تصوفهم ثم آلية التماهي مع هذه الصورة في حياتنا .. و في أرشيف التاريخ كنوز حقيقية من هذا النوع كأشعار و أقوال و قصائد ، فنجد شيخ المتصوفين **جلال الدين الرومي** مثلاً يقول :

(مَن عرف نفسه فقد عرف ربه.)

و أيضاً :

(المهمة ليست أن تبحث عن الحب، بل أن تزيل الحواجز التي بنَيتَها في داخلك ضده) ..

ثم انظر إلى هذه المقولة ما أروعها من فلسفة :

(جُرحك هو المكان الذي يدخل منه نور الله إليك.)

ثم تسيل جوهرة أخرى من شفتيه :

(أنت لست قطرة في المحيط. أنت المحيط كله في قطرة.)



يطل علينا من خلفه المتصوف الجميل **شمس الدين التبريزي** فيقول :

(العقل قد يوصلُكَ إلى الباب، لكنّه لا يدخلك إلى البيت.)

ثم يتابع :

(إذا حاولت أن تعرف إلى أين يقود الطريق، لا فائدة؛ فكّر فقط في خطوتك الأولى، فالبقية ستتكوّن.)

و ما أجمل مقولته الفلسفية :

(من يعيش ليُرضي الناس يعيش في دوّامة الخداع.)

و من تحفه الصوفية أيضاً :

(العالم كامل فريد؛ الجميع مُربوط بخيوط غير مرئية.)

ثم يظهر ظل **الحلاج** الغامض ليقول :

(أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا)

و يتابع العزف على نفس الوتر فيقول :

(مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال.)

ثن يتابع غموضه الشفاف فيقول :

(عجبت لك يا سرّي كيف ظهرت، وعجبت لك يا علني كيف استترت.)

و نجد إلى جانبه رفيق درب الصوفية **ابن الفارض** يتمتم :

(قلبي يحدثني بأنك متلفي .. روحي فداك عرفتَ أم لم تعرفِ.)

و نختم بشعره الأيقوني الذي يسكر كل من يتلوه :

(شربنا على ذكر الحبيب مدامةً ... سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرمُ.)

و قائمة المتصوفين و دررهم لا تنتهي .. فالتصوف عقيدة روادها عبر صفحات التاريخ كثر ، و المتصوف متى امتلأ قلبه بالله فاض حكمةً على لسانه ، فمن يعرف الله لا يحتمل الكتمان ..

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الخمرة الإلهية**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الصوفية ليست من الدين ، إنها مجرد فلسفة لا أكثر..

بل أن نقول :

= الصوفية هي ذروة التدين و العبادة ، هي حلول السماوي في الأرضي و ذوبان الأرضي في السماوي ، عندما ترى الحياة لوهلة من الأعلى فتصغر شهواتها و متاعها في عينيك .. تترك نفسك خلفك إلى اللاشيء و تدخل بروحك ملكوت الكل شيء ..

يقول المتنسك الهندي **راما كريشنا** :

الله كالبحر و الإنسان المتنسك كالملح فيه

و هذا يختصر كل شيء بجمالية .. إن تبخر ماء البحر بقيت النفوس كملح بلا قيمة .. أما إن انتزع الملح من البحر فلا ينقصه بشيء بل إنه يزداد عذوبةً و صفاءً عندما يتنقى من آثام الخطائين فيعود الحجر المقدس أبيض نقياً ، فالناس بحاجة إلى السماء على الدوام لا العكس ..

مغالطة إلى أقاصي الأرض

(تثبت بأحلامك)

لبنان / بيروت

2067 م

كانت تقوى ابنة رجل الأعمال الكويتي عبد الله القاسمي في الصفوف الأمامية من الحفل الغنائي لمطربها المفضل الجزائري نضال قوّام في بيروت المذهلة و الفرحة تغمرها غمراً .. إنها إحدى أحلامها الكبيرة تغزو الخيال البعيد لتحتله و تحيله حقيقة أمام ناظريها..

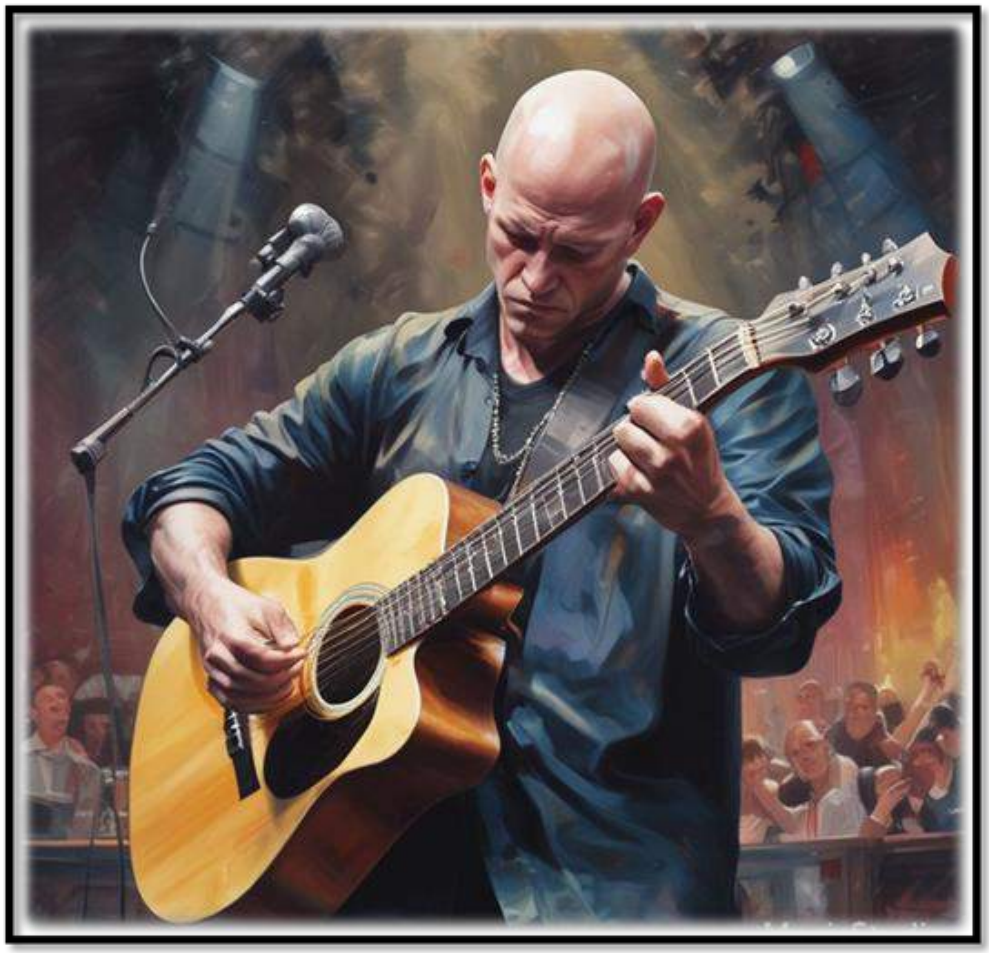

أخذ نضال قوّام **33** سنة الملقب بالساحر يتنقل على خشبة المسرح كبلبل رقيق و هو يصدح بأشهر أغانيه و

الجمهور بمن فيهم تقوى يتفاعل معه بشكل جنوني .. وقد لاحظ الجمهور أن نضال حليق الرأس بالكامل بعد أن كان طويل الشعر لكن لم يعر أي منهم الانتباه لذلك فالمطربون معروف عنهم تغيير أشكالهم من فترة لأخرى كشكل من أشكال الموضة ..

نضال أحد أنجح و أشهر و أثرى المطربين العرب حالياً رغم عمره الصغير ، فقد بدأ الغناء منذ عمر التاسعة بعد فوزه بأحد برامج المسابقات الغنائية للأطفال .. و اشتهر بعدها سريعاً .. فسيطر على قلوب الناس بأغانيه الجميلة و الهادفة بآن معاً ..

نضال الابن الوحيد لأب مسلم و أم مسيحية توفيا معاً بحادث سير منذ عشرة أعوام .. غير متزوج و ليس لديه أطفال .. و هو يملك ثروة هائلة حولها بأغلبها إلى كنز من الذهب و المجوهرات و لا أحد يعرف بالضبط مكانه..

استمر الحفل الغنائي ساعة ونصف من الهيجان و التفاعل و ختمه نضال بأغنيته الجديدة بعنوان (**من الله وإليه**) من كتابة الشاعر الشهير إحسان رحيم تقول في مطلعها :

منك أتينا يا الله ..

و إليك سنرجع يوما

النور طبيعتنا الأولى

و ليست عظماً أو لحما

ما كان عمرنا سنواتٍ

بل كان وهماً أو حلما

قد عشت حياتك في ألمٍ

و اليوم ستنسى الآلامَ

فكل ألم أو موتٍ

لابد ستتلوه قيامة

عيونٌ ترنو لسماءٍ

و كنوزٌ تحمل أقداما

القدر رهن إشارتك

قرر و ستبني الأهراما

فكر خارج صندوقٍ

لا ترهن نفسك بعمامة

كن بوذياً كن تاوياً

علماني يعشق أرقاما

كنيسة كنيسٌ أو نارُ

لا تنس قطّ الإسلاما

فالسرّ مزيجٌ من ذاك

و اللغز صيّرته وشما

لأنّ حله ليس بسهل

فسأترك للساعي علامة

آخر أغنيةٍ برفقة وشم

تروي حكاية من قاما

بالحب ستمتلك كنوزاً

لو حتى عبدت الأصنامَ

تفاعل الجمهور بشكل لا يوصف مع الأغنية الجديدة .. و في نهاية الحفل انحنى نضال أمام الجمهور و قال في الميكرفون

● نضال : أرجو أن يكون شكلي الجديد قد نال استحسانكم ، لكن في الحقيقة هنالك ما هو أكثر من ذلك .. لقد تم تشخيصي مؤخرًا بسرطان عظام يدعى ورم إيوينغ و أنا أخضع حالياً للعلاج الكيماوي و سيسقط شعري عاجلاً أم آجلاً فقلت لنفسي لأقهر المرض قبل أن يغلبني .. و حلقت شعري بنفسي راضياً بالكامل و غير مجبور .. أرجو من الجميع الدعاء لي بالشفاء .. أحبكم جميعاً ..

غادر نضال خشبة المسرح وسط ذهول المتفرجين و بكاء بعضهم خاصة تقوى التي طالما أمدها الساحر بالطاقة الإيجابية و العزيمة بأغانيه الهادفة و الملهمة في ذروة

مرضها و اكتئابها.. و ها هو اليوم بحاجة لمن يدعمه و يشد أزره ..الآن أصبحت كلمات أغنيته الجديدة مفهومة إنها تشير إلى مرضه الشديد المتقدم .. و الساحر يشعر بدنو أجله

للأسف بعد فترة من تصريحه بمرضه هزم السرطان نضال بعد حرب ضروس قاتل فيها حتى الرمق الأخير .. و استيقظت روحه كالفراشة في جسده السماوي منجذبة إلى النور الأساسي السماوي الذي تنتمي إليه .. وكانت وصيته بضعة كلمات لا أكثر :

((الوداع أحبتي .. لقد هزمني المرض للأسف .. لكنني هزمت قدري الأسود في حياتي قبله .. فعشت الحياة التي أؤمن بها و أرغبها .. ربما كانت حياةً قصيرة ، لكنني فخور بمحبتكم و بإرثي الغنائي الذي تركته خلفي ، و إلى جانب هذا الإرث تركت لكم كنزاً ضخماً .. ثروةً حقيقية ، هي ملك لمن يستطيع حل شفرة اللغز .. اللغز الذي ضمنته في قصيدتي الأخيرة و وشمته على ظهري .. لماذا أترك هذا اللغز ؟ .. لأنني أؤمن بأن علينا جميعاً أن نحلم ، و بأن نلاحق أحلامنا إلى أقاصي الأرض ، فلا أمل بلا ألم .. و كل ألم أو موت لابد ستتلوه قيامة .. كنزي دعوة للجميع لاتباع أحلامهم في الحياة و عدم الاستكانة لواقعهم السيء كما فعلت بنفسي في حياتي .. ثوروا على واقعكم .. اتبعوا أحلامكم بمحبة و إيمان .. فكنزي سيكون من نصيب الأرواح الثائرة التي لا

تستسلم ..

أحبكم جميعاً ..الوداع))

انتشرت أغاني الساحر بشكل جنوني في الوطن العربي بعد وفاته .. لأن من حقائق الحياة الغريبة و الظالمة .. أن الإنسان لا يقدر حق قدره إلا بعد موته .. لكن بالتزامن مع ذلك انتشر أيضاً خبر الكنز بين الناس كانتشار النار في الهشيم خاصة مع توعك الوضع الاقتصادي في البلاد العربية و تزايد حاجات الشعب المادية بتسارع رهيب.. فكانت هذه فرصة أمل لأي أحد من أفراد الشعب ، لكن ما من أحد استطاع أن يعرف عن أي لغز تحدث الساحر رغم التكهنات العديدة حوله

*****

مصر

بور سعيد ...

كان قتيبة عبد الواحد (**22** سنة شاب ذكي للغاية يدرس هندسة الميكاترونيك و دماغه يشبه الحاسوب فعلياً .. و هو من عائلة فقيرة جداً كحال الكثير من عوائل مصر حالياً .. تحفر في الصخر يومياً بدأب لا يمل و لا ينتهي لتحصّل قوت يومها).. جالساً مع زملائه في حديقة الجامعة و كان جل حديث الزملاء عن كنز الساحر نضال

قوام .. قتيبة من أشد المعجبين بالساحر و أغانيه المتنوعة التي تطرقت إلى مختلف نواحي الحياة : عاطفية ، عائلية ، اجتماعية ، تربوية ، وطنية ، دينية و غيرها .. كمزيج ساحر يتماهى مع طبيعة الحياة الملونة .. وقد تفاجأ قتيبة كثيراً بقصة لغز الكنز تلك.. و شعر بها كبصيص أمل في نهاية نفق مظلم فتملكه الفضول لحله و الوصول إلى الكنز بنفسه فذلك ولا شك سيغير واقع عائلته الأليم و يخرج بهم من نفق الفقر و الحاجة ...

عاد قتيبة متلهفاً من جامعته مع حلول المساء و شيطان الفكر يتقمص روحه .. و كمحقق فذ هارب من روايات أرثر كونان دويل باشر على الفور بمحاولة جمع كافة المعلومات عن الساحر عن طريق الشبكة العنكبوتية للاتصال ..

بدأ من قصّة الوشم فبحث عنه على شاشة الحاسوب و كان مؤلفاً من صورة و أرقام و عبارة غامضة .. أما الصورة فهي عبارة عن لوحة تمثل قيامة يسوع من الموت .. ما معنى ذلك ؟ و هل لذلك علاقة بكون والدة الساحر مسيحية الدين ؟!

هنالك أيضاً رقمان و هما **75** و **22** ، إلام يرمزان ؟

هل هو عنوان منزل مثلاً ؟ أم إحداثيات جغرافية ، أم أرقام خزينة ؟ أم شيء آخر ؟ لا أجوبة .. !!

أما العبارة فهي لغز بحد ذاتها و تقول :(**وقف الجيش منتصباً يحرس السر الكبير تحت أقدامه**) .. ما المقصود بالجيش ؟ و هل السر الذي يحرسه هو الكنز ؟ منطقي للغاية ... لكن أين يحرسه ؟

وصل إلى نفس الطريق المسدود الذي وصل إليه ملايين من قبله حاولوا فك شفرة الوشم لأشهر .. لم يستسلم و انتقل على الفور إلى القصيدة .. قرأها بتمعن عدة مرات ليكتشف أنها مؤلفة من قسمين .. الأول روحاني بشكل خالص ..

النور طبيعتنا الأولى

و ليست عظماً أو لحما

منك أتينا يا الله

و إليك سنرجع يوما

الملاحظ أيضاً في النصف الأول من القصيدة هو ذكر فكرة القيامة كعنوان اللوحة في الوشم بالضبط ..

فكل ألم أو موت

لابد ستتلوه قيامة

فما الذي يشير إليه الساحر بذلك ؟!

أما النصف الثاني من القصيدة فهو يتطرق بشكل واضح إلى حل شفرة الوشم لكن بكلمات مبهمة و ملغزة بحد

ذاتها ..

عيون من تلك التي ترنو إلى السماء ؟ و كيف يحمل الكنز أقداما ؟ ..

عيونٌ ترنو لسماءٍ

و كنوزٌ تحمل أقداما

إن هذه الأبيات تذكره بعبارة الوشم التي تقول بأن الجيش يحرس السر تحت أقدامه .. فهل هي إشارة إلى تمثال مثلاً .. تنظر عيناه إلى السماء في حين يختبئ الكنز تحت أقدامه ؟! ربما ! منطقي للغاية ..

هنالك ايضاً إشارة إلى مزيج من جميع المعتقدات الدينية يحل اللغز .. السماوية ، البشرية و حتى الوثنية كعبادة الأصنام أو العلمانية أو حتى الإلحادية ، فما معنى ذلك ؟ هل سيجد تفسيرات للوشم في الأديان الأخرى ، هل يلمح الساحر إلى بيئته متعددة العقائد ؟.. لقد ركز على الإسلام في ختام قصيدته و أكد على عدم نسيانه .. فما علاقة الإسلام بقيامة يسوع أو بالأرقام الموجودة في الوشم ؟ إنّ القرآن كتاب الله عند المسلمين مؤلف من مجموعة سور و كل منها عبارة عن مجموعة آيات مرقمة .. فهل الرقمان المذكوران في الوشم على علاقة بالقرآن .. ربما ! ليتأكد بنفسه ..

بحث في حاسوبه عن السورة رقم **75** في القرآن ..

فشلته المفاجأة تماماً ، الرقم يشير إلى سورة تدعى (القيامة) !!! لابدّ أنه على الطريق الصحيح .. و عقله الفيزيائي العلمي الذي يعشق المحاكمة ، يقربه خطوة أكثر من حل اللغز .. بحث على الفور عن الآية رقم **22** فيها فكانت تنص على :

((**وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة**))

يا إلهي ! هذا يتشابه حرفياً مع القصيدة .. عيونٌ ترنو لسماءٍ !! ..

اذاً فقد فسر أرقام الوشم كلياً .. بقي الشيء الأهم في الحكاية كلها .. في أي بقعة جغرافية يوجد ذلك الكنز الدفين ؟

بجمع كل ما وصل إليه مع بعضه يصل إلى نتيجة وحيدة ، بأنه مكانّ فيه تماثيل على الأرجح لوجوه تنظر نحو السماء و تخفي ذلك الكنز تحت أقدامها و ذات علاقة بطريقة ما بالقيامة .. فما هو هذا المكان العجيب ؟! إنه يتذكر أنه قرأ ذات يوم عن مثل هكذا مكان ، لكنه لا يتذكر أين بالضبط ...

ارتمى على فراشه غارقاً في التفكير لساعات ، دون أن يصل إلى أي نتيجة ، و دون أن يشعر غلبه النعاس فغفا.

استيقظ قريب بزوغ الفجر كالمحموم و فكرة طارئة تجتاح دماغه .. لقد تذكر ذلك المكان بالفعل .. إنها جزيرة

القيامة في تشيلي .. فهي تحوي تماثيل كثيرة لرؤوس تنظر إلى السماء .. و تعود لمئات السنين .. إنها مناسبة تماماً لحل شفرة الوشم .. و لكلام الأغنية .. لا بد أنها المقصودة !!

لكن بفرض أنه محق و الكنز مدفون على الجزيرة ، كيف سيصل إليه أولاً ، و كيف سيعثر عليه ثانياً ، فهي جزيرة واسعة بحسب معرفته عنها ، ففي أي مكان منها بالضبط يوجد ذلك الكنز ؟



تقول العبارة على الوشم بأن صفّ الجيش يحرس السر تحت أقدامه .. لذا علينا منطقيا البحث عن مجموعة تماثيل متجاورة في صف معاً .. أيقظ أخاه الأكبر كريم

و قصّ عليه الحكاية كلها متحمساً ، و بعد أن انتهى من كلامه قال أخوه :

● منطقي للغاية .. إذا فعلينا السفر إلى تشيلي ؟

○ و في أسرع وقت ممكن ، إننا في سباق مع الزمن ، و قد يسبقنا آخرون إلى الكنز الدفين !

● محق .. سأحجز مباشرة على حاسوبي تذاكر سفر للغد ..

○ عظيم ..

قتيبة بقلق ..

● لكن هنالك مشكلة تنتظرنا هناك..!

○ ما هي ؟

● في حال عثرنا على الكنز .. كيف سنعود به إلى هنا ؟ سيتم إيقافنا في حال تم تفتيشنا و لن نستطيع تفسيره .. و على الأرجح سنتهم بسرقة آثار الجزيرة ..

زم كريم شفتيه بانزعاج ..

○ معك حق .. معضلة حقيقية ..

فكر قتيبة للحظات ..

● هنالك حل بسيط ..

○ هات ما عندك على الفور ..؟

● يمكننا الذهاب بيخت صديقي الثري متولي ، إنه يرسو على ميناء بور سعيد .. بهذه الحالة لن يتم تفتيشنا .. الطريق أطول بالطبع و سنستغرق أياماً في مغامرتنا .. لكنها الطريقة الوحيدة المضمونة .. سأخبره بأنني أحتاج اليخت بضعة أيام و لن يمانع فعلاقتي به قوية للغاية ..



○ حلّ مثالي .. و إن يكن .. سياحة بحرية لا ضير منها ..

● اتفقنا إذاً ..

○ ليكن السفر مطلع الأسبوع المقبل كي نمنح أنفسنا الوقت الكافي لإعداد الأمتعة و الغذاء .. إنها رحلة طويلة و يجب الاستعداد لها بدون أخطاء ..

● و من حسن حظنا أن اليخت حديث للغاية و يعمل بالطاقة الشمسية أيضاً ..

المسافة بين بور سعيد و جزيرة القيامة حوالي **33** كيلومتر بحراً .. و سرعة يخت متولي الحديث حوالي **250** كم في الساعة لذا استغرقت رحلتهم البحرية إلى جزيرة القيامة (الفصح) التي تقبع جنوب شرق المحيط الهادئ بعيداً عن شواطئ تشيلي بحوال **3700** كم ، حوالي الأسبوعين، و قد ذكّر موقع الجزيرة النائي في نهاية العالم فتيبة بخطاب الوداع المؤثر للمطرب نضال الذي دعا فيه الجميع الى ملاحقة أحلامهم إلى أقاصي الأرض .. فهذا ما يحدث معهم بالضبط على أرض الواقع .. !

مع انقضاء الأسبوعين وصل الأخوان أخيراً إلى الجزيرة مع أنفاس الفجر الأولى فاختارا مكاناً معزولاً و مخفياً عن الأنظار فرسيا بيختهما فيه .. هبطا إلى أرض الجزيرة و كانت بالفعل تعج بالتماثيل ، حوالي **1000** تمثال ضخم تسمى **موا**ي، و التي أنشأها بحسب معلومات فتيبة الواسعة شعب **رابا نوي** الأوائل الذين زفوا إلى هذه

الأرض العذراء منذ مئات السنين حوالي عام **800** م ثم توسعوا فيها ليبلغ تعدادهم حالياً **7750** شخص.. أما سبب تسميتها جزيرة الفصح أو جزيرة القيامة فيعود لأول زائر أوروبي للجزيرة، وهو المستكشف الهولندي **جاكوب روجيفين** ، الذي صادف وصوله إليها يوم الأحد عيد الفصح أو القيامة عام **1722** م .. و الذي يصادف لدهشتهم الشديدة هذا اليوم بالضبط !! هل هي مجموعة صدف فحسب ؟ .. إنها ترتقي بمسافات ضوئية عن ذلك ..!

ما إن وطأ الأخوان أرض الجزيرة حتى دهشا بحجمها .. فقد كانت واسعة للغاية و مليئة بالتماثيل كيوم القيامة الذي يحشر فيه البشر مجتمعين بين يدي خالقهم .. فمن أين سيبدآن البحث ..؟

نظرا إلى بعضها بدهشة ، و خرجت الكلمات المنتظرة من فم كريم ..

● ماذا الآن ؟

○ لقد فسّرنا الصورة على الوشم (**لوحة القيامة**) مع الأرقام (**سورة القيامة**) و التي تشير إلى الموقع الجغرافي للكنز و هو (**جزيرة القيامة**) فالخطوة المنطقية التالية هي تفسير العبارة على الوشم : (وقف الجيش منتصباً يحرس السر تحت أقدامه) ..

● و ما تفسيرها برأيك ؟

تلفت قتيبة حوله يتأمل الجزيرة وتماثيلها .. كانت عشرات التماثيل لرؤوس تنتصب هنا و هناك ، لكن لاح له عن بعيد صفٌّ من التماثيل المختلفة التي تصور بشراً كاملين واقفين باستعداد كهيئة جنود في جيش بالفعل !..

○ انظر هناك .. بالإضافة إلى التماثيل المبعثرة في الجزيرة .. يوجد صف من التماثيل مختلف عنها كصف من العساكر ، إنه يذكر بعبارة الوشم تماماً لنذهب إليها كريم متحمساً ..

● ملاحظة ذكية .. يبدو ذلك منطقي جداً .. هيا بنا ..

اتجها إلى صف التماثيل ثم أخذ قتيبة يتفحص وجوهها .. فتذكر آخر بيت في آخر قصيدة للساحر..

بالحب ستمتلك كنوزاً

لو حتى عبدت الأصنامَ

ابتسم فالكنز بالفعل يقبع تحت أصنام عبدها سكان الجزيرة الأصلية لقرون .. لكن الملاحظة الذكية جاءت من كريم الذي لفت انتباهه إلى أن جميع الوجوه عابسة مكفهرة عدا تمثال وحيد بوجه مبتسم مشرق فصاح قتيبة بحماس:

○ عظيم يا كريم ، لابد أن الكنز مدفون تحت أقدام هذا

التمثال كما تقول الآية **22** من سورة القيامة .. وجوه يومئذ ناضرة .. أي مبتسمة و مشرقة ..

اخرج كريم مجرفته الخاصة من حقيبته ..

● لا شك في ذلك .. لنبدأ الحفر مباشرةً مستغلين خلو المكان من الناس في ساعات الفجر الأولى فبعد قليل سيبدأ توافد السياح إليه..

باشرا بالحفر عند أقدام التمثال و بعد ساعة كاملة من الحفر المنهك و على عمق ثلاثة أمتار وجدوا صندوقاً معدنياً كبيراً و مغلقاً بقفل ذي **4** أرقام .. فكر قتيبة قليلاً ثم ابتسم فأدخل رقم سورة القيامة **75** ثم رقم الآية **22** ففتح الصندوق .. لمع الذهب و المجوهرات مع اشعة الشمس الأولى التي تلامس وجه الجزيرة المستيقظ للتو .. ابتسم الأخوان بفرحة عارمة و بوجوه ناضرة للغاية .. لقد نجحا و ستتغير حياتهما للأبد بلا أدنى شك .. يا لعبقريتك أيها الساحر .. من جزيرة القيامة بدأت قيامة قتيبة من الفقر في اليوم الذي يصادف عيد الفصح بالضبط ، عيد قيامة السيد المسيح من الموت أيضاُ .. هذه ليست مصادفة قطعاً بل ترتيب إلهي لا يشق له غبار ..

تساعد الأخوان على نقل الصندوق بعد إعادة قفله إلى اليخت قبل توافد السياح ، ثم قفلا عائدين إلى وطنهما الأم مصر مع فجر حياة كريمة جديدة تنتظرهما هناك بدأ

يبزغ للتو.



*****

يقول الشاعر العبقري **أبو الطيب المتنبي** :

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فهل هذا الكلام صحيح بالفعل ؟ هل هنالك حدود لأحلام الإنسان يجب عليه التوقف عندها و إعلان الاستسلام بسبب صعوبة إنجازها أو كثرة العقبات و وعورة الطريق نحوها بمعنى أنه يبحر عكس اتجاه رياح الواقع ؟ أم أن أحلام الإنسان بلا حدود فيمكنه تحقيق كل ما يحلم به عند الإصرار و العزيمة على فعل ذلك !! إنّ كوكبة الأسئلة

هذه هي محور مغالطتنا الجديدة (**إلى أقاصي الأرض**) ، و الجواب الأولي الوجيز عليها يأتينا من أبيات شعر أيقونية أخرى ترد على بيت شعر المتنبي فتقول :

تجري الرياح كما تبغي سفينتنا

نحن الرياح و نحن البحر و السفن

إنّ الذي يرتجي شيئًا بهمته

يلقاه لو حاربته الإنس و الجن

فاقصد إلى قمم الأشياء تدركها

ما المحن لمن من خلفه الكون ؟



و هذا الكلام سليم تماماً ، فعندما تعقد العزم و تعد العدة المناسبة باذلاً كامل طاقتك لتحقيق أحلامك سيسخر الله لك الرياح و الإنس و الجن لتحقيقها كما سخرها لنبيه سليمان ذات يوم ..و هذا ليس نوعاً من المبالغة ، بل هو قانون إلهي سنّ منذ بدء الخليقة و تجري وفقه الأحداث من حولنا ، و لنا في عظماء التاريخ قاطبةً قدوة بكفاحهم المستمر حتى بلوغ أحلامهم و أهدافهم فعثروا على كنوزهم الخاصة في النهاية كما فعل صديقنا قتيبة في مطلع مغالطتنا ..

فلا مستحيل تحت الشمس و جلّ ما علينا فعله لتحقيق أحلامنا هو اتباع ما يطيب لي تسميته (**بروتوكول تحقيق الأحلام الخماسي الذهبي**) الكفيل بإذابة العقبات التي تعترض طريقنا و لو كانت من الإسمنت المسلح حتى بلوغ أهدافنا بالنهاية ..

ما هو هذا البروتوكول الذهبي ؟ تعال عزيزي القارئ لنتعرف عليه أكثر سوياً :

أولاً : **تجاهل أن هدفك مستحيل** ، بل تعامل معه كأمر قابل التنفيذ .. معتنقاً مقولة الأديب الكبير **مارك توين :**

(كانوا لا يعرفون أنه أمر مستحيل لذلك فعلوه)

فالمستحيل المغروس في أدمغتنا كقناعة تامة يحيط أهدافنا

بحقل ألغام يمنعنا من اقتحامها و تحقيقها فتتدمر إمكانياتنا و تشل محولاتنا كلما حاولنا الاقتراب منه .. فإن جهلنا أنه مستحيل أصبح ممكناً في لحظات و هزمناه .. و خير مثالعلى هذا البند قصة طالب الرياضيات الجامعي الأمريكي **جورج برنارد دانتزغ** في السنة الأولى من تحضير الدكتوراه و كان عمره **41** عاماً عندما تأخر عن الحصة الدراسية فوجد أن البروفيسور ترك مسألتين رياضيتين على السبورة كواجب يومي كعادته ..

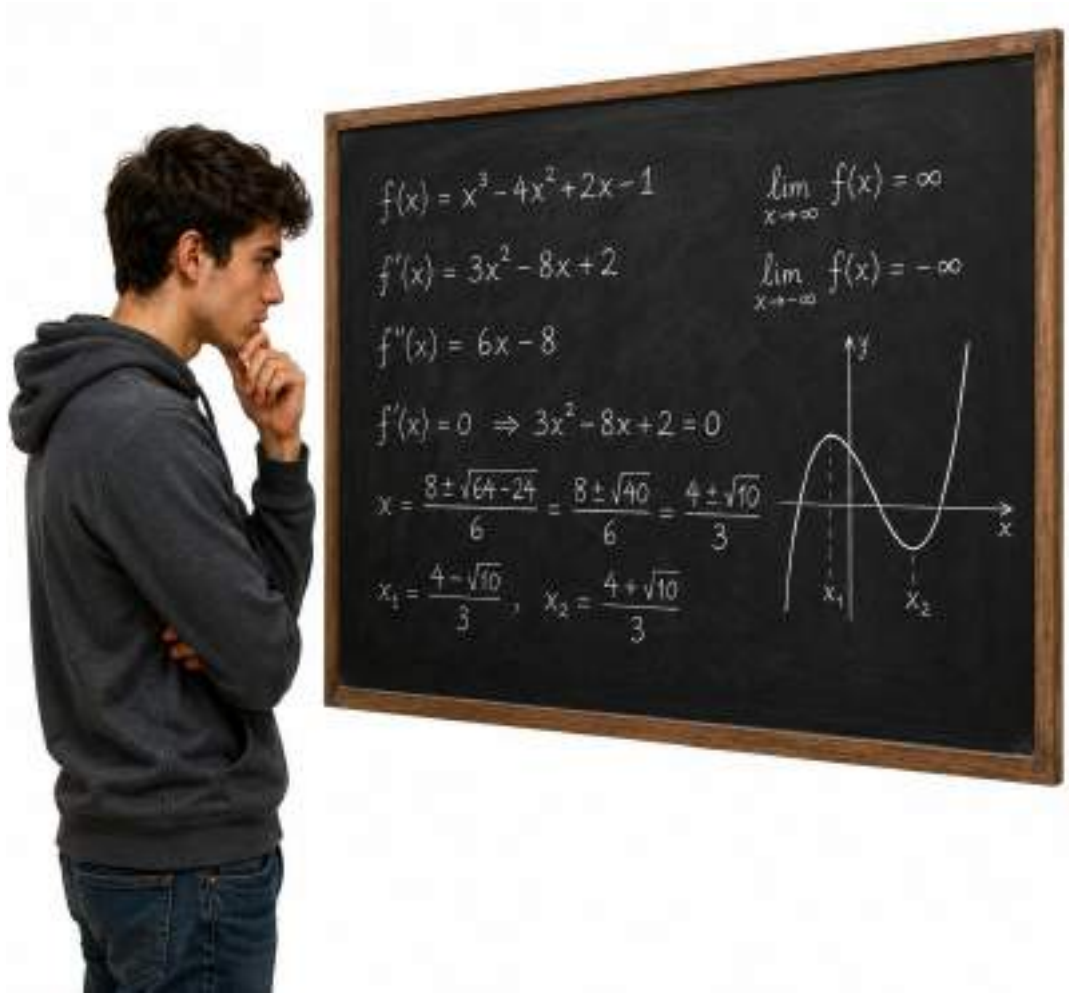

نقلهما جورج إلى كراسته و قضى أياماً طوال يحاول حلهما .. كانتا صعبتين للغاية ، فأدرك أن البروفيسور

يمتحن مهارات طالبه بمسائل أصعب من المعتاد ، تشبث بقناعته أنه قادر على حلهما و واظب أياماً طوال على التفكير بهما حتى توصل في النهاية إلى الحل و قدمه للبروفيسور الذي وقف مذهلاً أمام صحته ، ليكتشف الطالب جورج أن تلك المسألتين كانتا مثالين من البروفيسور لطالبه عن مسائل رياضية مستحيلة الحل عجز جميع العلماء عبر الزمن عن حلها .. لكن جورج الذي جهل هذه الحقيقة تعامل معها كأمر قابل للحل فحلها .. و لو شاء القدر أن يسمع جورج أنها مسائل مستحيلة الحل لما تمكن من حلها ربما ..

كما حدث بالضبط مع صديقنا فتية في مطلع مغالطتنا عندما آمن بنفسه و بقدرته على حل شفرة الوشم حتى حله بالفعل !!

إذاً لا تكترث لما يقوله الآخرون عن استحالة تحقيق أهدافك بل آمن بالله القادر على كل شيء ببساطة كما قال تعالى بنفسه :

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

ثم آمن بنفسك ففيك من روح الله نفحات ..

ثانياً : اشحن روحك بعزيمة و إرادة هائلة:

فالأحلام العظيمة لا تتحقق بسهولة ، بل تحتاج صبراً

كبيراً و إرادة متأججة تصهر الفولاذ و تتجاوز العقبات في طريقها كجوادٍ أصيل ..



ثالثاً : **لا تتوقع بلوغ الهدف مباشرةً** .. فلا شيء يحدث دفعة واحدة في الحياة .. و قد علمنا الخالق هذه الحكمة عندما خلق الكون في ستة أيام قبل أن يستوي على العرش في اليوم السابع ، و لو شاء لخلقه في غمضة عين لكنه أراد أن يوصل إلينا هذه الرسالة :

(العصفور يبني عشه قشة قشة)



كذلك الجنين الذي يصوره تعالى في الأرحام خلال تسعة أشهر و لو شاء لسرع هذه العملية و اختزلها إلى أيام أو ساعات أو أقل ، و هذا ما نجده بالفعل عند حيوانات أضخم من الإنسان بفترات حمل أقصر بكثير منه ، و الغاية واحدة أيضاً العجالة ليست خيراً ، المهم التروي و التفكير بهدوء لإتقان العمل و إنجازه ..

و القاعدة العامة في هذا البند هي المقولة الشهيرة :

(ابدأ بالضروري ثم انتقل الى الممكن تجد نفسك تفعل المستحيل)

رابعاً : قانون الله الثابت :

(الكون يتضافر لتحقيق غاياتك إن أردتها من صميم قلبك)



فالله لا يزرع رغبة في قلبك إلا وقد غرس معها القدرة على تحقيقها و هيأ لك الأسباب لتنجزها ، بحيث أنك تجد

العقبات في طريقك لبلوغ هدفك تذلل ببساطة .. فالأفكار الخلاقة ستوحى إليك كتفاحة تسقط على رأس نيوتن أو صابونة بين يدي أرخميدس و هو يستحم ... و البشر من حولك سيمدون لك يد العون ، كذلك حال الغيوم التي ستتكشف من فضاءات خيالك لتسطع شمس الإنجاز على عالمك الخاص ، .. و هذا ما يسمى في بعض الثقافات (حظ المبتدئ) لكنني أدعوه :

(عون الله للراغب بالشيء بقلبٍ صافٍ مؤمن)

خامساً : استمر و لا تستسلم مهما أخفقت في محاولاتك أي أخفض سقف توقعاتك للفترة التي ستنجز فيها أهدافك ، و قاتل بضراوة حتى تحقيق الهدف ، فربّ يائس استسلم و هو على بعد ضربة واحدة قبل تفجر الماء من البئر التي يحفرها أو الكنز الذي ينقب عنه و لعل تجربة واحدة فاشلة كانت تسبق الاكتشاف أو الاختراع ..

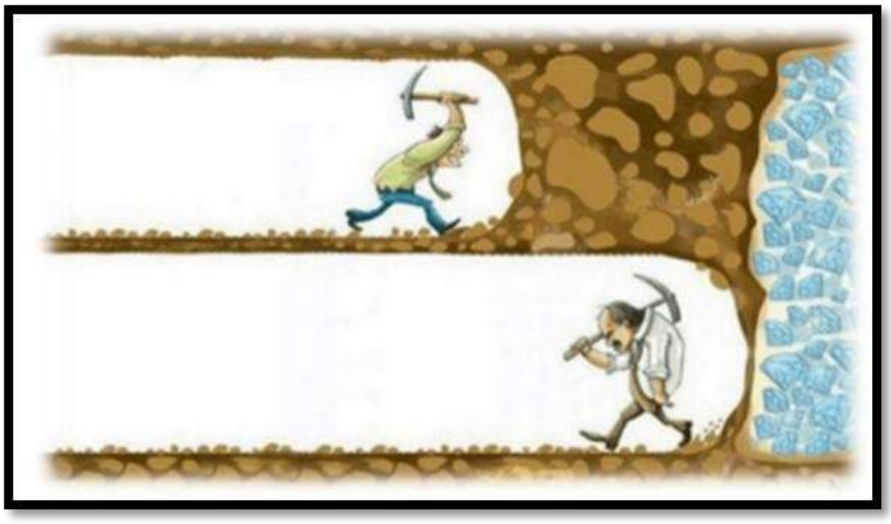

ففي معركة قطرات الماء الضعيفة مع الصخرة القاسية ستنتصر قطرات الماء و تفج الصخرة في النهاية بقوة الإصرار و المواظبة على المحاولة ..



كما قال العالم الشهير توماس أديسون الذي أضاء العالم

(لقد جربت 999 مرة قبل أن أخترع المصباح الكهربائي لكنني لا أدعوها إخفاقات بل تجارب

هامة أثبتت بطلان محاولات كثيرة)

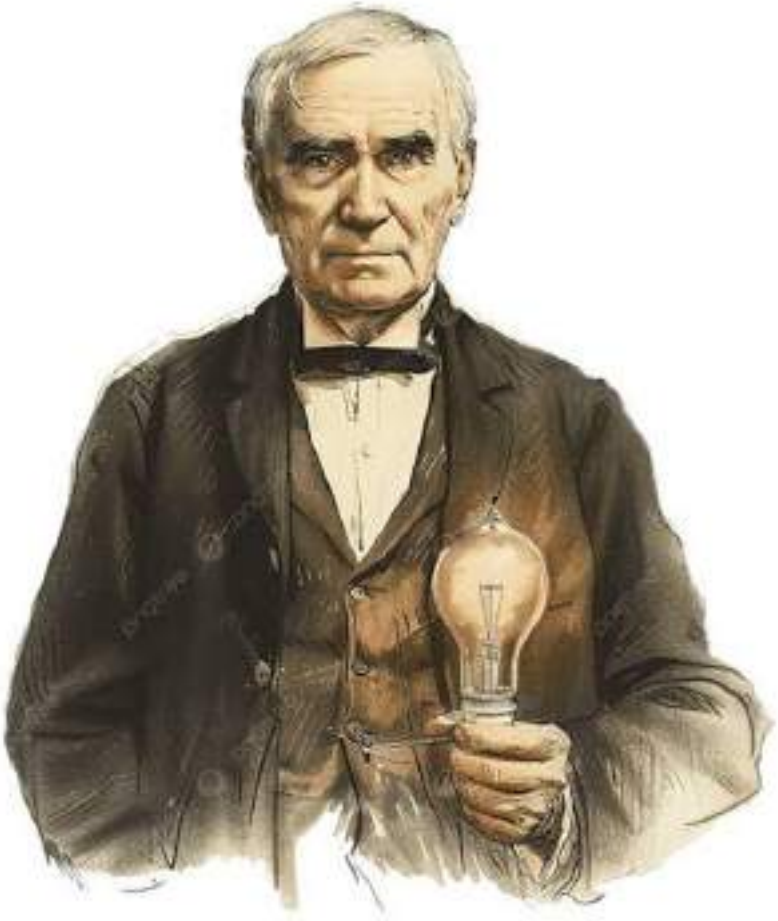

و أؤكد لك عزيزي القارئ أنك إن اتبعت خماسي النجاح هذا فستهزم المستحيل و تبلغ أهدافك أياً كانت .. لكن الشيء الأهم في الموضوع أن تكون تلك هي أهدافك الشخصية التي ترغب بها بنفسك ، لا تقليد لأهداف غيرك التي لا تعنيك ، كما أكد الشاعر **الكبير أبو القاسم الشابي** بإبداع :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلابدّ أن يســتجيب القــدر

و أعلن في الكون أنّ الطموح

لهيب الحياة و روح الظفر

و من يتهيب صعود الجبال

يعش أبد الدهر بين الحفر



و من يزرع فكرة المستحيل في ذهنه هو من يتهيب صعود قمم الحياة و سيبقى لا محالة أسير حفر العجز ..

لذا تشبث عزيزي القارئ بأحلامك و لاحقها إلى أقاصي الأرض و ستبلغ أهدافك لا محالة مهما كانت العقبات أمامك كبيرة و كثيرة ، و مهما أحبط الآخرون من عزيمتك و أكدوا لك أنك تحارب طواحين الهواء ..

فالإصرار و الثبات هما من سيطحن العقبات لتبلغ أهدافك الحقيقية في النهاية و تثبت أن كلامهم هو الكلام الفارغ في الهواء .. و بالعودة إلى مقدمة مغالطتنا فقد تمكن فتيبة الشاب الصغير من فك شفرة وشم عجز الملايين عن حله و أكدوا أنه بلا حل فكان الكنز الكبير من نصيبه ، فهو من لاحق أحلامه إلى أقاصي الأرض حرفياً حتى بلغ أهدافه في حين بقي الآخرون أسيري حفر العجز و الاستسلام و الاستكانة للضعف ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**إلى أقاصي الأرض**)، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أحلامي بعيدة المنال و ملاحقتها أشبه بمحاربة طواحين الهواء كما يخبرني من حولي ..

بل أن نقول :

= لا مستحيل تحت الشمس .. و من زرع في قلبك الحلم ، زرع في عقلك و جسدك الطاقات اللازمة لتحقيقه ، و جل ما عليك فعله هو اتباع بروتوكول تحقيق الأحلام الذهبي و ستبلغ أهدافك بلا ريب .. لذا تشبث بحلمك حتى الرمق الأخير ..

في الختام أتركك عزيزي القارئ مع هذه العبارة الرائعة

من الأغنية الأيقونية (**بطل**) للمغنية ذات الصوت الملائكي **ماريا كيري** :

(يعلم الله بأنه من الصعب اتباع الأحلام و تحقيقها ، لكن لا تدع أحداً يحطم أحلامك)

آمن بحلمك .. آمن بنفسك و انطلق نحو تحقيق أهدافك و لو في أقاصي الأرض ، عندها سيشق الله بحار الصعاب أمامك كما شق البحر لنبيه موسى ذات يوم و هو القادر على كل شيء ..

مغالطة لغة الصورة

(بألف كلمة و معنى)

قام اليوتيوبر عاطف برفع فيديو جديد على قناته الثقافية على اليوتيوب التي تحمل اسم (**لغة الصورة**) ، و كان محتواه على الشكل التالي :

((وراء كل صورة حكاية تختصر الكثير و الكثير من الأفكار و الوقائع و الذكريات ، و في حلقة اليوم سنتحدث عن صورة جديدة أعتبرها بحسب رأيي أعظم و أشهر صورة في العصر الحديث ، لأنها ببساطة تختزل واقع البشرية الراهن .. إنها صورة (**النسر و الطفلة الإفريقية**) التي التقطها المصور الفوتوغرافي الجنوب إفريقي **كيفن كارتر** عام **1993** ..



و الصورة تجسّد طفلة صغيرة من **جنوب السودان** هزيلة القوام للغاية بسبب الجوع و هي مرتمية على الأرض لا تقوى على الحركة من ضعف عضلاتها ، في حين يقف

خلفها نسر كبير الحجم منتظراً موتها بفارغ الصبر ليتغذى على جسدها الواهن ..



و تعتبر هذه من أكثر الصور الصادمة و المأساوية في العالم التي نشرتها **صحيفة نيويورك تايمز** ، و لا شكّ في ذلك ، فهذه الصورة المؤلمة تختصر واقع الحياة على كوكب الأرض الذي لا يكترث فيه البشر لأخوتهم في الإنسانية ، فنجد ميزانيات مرعبة لدول العالم قاطبةً تذهب للتسلح بغية قتال بعضها ، و لا تخصص و لو جزء بسيط منها لمساعدة البشر الأقل حظاً حول العالم كحال كثيرين في قارة أفريقيا ، علماً أن قيام كل دولة من دول العالم بمنح جزء سنوي ثابت من ميزانيتها لهم سيحدث فارقاً هائلاً في حياتهم ، فتستحيل أهداف الميزانيات من قتل البشر إلى إحيائهم و الفارق شاسع بين الحالتين ، فشتّان بين من يهب الحياة و بين من ينهيها ..

و صورة النسر و الطفلة الإفريقية غدت من أشهر صور العالم ، و ستبقى حية إلى نهاية البشرية كونها تجمّد الزمن الرديء في لحظة تشهد على جريمة إنسانية يشترك بها جميع البشر بلا مبالاة ، و بسبب المشهد الممزق للقلب فيها لم يتحمل المصور كيفن الحياة أكثر و انتحر بعدها بعام **1994** عن عمر **33** سنة في شاحنته الخاصة قرب عاصمة جنوب إفريقيا **جوهانسبورغ** بعد أن ترك رسالته الأخيرة التي تنصّ على :

((أنا آسف جداً .. لكني أدركت أنّ ألم الحياة يفوق متعتها بكثير لدرجة أن المتعة أصبحت غير موجودة... أنا مكتئب .. تطاردني ذكريات حية من عمليات القتل والجثث والغضب والألم لأطفال يتضورون جوعاً أو جرحى، من المجانين المولعين بإطلاق النار و أغلبهم من الشرطة، من الجلادين القتلة... ذهبتُ للانضمام إلى كين إن كنت محظوظاً لتلك الدرجة))

و في السطر الاخير اشارة الي صديقه القريب من قلبه كين الذي كان قد توفي مؤخراً..

فهل نتوقع صحوة إنسانية للعالم بمدّ يد المساعدة للأقل حظاً من البشر على الكوكب ، أم سيتابع العالم بإنفاق الميزانيات الضخمة على السلاح و الترفيه و غيرها من الأمور الكمالية في حين يعيش الملايين حول العالم ضمن ظروف تفتقر لأبسط مقومات الحياة البشرية و هي الحياة

نفسها !؟ كلي أمل بأن تتغير بوصلة العالم في هذا الصدد نحو الاتجاه الصحيح ..

و هكذا نكون قد وصلنا إلى ختام حلقة اليوم المختصرة كالعادة .. و إلى اللقاء في حلقات جديدة مع صور أيقونية مميزة أخرى))

*****

الصورة ..

هذا الكائن الخرافي الساحر و الهارب من الأساطير بقواه الغامضة الفريدة و المتنوعة ، من قدرته على سرقة الزمن بخفّة و تجميد الوقت في لحظة إلى الإخبار عن حقائق كثيرة و إيصال أفكار أكثر و سرد ذكريات طويلة بفصاحة و بلاغة دون أن ينطق بأي كلمة ! الشاهد على الماضي و الموثّق للحاضر و ما ستكون عليه آثارنا في المستقبل القادم التي ستروي حكايتنا للأجيال اللاحقة .. **لتكون الصورة بذلك أقوى سلاح عرفته البشرية دون أن يطلق رصاصة واحدة** ، بل لا يعدو كونه سنتميترات قليلة من الورق لا أكثر .. فهل البشر في حياتهم اليومية يمنحون الصورة مكانتها الرفيعة هذه ؟ أم أنهم اعتادوا على تجاهلها و ألفوا تعليقها على الجدران أو نسيانها على الرفوف و في ألبومات الصور ليصبح صديقها الوحيد في الحياة غبارٌ متراكم في مغالطة ظالمة تجحف بحق هذا

الكائن الأسطوري و تجعل منه يتيماً لا يسأل عنه أحد !

في الحقيقة و بكلّ أسف الخيار الثاني هو الواقع ، لذا إكراماً لهذا الكائن اليتيم الفريد و في محاولة لرفع المظلومية عنه ، سنحاول في هذه المغالطة أن ندلله أكثر فنمنحه بعض الوقت و الاهتمام بمسح الغبار عن وجهه الجميل لإبراز ميزاته المذهلة و قواه السحرية ، كما لو كنّا **نلتقط صورة تذكارية للصورة ذاتها** و ذلك عبر **4** صور رئيسية :

① **حياة الصورة في ألبوم صور ..**

② **الصورة بألف كلمة و معنى ..**

③ **العين البشرية أفضل كاميرا في التاريخ ..**

④ **صور أيقونية من متحف صور التاريخ ..**



فهيا بنا عزيزي القارئ خلال الصفحات التالية نجمّد الزمن للحظات على صورة مغالطة جديدة تنضم إلى متحف أدمغتنا ، فتبقى لزمنٍ طويل تروي حكاية الصورة في صورة ..

① حياة الصورة في ألبوم الصور :

كلمة تصوير أو فوتوغرافي ذات اصل إغريقي يتألف من شقين (**فوتو و تعني الضوء**) و (**غرافي و تعني الرسم**) أي باللغة الإغريقية كلمة تصوير تعني **الرسم بالضوء** و هو اسم شاعري حالم للغاية يليق بها !!

و في الحقيقة محاولة تجميد الزمن و الأحداث بصورة قديم قدم البشرية فنجد إنسان الكهف مثلاً يرسم المناظر الطبيعية من حوله على جدران الكهوف كنوع من التوثيق ، و خير مثال على ذلك رسوماته المكتشفة في **كهوف شوفيه** في **منطقة الأرديش** جنوب **فرنسا** و التي تعود إلى **20** ألف سنة، و تثبت أنه حمل روحاً مرهفة و ذوقاً فنياً رفيعاً ، برسومات دقيقة ملونة للطبيعة و الحيوانات و غيرها ثم تطورت تقنيات الرسم أكثر عبر آلاف السنين .. أما تاريخ التصوير الفوتوغرافي فيعود لاكتشاف مبادئ **الكاميرا المعتمة أو المظلمة** على يد العالم **ابن الهيثم** في القرن **9** للميلاد، والذي كان له تجاربٌ عديدة في مجال البصريّات، ثم بقي الأمر على حاله حتى عام

1800 ، وذلك عند قيام العالم الإنجليزي **توماس وِيدجوود** بأول محاولة موثقة للتصوير الفوتوغرافي ولكنها انتهت بالفشل ، و في منتصف العشرينيّات من القرن **19** نجح المخترع و الفيزيائي الفرنسي **نسيفور نييبس** بالتقاط أول صورة فوتوغرافية على الرغم من سوء جودتها في البداية، ثم استمر مساعده **لويس داجير** في محاولاته و نجح بأول عمليّة تصوير تمّ الإعلان عنها، وقد تطلّبت هذه العمليّة التعرّض للكاميرا لدقائق ليتمّ إنتاج صورةٍ واضحة بتفاصيلها الدقيقة، وتمّ تقديم هذه الكاميرا بشكلٍ تجاري في عام **1839**، ويُعتبر هذا التاريخ هو الميلاد العملي للتصوير .. ثم طور العالم الإنجليزي **وليم فوكس تالبوت** هذه التقنية أكثر..



و حديثاً سعى العلماء إلى تقليل الوقت اللازم لالتقاط الصورة إلى ثوانٍ معدودة، وأخيراً أصبحت تحتاج إلى بضعة أجزاء من الثانية و ظهرت أشكال أخرى من التصوير بعيداً عن الكاميرا الكلاسيكية و ذلك باستعمال الهواتف بشكل واسع ليصبح التصوير أحد أشيع الهوايات حول العالم و وسائل التواصل الاجتماعي تشهد على

ذلك !!..



② الصورة بألف كلمة و معنى :

لعلّ صورة واحدة (**لوحة أو كاريكاتير أو صورة فوتوغرافية**) بسيطة تحمل في طياتها آلاف المعاني و الأفكار العميقة ، كما تخبرك بكثيرٍ من الحقائق و المعلومات كحال صورة النسر و الطفلة الإفريقية في مقدمة مغالطتنا ، فأحياناً الصورة الواحدة تختزل عشرات الكتب بالفعل .. لتصدق العبارة الأيقونية :

(الصورة تساوي ألف كلمة)

و في الحقيقة هذه العبارة استخدمت منذ زمن بعيد و بمختلف اللغات فنجد ما يشابهها في باللغة الفرنسية عندما قال **نابليون بونابرت:**

(**الرسم الجيد أفضل من الكلام الطويل**)

و لاحقاً في عام **1862** كتب الكاتب الروسي **إيفان توركنيف** في كتابه **الآباء و الأبناء** :

(**يريني الرسم بلمحة واحدة ما قد ينشر على عشر صفحات من كتاب**)

و في اللغة الإنجليزية استخدم هذا المصطلح في مقال نشر في **جريدة فلاندرر** عام **1911** يتحدث عن الصحافة والدعاية على النحو التالي :

(**استخدم الصورة فإنها تساوي ألف كلمة**)

في إشارة إلى أنّ الفكرة المعقدة يمكن إيصالها فقط من خلال صورة واحدة و **ما أقواه من سلاحٍ أعزل !!**



③ العين البشرية أفضل كاميرا في التاريخ :

فكر قليلاً عزيزي القارئ بهذه الحقيقة الغريبة :

(إنك مع كل رمشة عين تصوّر لحظة من الحياة كمنظر أو حادثة توثّق من خلالها ما جرى ، و تخيل عدد الصور المرعب التي التقطتها عيناك خلال حياتك)



فبشكل عام يرمش الإنسان العادي من **10** إلى **12** مرة في الدقيقة، أي أكثر من **6** مليون رمشة في السنة ، فإن عاش الإنسان بالمتوسط **60** سنة فسيرمش خلالها قرابة **400** مليون رمشة !! تخيل أنك تصور هذا العدد الهائل من الصور في حياتك بتنوع مضمونها من لحظات سعيدة

إلى حوادث مؤلمة إلى أحلام يقظة انتهاءً بالصور الأخرى التي تشاهدها بنفسك على الأجهزة الالكترونية أو شاشات التلفاز و السينما و غيرها .. أي أنّ الفصّ القفوي في دماغك عبارة عن ألبوم صور يضم **400** مليون صورة مبهرة .. و هذا أنت كفرد واحد ، فتخيل المتحف الذي يضم لوحات كل البشر الذين سيعيشون على هذا الكوكب و وراء كل لوحة منها حكاية فريدة.. نظرية مذهلة بكل ما تحمله الكلمة أو بالأحرى الصورة من معنى !!



④ صور أيقونية من متحف صور التاريخ :

في صفحات التاريخ أحداث كثيرة مفصلية و هامة و البعض منها تم توثيقه بعدسات الكاميرا ليصبح صوراً أيقونية للذكرى ، لنتعرّف سوياً على أبرز هذه الصور :

❁ عندما نطقت الكاميرا بأولى كلماتها :

أول صورة التقطتها عدسة الكاميرا كانت بيد المُخترع الفرنسي **نيسفور نييبس** عام **1827**، و تحمل عنوان : (**منظر من النافذة في لو غرا**) و نرى في الصورة أدناه الصورة الأصلية إلى اليسار و النُسخة المُحسنة المُعاد تلوينُها إلى اليمين ..



❁عندما يصبح الإنسان فأر تجارب :

نقل رائد الفضاء الروسي الكبير **فلاديمير كوماروف** للعمل على **برنامج سويوز الفضائي** رفقة كل من **يوري جاجارين و ألكسي ليونوف**.. وأثناء تلك الفترة، لاحظ الجميع وجود العديد من المشاكل بتصميم المركبة الفضائية فاتجهوا إلى المسؤولين عن البرنامج الفضائي للاستفسار والتعبير عن قلقهم .. تم تجاهل كلامهم ، لذا راسل جاجارين القائد السوفيتي **ليونيد بريجنيف** شخصياً أملاً في لفت انتباهه لما يحصل دون فائدة مجدداً.. ثم

اختير كوماروف سنة **1967**، لقيادة المركبة سويوز **1** وعيّن زميله جاجارين كبديل له في حالة الطوارئ .. ومع ملاحظته للمعايير السيئة التي صممت بها هذه المركبة ، وافق كوماروف على إنجاز المهمة أملاً في إنقاذ حياة زميله جاجارين في حال قيامه برفض المهمة ، بشرط أن تجرى جنازته بتابوت مفتوح في حال وفاته كي يشاهد العالم كله فظاعة ما اقترفه رؤساؤه بتجاهل عيوب المركبة الفضائية .. و للأسف هذا ما حدث بالفعل إذ تحطمت المركبة الفضائية بسبب العيوب الكثيرة فيها ، و كانت آخر كلمات كوماروف هي شتم و لعن قادته الذين فرضوا عليه هذه العملية الانتحارية .. و في الصورة أدناه تظهر جثة كوماروف المتفحمة بعد استخراجها من أنقاض المركبة الفضائية المتحطمة ليشهد العالم قاطبة على جريمة قتله هذه إلى الأبد !! ..



❁ التوتر عالٍ ، لكن السلام الداخلي أعلى :

صورة تظهر العالم الصربي الأمريكي نيكولا تيسلا يجلس داخل معمله، وحوله موجات من الجهاز المرسل المكبر (الطاقة الكهربائية اللاسلكية) عام **1899** ..

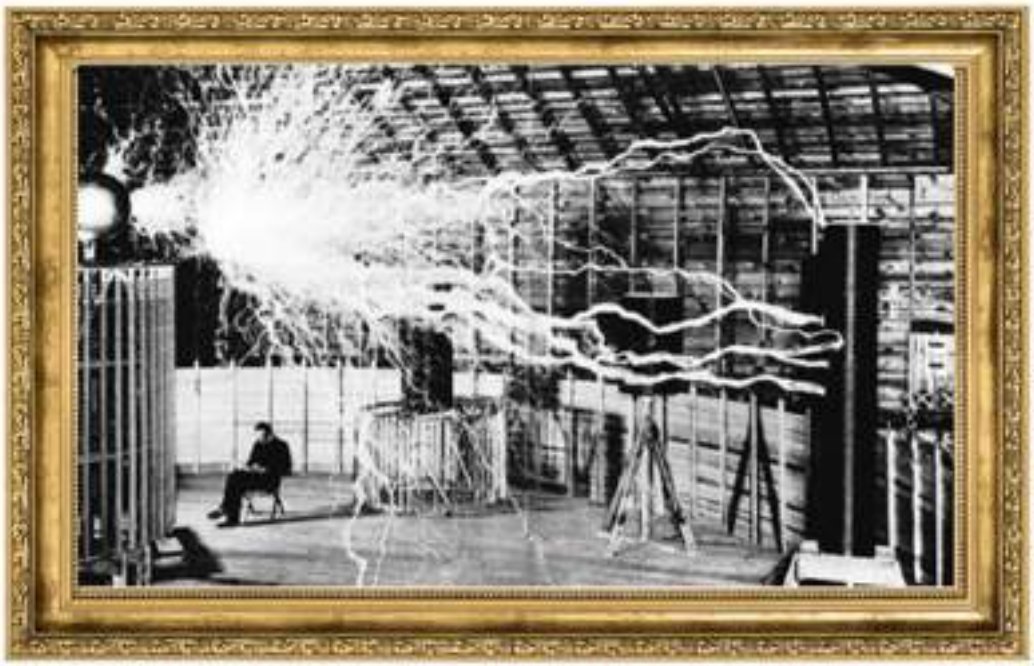

❁ رجل أعزل يوقف رتل الدبابات :

بعد **مجزرة تينانمين في الصين** عام **1989** و التي راح ضحيتها مئات آلاف الطلاب المتظاهرين، وقف متظاهر واحد أمام رتل من الدبابات العسكرية في البلاد، وقام خمسة مصورين على الأقل بتسجيل هذه اللحظة، التي أصبحت رمزاً لمجابهة القوة والسلطة والاضطهاد ، وفاز المصور **تشارلي كول** بجائزة الصحافة العالمية على نسخته من هذه الصورة ، لكن مصير الرجل الذي جابه

الدبابات لا يزال مجهولاً إلى الآن..



❁ أول صورة فوتوغرافية لإنسان :

الأمريكية **هانا ستيلى** التي ولدت عام **1746**، كانت أول إنسان حيّ يتم التقاط صورته وذلك في عام **1840**...



❁ فرقتنا الطوائف و جمعتنا القبور :

في هولندا عام **1888**، لم يسمح بدفن امرأة كاثوليكية في نفس المقبرة مع زوجها البروتستانتي لاختلاف المذاهب الدينية .. وهذا كان الحل لإبقائهما معاً !!

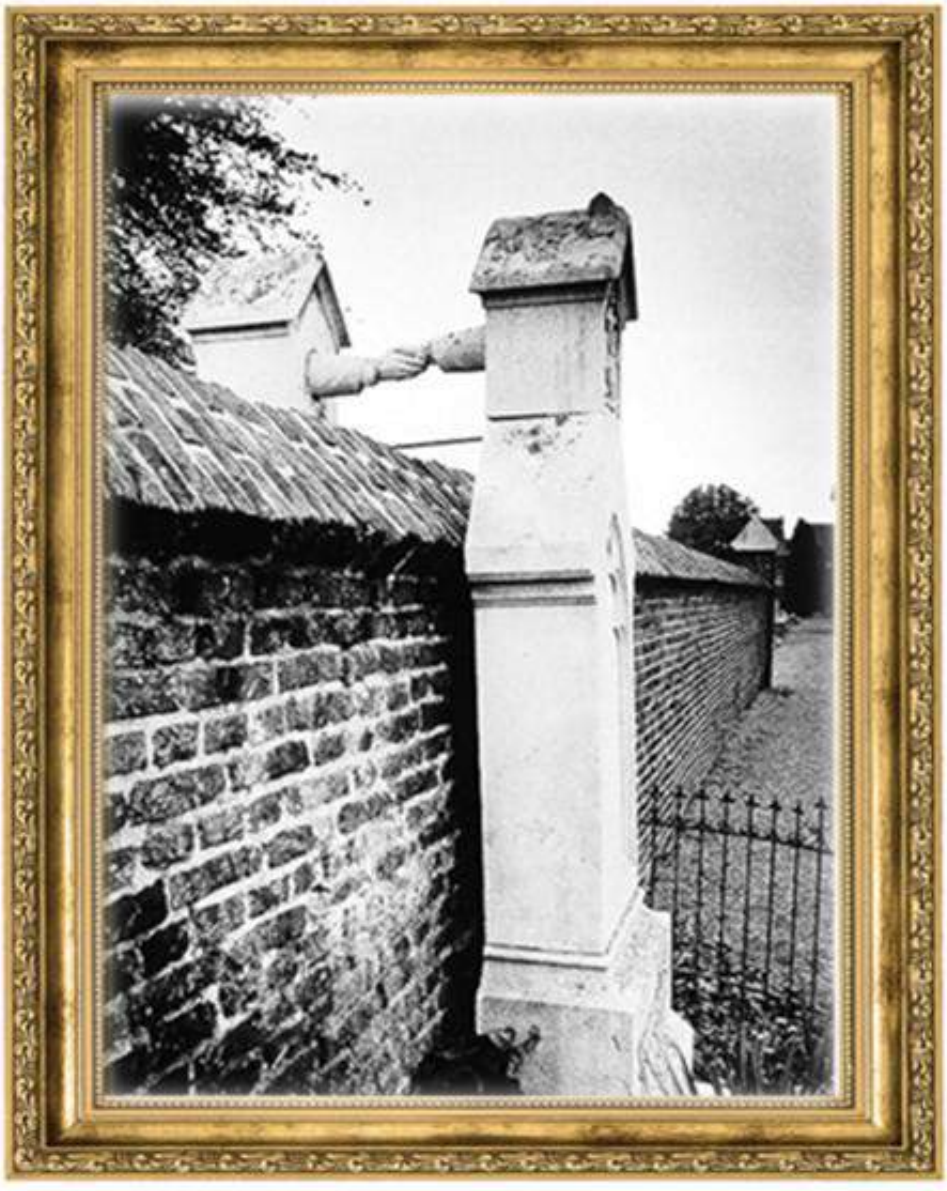

❁ لن تفنى الأرض و هنالك شجاع واحد عليها :

رجل واحد شجاع رفض أن يؤدي التحية النازية والتقطته

الكاميرا وهو يعقد يديه على حجره عام **1936**..

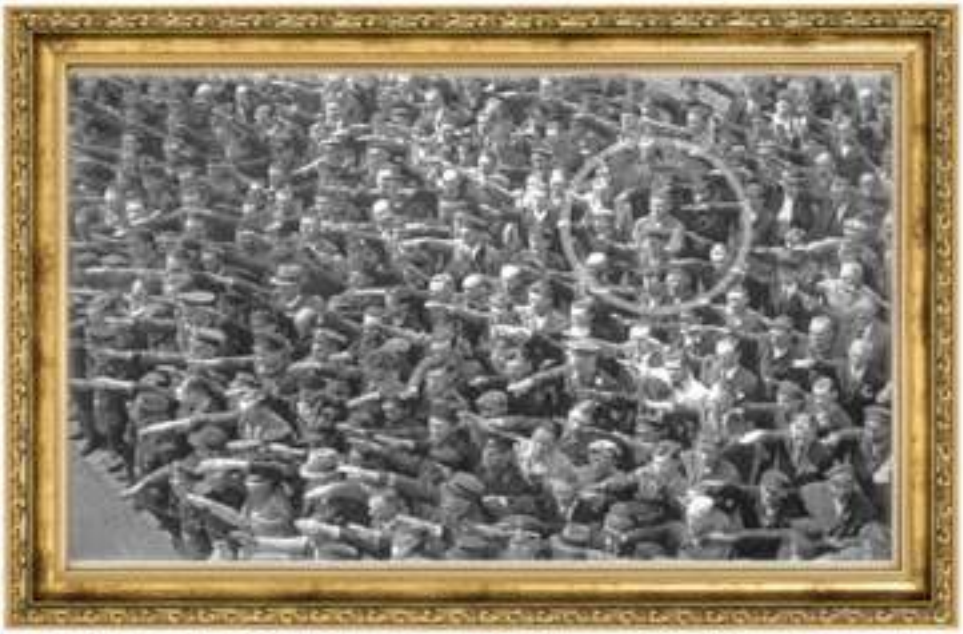

❁ لحظة سقوط جدار برلين :

وثقت هذه الصورة لحظة سقوط جدار برلين عام **1989** بعد بنائه عام **1961** ، و هي اللحظة التاريخية التي اتحدت فيها الألمانيتين الشرقية و الغربية في جمهورية واحدة ..



❁ اللحظة التي أنهت حرباً و أنجبت رعباً :

صورة تجمع **ألبرت أينشتاين و ليو زيلارد** أثناء كتابتهما للرسالة التي تم تسليمها إلى الرئيس روزفلت في عام **1939** ، والتى أدت إلى إنشاء مشروع مانهاتن السري الذي نتج عنه عام **1945** أول قنبلة ذرية في العالم ثم القاؤها على هيروشيما لتفتح أبواب العالم على مستقبل جديد مرعب للجميع ..



❁هرمجدون تصحو من رقادها :

لن ينسى التاريخ صورة سحابة الدخان تلك التي حملت معها أرواح **150** ألف إنسان حين ألقيت القنبلة النووية على مدينة ناجازاكي اليابانية عام **1945** بعد أيام من

قنبلة هيروشيما..



❁ قبلة حب و نهاية حرب :

قام المصور **ألفريد أيسنستدايد** بالتقاط صورة لرجل في البحرية الأمريكية وهو يقبل امرأة في **ساحة تايمز سكوير بمدينة نيويورك**، لتصبح هذه الصورة أيقونة تعبر عن الفرح بنهاية الحرب العالمية الثانية..



❁ و النجم إذا هوى !! :

قام **ريتشارد درو** بالتقاط هذه الصورة لرجل قفز من أحد أبراج التجارة العالمية خلال هجومات **11** سبتمبر/أيلول عام **2001**، وأحدثت الصورة ضجة كبيرة بحجة عدم مراعاتها للمشاعر الإنسانية، إلا أن المصور رأى في هذا الرجل (جندياً مجهولاً) ..



❁ عندما كان المال أرخص من الخشب :

تظهر الصورة حرق الأموال خلال أزمة التضخم في ألمانيا عام **1920**.. حيث كان المال أرخص من

الفحم والخشب ..



الصورة لغة عالمية يفهما جميع البشر دون أن تحتاج للتفوه بأي كلمة ، و هذا أحد جوانب أسطورة الصورة الساحرة .. جماد صغير يروي حكايات و يعبر عن أفكار عميقة و يجمد الوقت في لحظات كنا سعيدين فيها كولادة أو نجاح أو أوقات طيبة .. أو في لحظات ألقت الكآبة بظلالها علينا كوفاة أو هزيمة أو غيرها ..

و تبقى عين الإنسان أعظم كاميرا في التاريخ لا تتوقف عن التقاط الصور و رصد الأحداث طالما هنالك نفس في جسد الإنسان .. مما جعل التصوير من أجمل و أشيع الهوايات و أكثرها فائدة و متعة ..

و لا عجب أن يكون أحد أسماء الله الحسنى هو (**المصوّر**) .. فالكون من حولنا يعجّ بالصور المذهلة

التي توحّد خالقها و نوثقها كبشر بأعيننا .



*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**لغة الصورة**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لماذا كل هذا التهليل للصورة ؟ إنها مجرد قطعة من الورق المقوى كجماد أخرس !!

بل أن نقول :

= الصورة أفصح خطيب و أبلغ فيلسوف .. إنها تلخص كتباً كاملة في مشهد وحيد ، أو تعبر عن أفكار عميقة و عظيمة بأبسط طريقة .. إنها أسطورة حقيقية يظلمها الناس برميها على الرفوف أو هجرانها في الألبومات أو

تعليقها و نسيانها على الجدران ليصبح صديقها الوحيد في النهاية غبار يفسد وجهها الجميل ..

في سلسلة مغالطاتنا هذه نعمد بشكل مقصود إلى **تدليل هذا الكائن الأسطوري بمسح الغبار عنه و إعادته إلى الحياة** بالإكثار من الصور في صفحاتنا ، و لا شك أنّ الصورة المناسبة في المكان المناسب توفر علينا صفحات طويلة من الشرح و توصل أفكارنا الهادفة بأقصر الطرق ..



مغالطة داروين

والتطور

(وجه العلم وأوجه الدين)

= ما لك تقفز هنا و هناك كالقرود .. ؟

= أنا سعيد في أحضان هذه الطبيعة الخلابة ..

= بل أنت تثبت لي بأن **داروين** كان محقاً في نظريته !

= بخصوص ماذا ؟

= بأن الإنسان تطّور من قرد ..

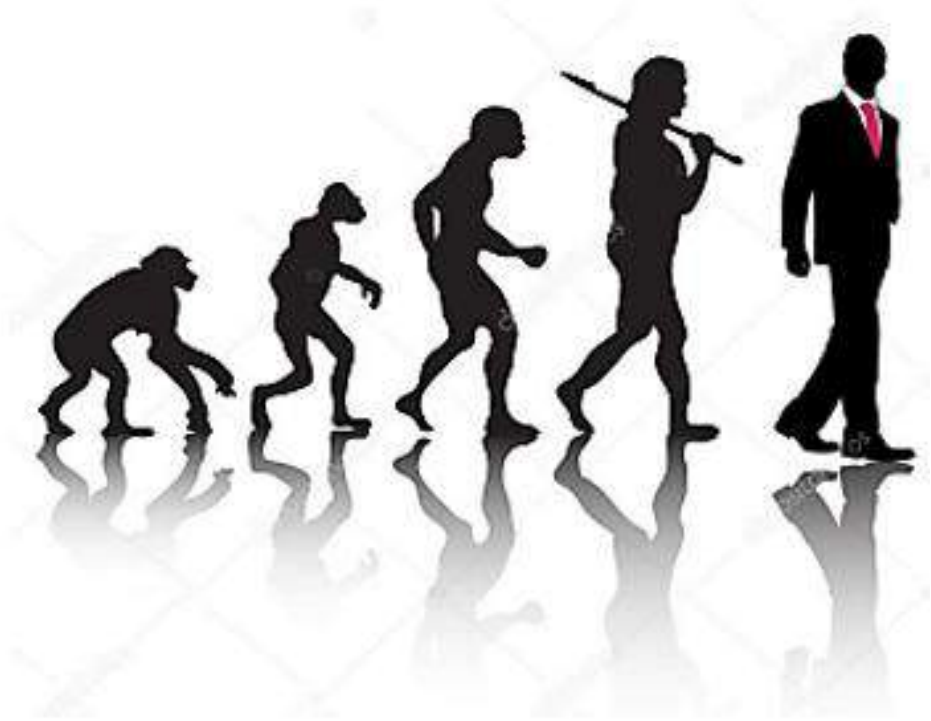

= لكن داروين لم يقل هذا أبداً !!

= كيف لم يقل ؟ لقد اعتبر الملحدون كلامه مقدساً لأنه يهدم قصة خلق الله للإنسان و يؤكد أن الإنسان صنيعة الصدفة و التطور ..

= أولاً يا صديقي، داروين مؤسس علم التطور كان شخصاً لا أدرياً لا ملحداً ، بل إنه ذكر في مقدمة كتابه الشهير(**أصل الأنواع**) أنّ كتابه يتطرق لتطور الكائنات

بعد خلقها ، و لا يتحدث عن طريقة نشوئها على الأرض = مذهل ! و ثانياً ..؟

= داروين طرح فكرة أنّ الإنسان و القرد ينحدران من سلف مشترك ، لا أنّ القردة تطورت إلى بشر ، و هذا السلف المشترك أقرب إلى الإنسان منه إلى القردة كما أثبتت الأحافير ..

= مذهل أكثر .. إذاً فنحن نعيش أكذوبة كبيرة ..

= يمكنك قول ذلك ، لأنّ الإنسان لا يقرأ فلا يتعلم فيهذي بما لا يعرف ..

*****

إذا كما قرأت عزيزي القارئ ، داروين مؤسس علم التطور كان مؤمنا بالله ، و لم يتطرق إلى طريقة الخلق بل إلى تطوّر الخلق و أخيراً لم يقل أنّ أصل البشر قردة .. و كلّ هذه الأفكار الشائعة بين الناس هي أركان مغالطتنا الجديدة (**داروين و التطوّر**) ، و التي سنحاول من خلالها مقاربة فكرة التطور من مختلف زواياها فنقول ما لها و ما عليها ، لأدعك عزيزي القارئ في النهاية أن تؤمن بما تشاء بنا على عقلك النير و محاكمتك المنطقية لما ستقرأه خلال الصفحات التالية و لإنجاز هدفنا هذا سنلجأ لمقاربة مغالطتنا من **3** زوايا هامة و شيقة للغاية :

① نبذة عن نظرية داروين للتطور ..

② التطور في عين العلم ..

③ التطور في عين الدين ..

فهيا بنا نربط الأدلة العلمية و الدينية من أحافير و تاريخ و جغرافيا و أقوال و كتب دينية كي نفهم أكثر ما هو التطور و كيف يحدث و ما جوهره و ما هي الكناية منه أو غايته و ما إسقاطاته على الكون الأكبر؟

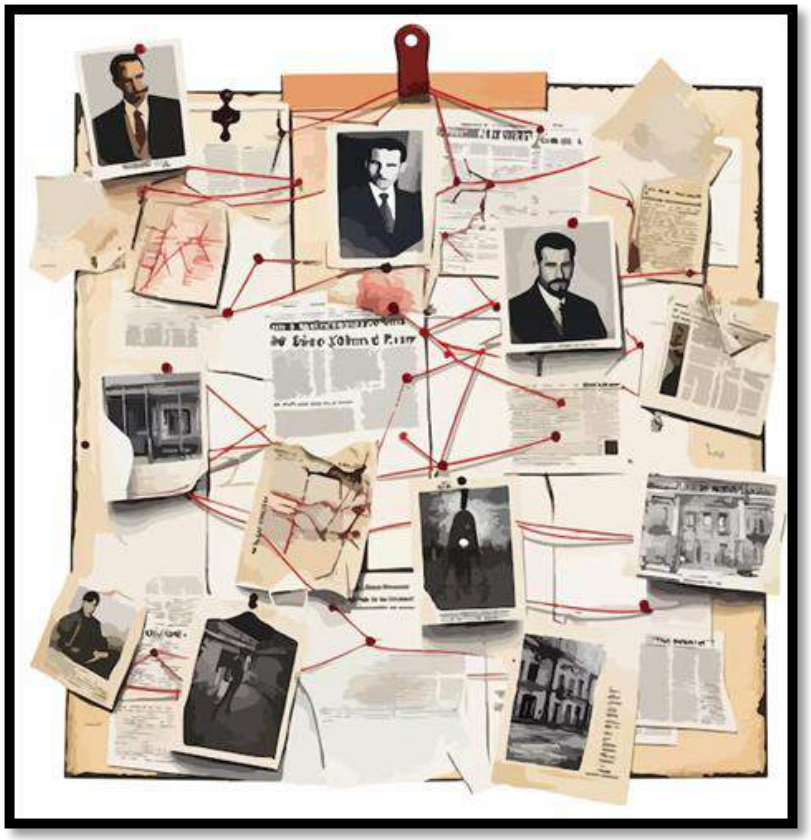

أولاً ، نبذة عن نظرية داروين للتطور :

لنظرية التطور ثلاثة أركان أساسية :

❁ تعريف التطور : هو تغير الصفات الوراثية المتوارثة

بين الكائنات الحية مع المرور الزمن من جيل لآخر مما يؤدي إلى ظهور صفات جديدة في النوع الواحد أو ظهور أنواع جديدة بالكامل ..

❁ **داروين و كتابه** : يعتبر العالم الإنجليزي **تشارلز داروين** عرّاب التطور و صاحب أشهر نظيرة حوله و التي شرحها في كتابه المعروف (**أصل الأنواع**) ، الذي نشره عام **1859** و احتوى على تفاصيل رحلته البحرية و مغامراته حول العالم و ما رآه و حلله و استنتجه فيها

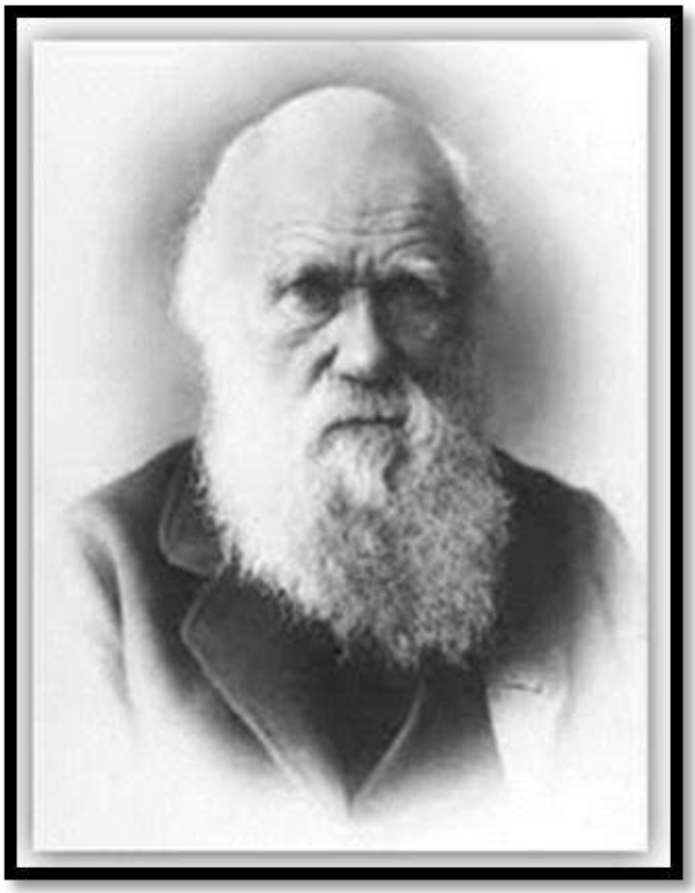

❁ **آليات التطور** : نظرية التطّور تفترض حدوث تغيير في التركيب الجيني للكائنات عبر الأجيال المتعاقبة، وينتج هذا التغيير عن **3** طرائق رئيسية :

① **الانتقاء الطبيعي** : و يعني أنّ الصفات التي تبقى في الكائنات الحية هي الصفات التي تمكنها من العيش والتكاثر في بيئتها، وفي المقابل تقلّ لديها الصّفات التي لا تحمل أية فوائد بقائية أو تكاثرية للنوع ، أي يمكن التعبير عن ذلك بقانون البقاء لأصلح ، و خير مثال عن هذا العامل هو التطور الذي طرأ على الحيتان بسبب التغيرات البيولوجيّة العشوائية وفق ما تدعيه نظرية التطور حيث كانت الحيتان حيوانات برية ثم برمائية أكثر ثم أصبحت تكيّفاً مع نمط الحياة البحرية مع مرور الوقت و ظهور العديد من الأجيال المختلفة المتطورة ، وأكثر قدرة على العيش و التنفس في الماء

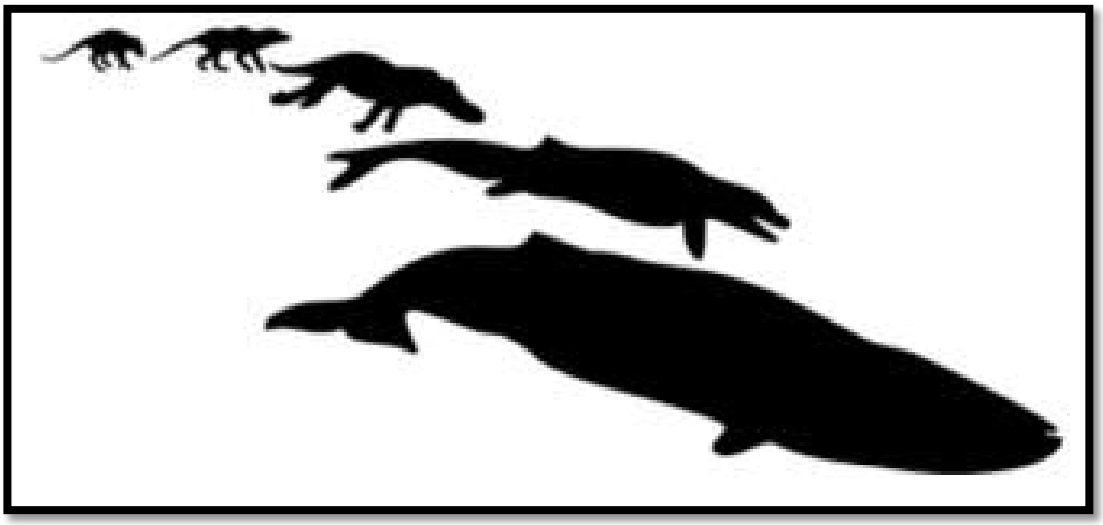

فمع المزيد من التغييرات الجينية العشوائية تحرّكت فتحة التنفس للأعلى و الخلف لمسافة أبعد عن الرأس ، كما تغيرت أجزاء الجسم الأخرى للنسل القديم من الحيتان فتحولت الساقان الأماميتان إلى زعانف، واختفت الساقان الخلفيتان، وأصبحت أجسادها أكثر انسيابية، كما تطّور

الذيل لديها لتصبح قادرة على دفع أنفسها بشكل أفضل في الماء..

② **التزاوج بين أنواع مختلفة**: فتختلط الجينات و تنتج أنواع جديدة ..

③ **الطفرات** : و هي تبدل طارئ في الجينات يؤدي لظهور صفات جديدة ثم أنواع جديدة بمرور الزمن ..

ثانياً ، التطور في عين العلم :

في الحقيقة هنالك قائمة طويلة من الأدلة التي يدعم بعضها نظرية التطور ، في حين يشكك البعض الآخر فيها ، و سنقوم بذكر أهمها على سبيل المثال لا الحصر :

① الأدلة التي تدعم نظرية التطور :

❁ **الأحافير** : حيث يمكن من خلال الأحافير و المستحاثات معرفة الشكل الذي كانت عليه الحياة في السابق ، فهي تُظهر تطور الكائنات عبر الأزمنة المختلفة و تعطي أدلة هامّة قد تدعم صحّة النظرية القائلة بأنّ الكائنات الحية المعقّدة في الوقت الحالي قد انحدرت من كائنات أخرى أكثر بساطة منها في السابق



❁ **تماثل التركيب بين الكائنات المختلفة** : وهو الأمر الذي قد يدلّ على انحدار كل مجموعة من الأنواع من سلف مشترك ، ومن الأمثلة على ذلك تشابه أذرع الإنسان مع الأطراف الأمامية للقطط والكلاب و أجنحة الطيور و زعانف الحيتان و امتلاكها لنفس النوع من العظام .

❁ **تشابه أجنة النوع الواحد من الكائنات الحية** : وهو أيضاً شيء قد يعّد دليلاً على تشاركها في السلف ، فعلى سبيل المثال تمتلك جميع أجنّة الفقاريات ذيلاً و شقوقاً خيشومية كالتي تمتلكها الأسماك، لتختفي هذه التراكيب مع مرور الوقت عند البعض منها بعد ولادتها كإشارة إلى حدوث عملية التطور فيها مع الزمن ، وفي المقابل فإنها تبقى عند البعض الآخر ..

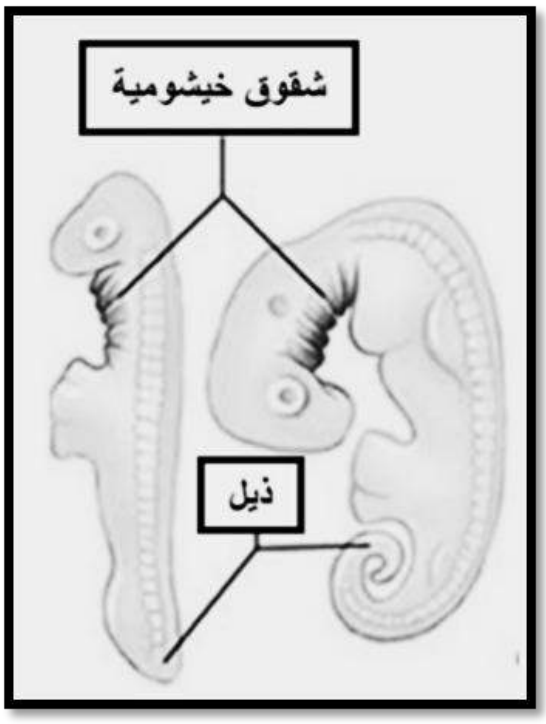

❁ **الأعضاء الضامرة** : فقد يدلّ تراجع تطّور بعض الأعضاء مثل عظم الذيل أو العصعص والزائدة الدودية عند الإنسان على صحة نظرية التطور حيث أدّى هذا التطور إلى تقليل حجمها بسبب انعدام الحاجة إليها مع مرور السنوات..

❁ **تقارب أو تطابق تسلسل الحمض النووي DNA وRNA** بين بعض المجموعات من الكائنات الحية دون غيرها .. و هذا دليل قوي بدوره باشتراكها بالسلف نفس الذي تطورت منه ..

❁ **توزيع الكائنات على سطح الأرض** : حيث يمكن ملاحظة وجود تشابه كبير للكائنات الحية مع بعضها في مكانين بعيدين للغاية عن بعضهما على الأرض بوجود بعض الاخلافات سواء بضمور أعضاء أو ظهور أعضاء جديدة أو صفات جديدة كتغيرات اللون أو طبيعة الغذاء، وهو الأمر الذي قد يدّل على أن هذه الكائنات المتشابهة قد هاجرت في الأصل من مكان إلى آخر وتطّورت هناك لتكّون أنواعاً جديدة أكثر تكيفاً على العيش مع البيئة الجديدة، وهو ما يفسّر تشابه الكائنات بين تلك المنطقتين على نحوٍ كبير حتى أنها تصنّف على أنها من ذات النوع .. كذلك الأمر وجد العلماء أن بعض أنواع الحيوانات التي تعيش في شرق أمريكا الجنوبية وغرب إفريقيا

تتشابه إلى حد كبير بصفاتها باعتبار أن هاتين المنطقتين الجغرافيتين كانتا ملتصقتين ببعضهما منذ زمن سحيق ثم تباعدتا و تشكل المحيط الأطلسي بينهما ، فتفرقت هذه الحيوانات إلى بيئات مختلفة لكنها حافظت على تشابه كبير بينها مع اختلافات هامة تلائم بيئاتها الجديدة و مناخها ..



و غيرها من النقاط الداعمة بقوة لنظرية التطور ، و كما ترى عزيزي القارئ فإنها أدلة ال يمكن إنكارها على الإطلاق أو تجاهلها ! ..

② الأدلة التي تشكك في صحة نظرية التطور :

❁ **تعتمد نظرية التطور على حدوث الطفرات بشكل عشوائي وغير موجّه لحدوث التطور:** لكنّ الطفرات

العشوائية لا تسبب تطور أنواع جديدة من الكائنات الحية ، وإنما تؤدي بدلاً من ذلك إلى إنتاج أفراد مصابين بعيوب خلقية ..

❁ **الكيمياء الحيوية لا تدعم وجود نظرية التطور**:
فالخلايا في جسم الإنسان تعمل كمصنع متكامل ومعقد ، و لا يمكن للعمليات العشوائية و غير الموجّهة أن تنتج هذا النظام المعقّد من التنظيم الخلوي ..



❁ **الافتقار لوجود الأحافير التي تُظهر المرحلة الوسطى من تطور الكائنات الحية** : فمعظم الأحافير التي اكتشفت تُظهر الأنواع الجديدة والمتطورة بشكل مفاجئ دون تتطور متدّرج من أسلافهم عبر وجود أحافير انتقالية بين النوعين أي أنّها لم تمّر بمراحل متدّرجة من التطّور كما تدّعي النظرية .. و هذه نقطة هامة للغاية ، فلو أنّ الكائنات تطورت عبر مراحل تدريجية كثيرة ،

فيجب بالفعل العثور على أحافير تعكس هذا التدرج ، و هذا ما لم يجده العلماء و الباحثون على أرض الواقع ..

❁ امتلّك كائنات حية بدائية لأعضاء معقدة و متطورة أكثر منها عند كائنات أكثر تطوراً : و هذا يخالف منطق التطور الذي يفترض أن التطور يسير باتجاه وحيد نحو الأفضل ، و كمثال نجد العين عند بعض الحشرات أكثر تطوراً و تعقيداً منها عند الثدييات بما فيها الإنسان !! ..

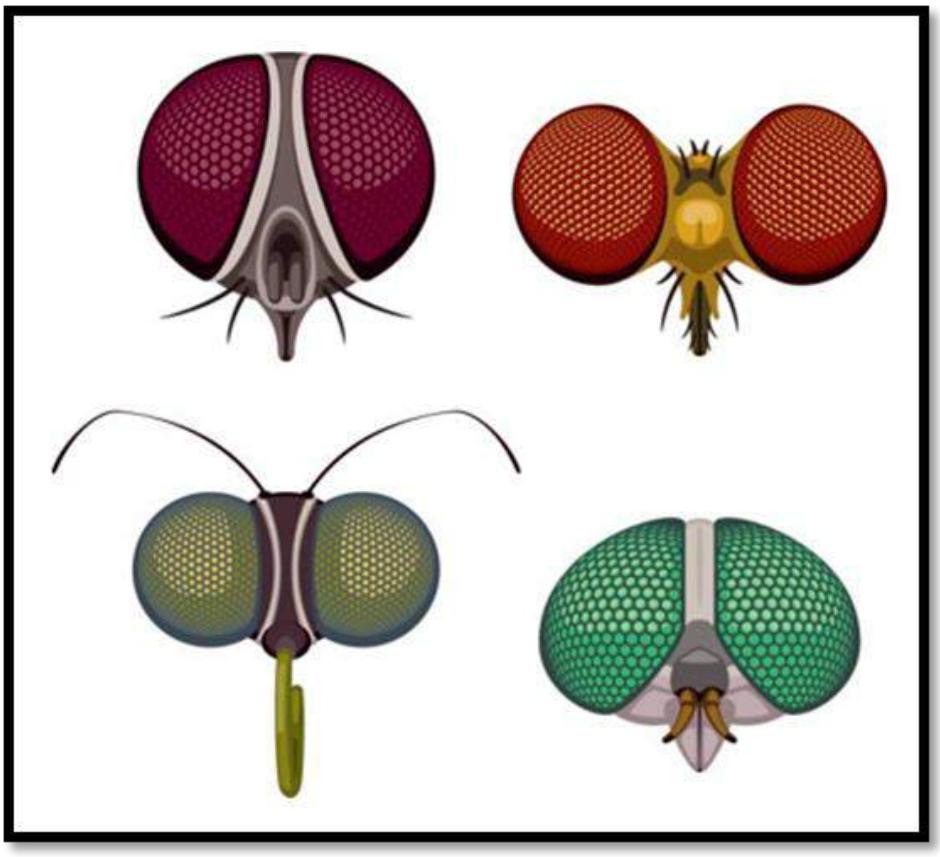

و غيرها من النقاط المشككة التي لا يمكن تجاهلها بدورها و تزعزع الإيمان المطلق بنظرية التطّور .. لتبقى هذه النظرية بسبب كثرة الأدلة الداعمة و المشككة لها أكثر

النظريات إثارة للجدل و الأسئلة في العالم ..

ثانياً ، التطور في عين الدين :

قبل الخوض في غمار هذه الزاوية لا بد من التأكيد على أنه لا يجوز وجود تعارض بين العلم و الدين أبداً ، بل كلّ منهما يكّمل و يدعم الآخر، كما يقول العالم العبقري **ألبرت أينشتاين** :

(العلم بلا دين أعرج و الدين بلا علم أعمى)

فمما لا شك فيه بأن الله خلق الكون بما فيه وفق قوانين علمية محددة اكتشف البشر بعضها و لا يزالون يكتشفون المزيد مع تقدم السنوات .. فمثال الانفجار الكوني العظيم أصبح حقيقة علمية لا شك فيها بعشرات الأدلة العلمية الدامغة في العصر الحديث من قبيل اكتشاف إشعاع الخلفية الكوني ، توسع الكون و التشويش الذي تراه و تسمعه على شاشة التلفزيون في حالة عدم التقاط قناة معينة و الذي هو أثر الأشعة الراديوية التي خلّفها الانفجار العظيم و غيرها من الأدلة .. حتى أنّ العلماء تمكنوا من تقدير زمن حدوث ذاك الانفجار منذ **13.8** مليار سنة .. و هذا ما يرفضه المتشددون دينياً كونه يخالف تصوير عملية الخلق في القرآن ، رغم أن القرآن حمّال أوجه و يمكنك تفسيره بطرق مختلفة بعضها يتناسب مع الحقائق العلمية كقوله تعالى :

(إن السموات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما)

و يمكن تفسير هذه الآية ببساطة بأنها تشير إلى حالة الكون قبيل الانفجار الكوني العظيم عندما كانت المادة و الخلاء كتلة واحدة ثم تفرقتا عن بعض بعد الانفجار.. و لا تختلف قضية التطور عن قضية الانفجار العظيم أبدا ، إذ يمكننا تفسير آيات قرآنية كثيرة على نحوٍ ينسجم مع نظرية التطور كحال الآية التالية :

(ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً)

و هذه الآية تشير بشكل صريح إلى أنّ خلق الإنسان مّر بمراحل عديدة متتالية و لم يحدث دفعة واحدة ..

و أيضا نجد الآيات التالية :

(و لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرارٍ مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)

و على خلاف ما يقول البعض بأنّ هذه الآيات توضّح تطور الجنين في رحم أمه ، فنجد ببساطة من بداية الآيات ذكر خلق الله للإنسان من سلالة قريبة من الطين .. و

هذا بحدّ ذاته ينسجم مع نظرية التطور التي تقول بتحول العناصر الكيميائية بطريقة ما إلى خلية وحيدة (**نطفة**) ثم تطور هذه الخلية إلى خاليا متعددة و تمايزها بحسب تأثير البيئة إلى خلايا متخصصة وظيفيا (عظام ، عضلات .. إلخ) .. و لا يخفى علينا جميعاً أنها عملية تطورية ، إذ كان بمقدور الله ألا يخلق الإنسان من الطين بل أن يقول له كن فيكون ، ليتجسّد أمامه بشراً سوياً مكتملاً ، لكنّ الخالق يوضّح بشكل صريح أنّ ذلك لم يحدث ..



و هذه العملية التطورية تشرح بالضبط نشوء شجرة السماء (**الزيتونة**) في الكون الأكبر عبر سلسلة الأحداث التالية كأول عملية تطورية في الحياة :

في البدء كان الانفجار ..

ثم كانت الكيمياء ..

ثم تنفست الكيمياء فكانت الخلية ..

ثم تطورت الخلية فأصبحت كائناً ..

ثم تطور العقل فوجد الوعي و ولدت المشاعر و الزمن ..

ثم تطور العقل اكثر فبدأ يكتشف الكون ..

ثم تطور العقل اكثر فأكثر حتى اكتشف كامل الكون

و روّضه كحصان بريّ ..

ثم استدار الكون كخاتم في إصبعها ..

و اليوم نحن نمشي على خطاها ..

و هكذا نجد مجدّداً أنّ العلم لا يتعارض مع الدين و أنّ نظرية التطور ربما كانت كنظرية الانفجار العظيم حقيقة علمية جرت بمشيئة إلهية و تدبير رباني لحكمة معينة ..

النقطة الهامّة الأخرى في هذا الصدد هي فكرة خلق آدم في الجنة و هبوطه إلى الأرض و بأنّ ذلك يؤكد بأن الإنسان وجد كما هو على الأرض بدون عملية تطورية.

و في الحقيقة هذه النقطة شائكة بلا شك .. لكن نعود إلى فكرة أن القرآن حمّال أوجه .. فلماذا لا يكون آدم و حواء هما اصطفاء لله من بين الكائنات التي تطورت إلى الجنس البشري الواعي ، و بأنّ الجنّة كناية عن حياة النعيم التي اختبراها على الأرض قبل عصيان أوامر الله ؟..

و لا ننسّ هنا أن مدينة عدن في اليمن تحمل اسم جنة الخالق ، فربما كانت هذه المدينة ذات يوم منذ آلاف السنين عبارة عن صورة مصغّرة عن الجنة ، فيها كل ما

احتاجه آدم و حواء اللذين عاشا فيها.. طبعاً هذه مجرد فرضية أو احتمال أو تفسير معيّن ..



بل إنّ بعض رجال الدين من أمثال الشيخ المصري محمد عبده قالوا بأن آدم و حواء هما رمز لكافة الجنس البشري المتطور عن أسلافه و ليسا مجرد شخصين مفردين ، و هذا أيضاً مجرد احتمال و تفسير آخر ..

و هنالك زاوية خطيرة هامة لابدّ من التطرق إليها الآن ، وهي أّن تفسير رجال الدين لآليات خلق آدم و حواء تتناقض كلياً مع الاكتشافات العلمية ، فمثلاً لو أنّ الله خلق آدم بالفعل بعد خلق الكون مباشرةً و أنزله إلى الأرض ، فلماذا لا نجد هياكل عظمية لبشر من جنس الإنسان الحالي العاقل تعود لملايين السنين و منذ بدء تشكّل الأرض ، في حين أنّ أقدم هيكل عظمي لهذا الجنس عثر عليه في المغرب و تعود لحوالي **300** ألف سنة لا أكثر ؟! ليس ذلك فحسب بل إنّ البشر اكتشفوا

أحافير و مستحاثات لكائنات بسيطة تعود لملايين السنين و لم يكتشفوا أي أثر لكائنات حية أكثر تطوراً طوال تلك الفترة الزمنية الهائلة ، مما يوجه بقوة إلى إمكانية تطور هذه الكائنات البدائية عبر تلك الفجوة الزمنية المؤلفة من ملايين السنين إلى كائنات حية معقدة ، و تفسيرات الآيات القرآنية في هذا المجال تطول و تتشعب ، لكن ما يهمنا في الحكاية كلها أنّ العلم لا يتناقض مع الدين بمعنى أننا يجب ألا نلوي ذراع العلم بتفسيرات غير منطقية كي تلائم النص الديني فالعلم له وجه واحد فقط تحكمه القوانين لتفسير الحقائق العلمية المثبتة بالدليل ، أما النصّ الديني فحمّال أوجه باعتراف رجال الدين قاطبة ..

*****

في ختام مقاربة مغالطتنا الشهيرة و الشائكة للغاية بين البشر(**داروين و التطور**) ، من المنطقي بعد الآن ألا نقول :

= أصل الإنسان قرد بلا شكّ ..

بل أن نقول :

= ما من عالم قال ذلك أبداً ، فجميع الاكتشافات العلمية كذبت خلاف ذاك ..

و ألا نقول :

= التطور و الدين يناقضان بعضهما ..

بل أن نقول :

= الدين و العلم يدعمان بعضهما و لا يتصارعان ، فلماذا لا يكون التطور هو طريقة الله في خلق الكائنات ، فما نختلف عليه ليس حدوث التطور من عدمه فهو نظرية مدعومة بأدلة كثيرة منطقية ، بل كيف حدث التطور ؟ هل هو وليد الصدفة (كيمياء أنتجت خلية تطورت إلى كائن) و من تلقاء نفسه ،أم أنه متوالية من الأحداث بتدبير إلهي ؟

إذا نظرنا من حولنا في الحياة و عبر التاريخ نجد أنّ كل شيء تمّ عبر عملية تطور ، من أجهزة الهاتف أو الحواسيب التي كانت بدائية ثم تطورت تدريجياً إلى نماذج مذهلة و لا زالت في تطّور مستمّر ..



أو العلوم بفروعها المختلفة التي حبت على درب التطوّر ثم خطت خطواتها الأولى حتى باتت تركض الآن بتسارع رهيب كحال الفيزياء التي بدأت ببضعة قوانين بسيطة

عند رجل الكهف بأنّ الرمح ذا النهاية الحادة أكثر ينطلق في الهواء بقوة أكبر أو كلما زاد حجم الصخرة زاد وزنها و صعب حملها ، ثم ظهرت الفيزياء الكلاسيكية مع نيوتن و اليوم نجد الفيزياء الحديثة كميكانيكا الكّم التي تتعدل و تتطور باستمرار ، أو علم الفلك الذي بدأ برصد نجوم السماء بالعين و وصل اليوم إلى رؤية مجرات في حدود بتلسكوبات فضائية متطورة كهابل و جيمس ويب، بل أكثر من ذلك ، الكون برمّته نشأ عبر عملية تطورية من نقطة مفرطة الكثافة إلى جزيئات دون ذرية فذرات فعناصر و بعدها مجرات بنجوم و كواكب و أقمار و كويكبات و سدم ..

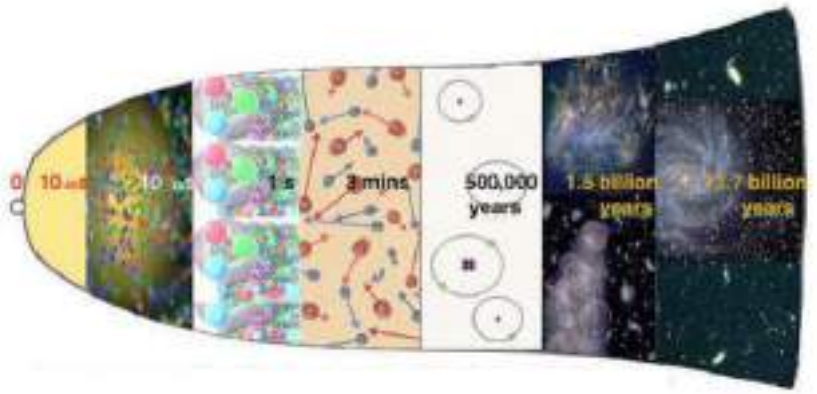

فالتطور سمة الحياة و ديدنها ، و ليس مستبعداً على الإطلاق أن تكون الكائنات الحية تطورت في نشأتها بأمر إلهي ... فالأهمّ في هذه المغالطة كلها هو التأكيد على أنّه ما من شيء تم في هذا الكون إلا بإرادة إلهية و لكن وفق قوانين علمية ، لذا أدعك عزيزي القارئ مع هذا السؤال الأخير و أتمنى أن تفكر به قليلاً بعمق :

(إن كان البشر و الحيوانات قد نشأوا من عملية تطور عبثية بالفعل، فمن خلق النباتات بتنوعها الرهيب على الأرض ، كيف يمكن أن تتحول بذرة صغيرة إلى شجرة باسقة عملاقة عن طريق الصدفة البحتة ؟ ومن وجه هذه النباتات لاحقاً كي تتمايز إلى أنواع مختلفة و تشكل مصدر الغذاء الرئيسي للبشر و الحيوانات ؟)



إنّ الخالق يثبت وجوده في كل تفصيل من تفاصيل خلقه ، و وجوده أمر غير قابل للشك ، فالعبثية و الفوضى لا يمكن أن تنتج هذا الكون المذهل و هذه الأرض الفريدة بتنوع ما عليها على نحو متكامل يخدم بعضه البعض بطريقة متقنة مفعمة بالفنّ لا يشقّ لها غبار .. و الحقيقة المغيبة في هذه الحياة أن ما من إنسان ينكر وجود الله بسبب أدلة منطقية دامغة يقدّمها ، بل على خلفية ظروف

صعبة عاشها في طفولته أو في حياته اللاحقة فنقم على السماء و بالتالي رفض وجود الله ببساطة .. هكذا بال دليل و لا دراسة .. أي أنه موضوع نفسي وجداني بالأساس و ليس علمياً على الإطلاق !!

مغالطة الشهر النسبي

(اليوم استدار الزمان)

= هل ستصحبني يا صديق كي نزور السيد عبد الله بعد عودته من الحجّ ؟

= بالطبع ، فهي زيارة ذات غايتين معاً ، المباركة له بإتمام فريضة الحج و الاطمئنان على صحته أيضاً ، لا بدّ أنك سمعت بحالات الإغماء و التجفاف الكثيرة التي جرت للحجاج في شهر آب المنصرم ، و من بينهم صديقنا عبد الله ..



= بلى سمعت ، كيف يمكن تشريع الحج في مثل هكذا مناخ حارّ و جافّ ، في منطقة صحراوية حارقة كمكة المكرمة.. إنها تنهك الشباب اليافعين فما بالك بشخص كعبد الله تجاوز الستين من العمر !؟

= غير منطقي بالفعل ، إنه مشابه لتشريع صيام رمضان من شروق الشمس حتى غروبها في المناطق البعيدة عن

خط الاستواء التي يستمر فيها النهار لأكثر من عشرين ساعة في بعض الشهور ..

= إنّ هذا يتعارض مع الرحمة الإلهية .. ثمة شيء خاطئ وغير مفهوم !

= هذا ما أشعر به بدوري ..

*****

لقد تكرر هذا الحوار كثيراً للأسف عبر العقود الطويلة المنصرمة عندما تحول دين الرحمة الإسلام إلى نوع من التعذيب يفوق طاقة بعض البشر في بعض الظروف ، فتحولت الأركان التي شرعت كي تمنحنا السلام الداخلي إلى مشقة تنفرنا منها و تبثّ الشكوك في أرواحنا ، مما يفضي بنا إلى مغالطتنا الجديدة و الخطيرة (**الشهر النسيء**) مع سؤالها الهام المنبثق عنها :

(إن كان الإسلام دين رحمة بتوثيق من القول الإلهي :

{ و ما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين }

فكيف نجد بعض التشريعات الأساسية فيه مناقضة تماماً لهذه الرحمة، كالحجّ في ذروة الحرّ أو الصيام ليوم كامل متواصل أو حتى القتل و الصيد في

مواسم تكاثر الحيوانات ، هل هو تشكيك في جوهر الدين أم أنّ ثمة حلقة مفقودة في الحكاية تفسر هذا التناقض العجيب ؟)

و الجواب المبدئي المبسّط على هذا السؤال هو :

(بالطبع الإسلام كغيره من الأديان الإلهية يدعو إلى الرحمة و الرأفة بالحيوان و النبات فما بالك بالإنسان غاية الخلق و الحياة ، لذا فأي تشريع يتناقض مع هذا التوجه يفترض بالضرورة وجود خطأ بشري و ليس إلهي عبث بهذه الرحمة)

و لمقاربة هذا الجواب بشكل مفصّل أكثر سنقارب مغالطتنا الجديدة من زاويتين هامتين للغاية :

① **الأولى** : الدليل المنطقي الذي يؤكد وجود عيوب بشرية في بعض الاجتهادات أو الفتاوي ..

② **الثانية** : السبب الكامن خلف هذا الخطأ ، أي أين بدأ الخطأ من جذوره .. ؟

فهيا بنا عزيزي القارئ نمسك العدسة المكبرة و نقتفي الأثر عوداً بالزمن إلى الوراء كي نفهم ما الذي حدث

على أرض الواقع ، و كيف وصلنا إلى ما نحن عليه ؟

أولاً ، الدليل على الخطأ البشري :

و هذا الدليل على بساطته لا يدع مجالاً للشك بوجود هذا الخطأ ، و هو يتناول أسماء الشهور القمرية التي تسقط القناع عن سراب ما نتبعه اليوم في تطبيق أركان الإسلام على النحو التالي :

۞ **شهرا ربيع الأول و ربيع الثاني** تحصّلا على اسميهما من فصل الربيع كما يبدو بشكل جليّ و واضح .. لأنهما كانا يأتيان على الدوام في هذا الفصل ..

۞ **شهرا جمادى الأولى و جمادى الآخرة** تحصّلا على اسميهما من جمود حبات القمح في سنابل القمح بعيد الربيع و قبيل الصيف ، أما القول بأنهما يأتيان في فصل الشتاء عندما تتجمد المياه من شدة البرودة ، فهو نظرية غير منطقية حسب تراتب الأشهر فهما يأتيان بعد شهري ربيع الأول و الثاني أي بعد فصل الربيع !!



❁ **الأشهر الحرم الأربعة** و التي تشتمل على: ذي القعدة (**قعود العرب عن القتال**) و ذي الحجة (**الحج**) و محرّم (**تحريم القتال**) و رجب (**رجب النصال عن الأسهم أي نزعها ، بمعنى الامتناع عن القتال أو الصيد خلاله**) ..

❁ **صفر** و قد اشتق اسمه من خروج العرب للحرب أي بمعنى آخر (**تصفر البيوت بخلو ساكنيها**) ..



❁ **شعبان** و اشتق اسمه من تشعب العرب بين حرب و تجارة بعد قعودهم في رجب ..

❁ **رمضان** و يعود اسمه إلى الرمض و هو الغيث الذي يأتي في نهاية الصيف و بداية الخريف أي ان رمضان كان يأتي في أواخر الصيف دوماً بحدود شهر أيلول..

❁ **شوال** و الذي يشير إلى شول الإبل بأذنابها أي رفعها دعوة للتزاوج و يقال تشويل ألبان الإبل أي (نقصانها)

و في الحالتين هاتان الظاهرتان تحدثان في فترات معينة من السنة..

ننتقل الآن إلى الموضوع الخطير و الحسّاس الذي تتناوله مغالطتنا ، فبعد تحريك الأشهر القمرية على مدار الفصول انبثقت لدينا مشكلة حقيقية و كارثية سببت اختلال الميزان السائد إبان نزول القرآن و المنسجم مع أسماء الأشهر القمرية عند العرب و عاداتهم في كلّ منها ، و سنورد بعض أوجه هذه المشكلة على سبيل المثال لا الحصر :

1 ***اختلال معاني أسماء الشهور القمرية*** : فربيع الأول أصبح من الممكن أن يأتي في الشتاء!! و هو كاسمه مشتق من فصل الربيع ، فهل ذاك منطقي ؟ و شّوال موسم تزاوج الإبل سيأتي في غير ذلك .. و هذا ما ينسحب على بقية الشهور القمرية أيضاً !!

2 ***شهر رمضان أصبح من الممكن أن يأتي في حرّ الصيف اللهاب*** ،على نحوٍ خطير على صحة الصائمين طبياً ، فهل يعذّب الله عباده خاصة من يقيمون منهم في بيئات صحراوية كحال مهد الإسلام في شبه الجزيرة العربية بالصيام في هذه الأجواء الخانقة التي تسبب بلا أدنى شك التجفاف للصائمين مما يعرض صحتهم و ربما حياتهم للخطر ! في حين نجد أنه في التوقيت الأصلي لرمضان خلال شهر أيلول تتساوى فترة النهار تقريباً في

أغلب بقاع الأرض و تكون فترة معقولة فيزيولوجياً للصيام و معتدلة المناخ عبر أصقاع الكوكب ، و بذلك يسود العدل بين الناس من حيث مدة الصيام و ظروفه المناخية الموافقة ، ففي بقية فترات السنة هنالك مناطق على وجه الأرض لا تغيب فيها الشمس تقريباً..



③ *الحج كان يتم في الزمان الأول خّلل فترة الشتاء رحمةً بالحجاج الذين يأتون من كل بقاع الأرض*

فيقطعون ربما مئات أو آلاف الكيلومترات حتى يصلوا إليها بحيث يكون الجو معتدلاً في منطقة الحج (مكة)

، أما لاحقاً فأصبح من الممكن أن يتم الحجّ في ذروة لهيب الصيف مما يعرض الحجاج لضربات الشمس و التجفاف خلال أسفارهم أو خلال ممارسة شعائر الحجّ في العراء

حليقي شعر الرأس، و في التاريخ توثيق لآلاف الإصابات و الوفيات بسبب الحرّ الشديد في بعض مواسم الحجّ ، فإن كان الإسلام دين رحمة ، فأين الرحمة في ذلك ؟ هل يعقل أن يحج المرء في شهر آب اللهاب مثلاً في ذروة لهيب شمس الصحراء حليق الرأس .. إنه أقرب إلى الانتحار الذي حرّمه الله..!!



④ *الأشهر الحرم التي حرم الله فيها الصيد لغاية نبيلة وهي عدم إيذاء الطيور في فترة التعشيش و التفريخ*

لأنّ الطيور الجديدة الصغيرة تعتمد على آبائها في تغذيتها ، فإن تم صيدها و قتلها ماتت الصغار في أعشاشها ، و بالتالي إذا لم تكن هذه الشهور ثابتة اختلت هذه الغاية و تأذت الطيور البالغة منها و الصغيرة على حد سواء إذ قد

يسمح بالصيد في تلك الفترة الحساسة من دورة حياة الحيوانات ..



ثانياً ، السبب الكامن خلف هذا الخطأ البشري:

و نستهلّ هذه الزاوية بالتفسير اللغوي لكلمة تقويم و التي تعني حرفياً تصحيح المسار للملاءمة ، و هنا يأتي دور الشهر النسيء الذي كان يضاف إلى السنة القمرية كل مدة من الزمن للحفاظ على تراتبية الشهور القمرية و انسجامها مع الفصول حفاظاً على الأهداف التي ذكرت سابقاً أي أنه كان يقوّم الخطأ و الاعوجاج .. أما اليوم فلا تقويم حاصل بل مزيد من الاعوجاج و التخبط بين الأشهر القمرية و فصول السنة ..

لنتعرّف الآن أكثر على هذا الشهر الذهبي الهام أو الشهر النسيء بالعودة إلى جذوره قبل الإسلام :

❁ النسئ هو شعيرة من شعائر العرب في الجاهلية كان يقوم بها **بنو فقيم** من **قبيلة كنانة العدنانية** حيث قام

العرب وقتها بإضافة **11** يوماً كل عام أو **33** يوم كلّ **3** سنوات .. لردم الهوة بين التقويمين القمري و الشمسي بغية ضبط مواقيت :

- **الفصول الأربعة**
- **الزراعة**
- **التجارة**
- **الحجّ**
- **الصيد**
- **رحلتا الشتاء و الصيف الشهيرتان**
- **المناسبات الدينية**
- **الحروب**

❁ أول من نسأ الشهور هو **سرير بن ثعلبة** الكناني العدناني في الجاهلية و تابع العرب المهمة من بعده لأهميتها و منطقيتها و تنظيمها لحياتهم ..

نأتي الآن إلى مقاربة أكثر نقطة حساسة في هذا الموضوع و التي تسببت بشرخ و اختلاف فكري كبير بين المسلمين و هي التفريق بين مصطلحين هامين للغاية :

① إضافة الشهر النسيء بغية المحافظة على توازن الفصول ، المواسم ، العادات و المناسبات ..

② النسيء المحرّم في القرآن في سورة التوبة :

(إنما النسيء زيادة في الكفر يُضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً و يحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله)



فكما هو واضح في الآية على نحوٍ لا لبس فيه ، فالله هنا لا يحرم الشهر النسيء بحد ذاته ، فهو شهر هام يضبط حياة البشر و ينظم تفاصيلها و لا ضير منه على الإطلاق ، بل هو تحريم الله لتلاعب العرب في الجاهلية بالشهر النسيء بحيث كانوا يحللون القتال في الأشهر الحرم أحيانا لغايات و مكاسب شخصية ، ثم يعوضونها بتحريمه في الأشهر الحلل ، كذلك الحجّ أيضاً، فكانوا يحجون حسب رغباتهم ، فإن تناسبت مواعيد الحجّ مع أهوائهم و مصالحهم أحلوه، و إن تعارضت معها أجلوه ضاربين عرض الحائط بالظروف المناخية الصعبة التي قد تلحق

بالحجاج ، أي كما يحدث هذه الأيام بالضبط ! و نجد ذلك جلياً في الأبيات الشعرية التالية **لعمير بن كنانة** التي يتفاخر فيها بسلوك قومه الشاذّ هذا في الجاهلية :

لقد علمت معد أن قومي

كرام الناس أنّ لهم كراما

فأيّ الناس فاتونا بوترٍ ؟

و أيّ الناس لم نعلك لجاما ؟

ألسنا الناسئين على معدٍ ؟

شهور الحلّ نجعلها حراما

بعد التطرق إلى هذه الآية الخطيرة و تفسيرها المختلف عليه بدون داعٍ كما شرحنا ، لا بدّ هنا من ذكر حادثة غاية في الأهمية جرت في **حجة الوداع** سنة **9** هجري عندما قال نبي الرحمة :

(اليوم استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض)

فهنالك آراء مثيرة للاهتمام تشير إلى أن ما قصده الرسول بكلامه هذا أنه في ذاك اليوم عاد ترتيب الأشهر القمرية

لنصابه الصحيح بعد تلاعب الجاهليين به بحسب مصالحهم ، بحيث يمكن للمسلمين ابتداءً منه إضافة الشهر النسيء بشكل مناسب من جديد كل فترة لإعادة ضبط الفصول و المواعيد و المناسبات لتعود الرحمة الإلهية فتلقي بظلالها على البشر في تطبيق الأركان من حجّ و صيام و على الحيوانات أيضاً بحمايتها من القتل و الصيد في فترات التكاثر و التعشيش ..

أي أنّ شهر ذي الحجة الذي تمت فيه حجّة الوداع جاء بين الخريف و الشتاء كما ينبغي ..

للأسف لاحقاً بعد وفاة الرسول محمد و بعد اعتماد السنة الهجرية كبداية للتقويم القمري تم إسقاط الشهر النسيء من الإسلام بدون تبرير على الإطلاق لتمضي السنون بدون تقويم فاعوّج مسارها واختلطت الفصول فأصبح رمضان يأتي صيفاً و الحج في ذروة الحر و الأشهر الحرم خارج مواعيد تفريخ الحيوانات و التجارة و الزراعة في مناسبات مختلفة غير ثابتة أو مناسبة .. في حين لا تزال هنالك شعوب كثيرة حتى اليوم كاليابانيين ، الصينيين ، الهنود و اليهود تضيف أياماً لكل سنة قمرية للحفاظ على توازن التقويم القمري الذي تخلى الإسلام الأولى به عنه !!



بعد مقاربة موضوع ترتيب الأشهر القمرية و انسجامها مع فصول السنة و المواسم و المناسبات عبر الزاويتين السابقتين ، أظن عزيزي القارئ أنك ستفكر منطقياً ثانيةً في السراب العبثي الذي يلاحقه المسلمون منذ قرون و الذي يخلق العناء و المشقة و اختلال ميزان العدل و المساواة بينهم في تطبيق أركان الإسلام .. علّنا بهذه المقاربة المتواضعة لهذه المغالطة المهمة نلقي حجراً في مستنقع الموروث السائد الراكد فنستحث الهمم و العقول لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح فتسود الرحمة الإلهية حياتنا من جديد .. كما قال البارئ في الذكر الحكيم :

(**يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر**)

و قوله أيضاً :

(**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**)

فما نعاني منه اليوم من ظلم في تطبيق الأركان هو خطأ بشري سببناه لأنفسنا و الله سبحانه بريء منه ..

و كمعلومة أخيرة غريبة و هامة فإن شهر رمضان و بسبب دورانه بحذف الشهر النسيء سيأتي في عام **2030** مرتين في أوله و في آخره ، فهل من المنطقي أن نصوم مرتين في عام واحد أو لا نصوم أبداً في عام

آخر !! ثمة خطأ حادث بلا أدنى شك !!

*****

في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة الحسّاسة (**الشهر النسيء**) من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= الله الذي خلقنا غير عادل في توزيع المهام و المسؤوليات ، كما أنه يعرض صحتنا و حياتنا للخطر عند تطبيق بعض أركان الدين في بعض السنوات ضمن ظروف مناخية صعبة للغاية ال تلائم فيزيولوجيا الجسم البشري ..

بل أن نقول :

= الله رحيم و الإسلام دين رحمة و عدل .. و أيّ موضوع يفتقر إلى هذين الصفتين يطرح إشارات استفهام كثيرة عن وجود خطأ بشري سبب هذا الاختلال فعلينا العودة إلى العقل و جذور المشكلة لتصويب الخطأ ، كي لا ينطبق علينا قوله تعالى :

(**و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون**)

لا تؤجر عقلك و روحك لأي شخص يتحدث و يناقش في علوم لا يفقه فيها أو يفتي بأمور يرفضها العقل و المنطق جملةً و تفصيلاً ، فتكون ككسيح يقوده أعمى إلى الهاوية

.. بل كن سيد نفسك بأن تأخذ ما يوافق عليه العقل و المنطق و ترفض كل ما يخالفهما .. أما بوصلتك الوحيدة فينبغي أن تكون (رحمة الله) ، فأي شيء يجلب المشقة اللاإنسانية تأكد أنه من غير الله .

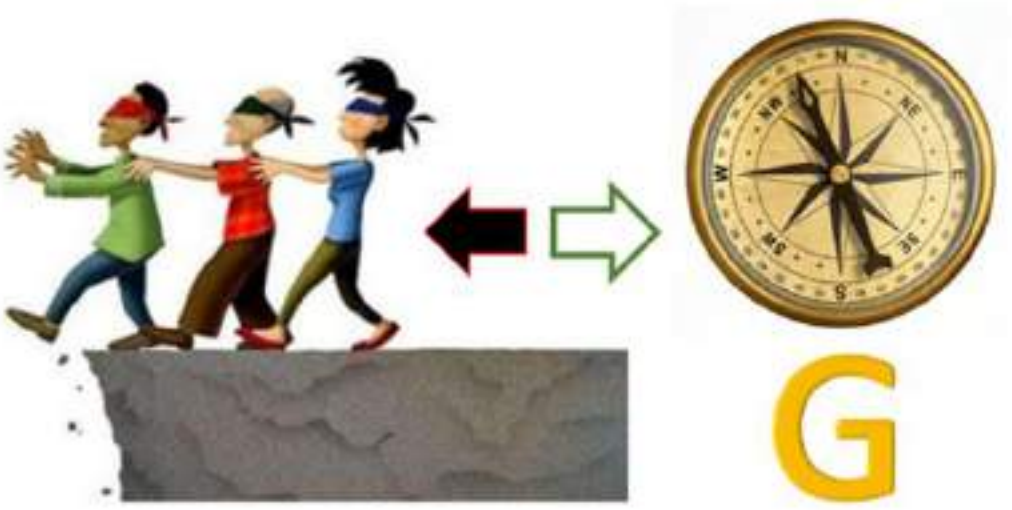

مغالطة امبراطورية

الجنس

(الغلبة الإله)

مصر / القاهرة

2049 م...

مرت عدة أشهر على المناظرة التي جمعت بين البروفيسور **برهان عبد القدوس 73** عاماً الذي دافع فيها عن عقيدة التوحيد عند الفراعنة و عرابها أخناتون و بين الناشطة السياسية **إيزيس عجيل 52** التي مجّدت تعدد الآلهة الفرعونية و أحيت النزعة الفرعونية عند الشباب المصري على حساب الانتماء العربي .. في حين وازن البروفيسور برهان بينهما ..



و مع مناقشة خطاب البروفيسور بشكل مكثف على التلفاز و على مواقع التواصل الاجتماعي .. بدأ يتكون توجه عام

عند الشباب نحو الإيمان بالطبيعة التوحيدية للفراعنة.. و بوجود إله واحد مرسل لجميع الديانات .. بفضل الأدلة الدامغة التي قدمها البروفيسور و التي أكدت أنه مهما اختلفت الآثار الدينية في طبيعتها فقد نحتت بيد إله واحد خالق كل شيء و بأن ما انزاح عن هذا الخط و النسق عبر التاريخ ما هو إلا تشويه و تحريف انصياعاً لمصالح الحكام و الكهنة في كل زمان و مكان .. لذا بدأت حركة مضادة معاكسة بانسحاب جماعي للشباب من حركة حتهرت التي تتزعمها إيزيس .. حتى اضطرت إيزيس بعدها إلى حل حركتها كما تحل يد طفل عبثية شبكة عنكبوت متقنة الصنع في غمضة عين، بعد أن انفض جميع الشباب من حولها و قام غالبيتهم بمهاجمة مبادئها و الدفاع عن مبادئ البروفيسور .. فكما يقول **نابليون بونابارت** :

(الكذب لا يفيد شيئاً فهو لا يخدع إلا مرة واحدة)

لكن للأسف و بعد عام من تلك المناظرة ، ساءت حالة البروفيسور كثيراً بسبب مرض باركنسون الذي يعاني منه ،و رغم خضوعه للعلاج الدوائي المكثف فقد تفاقمت حالته أكثر.. فأصبح رجفان يديه شديداً .. و بدأ يعاني من صعوبة حقيقية في الحركة و من تيبس عضلاته .. و أصبح وجهه جامداً بلا تعابير و كأنه يضع قناعاً يخفي خلفه آلام عمره و جراحه فيواجه نكبات الزمن و غدره بوجه صامت قنوع .. هكذا أصبح الإنسان الذي غير في

مشاعر الشعب و عزف على أوتاره أجمل ألحان الحياة ما بين الألم و الحزن .. الغضب و الثورة .. الفرح و الأمل و التفاؤل .. عاجزاً عن التعبير عن مشاعره على وجهه .. كم هي الحياة قاسية في أحيان كثيرة و ساخرة أيضاً في أحيان أخرى ..؟!

في زمن الإعلام الإلكتروني و التواصل الاجتماعي الافتراضي انتشرت أخبار مرض البروفيسور سريعاً في مصر ثم في الوطن العربي بسبب شهرته الطارئة منذ عامين على خلفية المناظرة و نجاحه في حل حركة كانت تسعى لتغيير دور مصر العربي المحوري .. و قد تعاطف الجميع معه بشكل لا يوصف .. مقدمين كل أشكال الدعم المعنوي و النفسي له في معركته الهوجاء مع المرض اللعين و في مقدمتهم ابنه الوحيد السيد حسام (حيث أن زوجته الراحلة نجاة اضطرت بعد ولادة حسام إلى استئصال الرحم بسبب نزيف غزير على خلفية **مشيمة مندخلة** و هو اضطراب في ارتباط المشيمية بالرحم) و حفيداته و بالأخص الصغرى ماريا (**18** سنة) الأقرب إلى قلبه و التي كانت بدورها مولعة بجدها و بأفكاره و قد هدها الحزن و الألم بسبب تدهور حالته الصحية الذي يدمي القلب و العين ..

هذه هي الكارما بلا شك .. ما تنفع به الناس سيرتد عليك نفعاً من كل حدب و صوب .. و أجمل ما في الكارما أنها تفاجئك دائماً حينما تستسلم و تظن أن الموضوع قد حسم

و انتهى بك المطاف عند حائط مسدود مكتوف الأيدي لتفتح لك أبواباً جديدة في حائط من فولاذ الصعاب لم تكن تتجرأ حتى على مجرد التفكير فيها .. و هذه من أوجه الحياة المشرقة التي تطرق بابك على حين غرة لتبتسم لك و تأخذ بيدك بحنو الأمهات .. و من هذه المفاجآت التي لا تنتهي هو تلقي البروفيسور برهان في أحد الأيام الصيفية الحارة للغاية التي تبتز صبرك حتى آخر قطرة عرق منك اتصالاً هاتفيا مفاجئاً من شخص غريب عليه كان كالنسيم العليل الذي عبر حنايا منزله و انسل إلى أعماق قلبه ..

● الشخص : مساء الخير حضرة البروفيسور .. معك عبد الله من الإمارات العربية المتحدة ..

○ برهان و هاتفه يهتز في يده : مساء النور .. أهلا بك سيد عبد الله .. كيف أخدمك ؟

● عبد الله : في الحقيقة أنا من يريد خدمتك .. إن أذنت لي ..

○ برهان : تخدمني .. بماذا ؟

● عبد الله : أنا من أشد المعجبين بثقافتك و عروبتك .. و وصلني خبر اشتداد مرضك .. لذا أتصل بك الآن لأعرض عليك علاجاً نهائياً لحالتك .. و أنا بحكم عملي كرجل أعمال شخص ثري جداً و سأتكفل بجميع تكاليف

العلاج .. فهل تتكرم علي بالموافقة ؟

○ برهان بتفاؤل طاغ : شكرا لك سيد عبد الله .. هذا تصرف نبيل من حضرتك .. لقد فاجأتني بالفعل .. ما هو هذا العلاج السحري ؟ لقد تعاطيت جميع صنوف الأدوية المتاحة و رغم ذلك تفاقم المرض علي و فارقت صحتي جسدي كما يهرب النوم من عيون طفل جائع سرق كسرة خبز ليسد رمقه بها فخال نفسه أعتى المجرمين ..

● عبد الله: إنه العلاج بالخلايا الجذعية .. في الحقيقة لدي طفلة اسمها نسمة بعمر **14** سنة تعرضت لحادث سير و هي بعمر **7** سنوات سبب لها شللاً سفلياً و عجزت عن الحركة بعده .. و بعد أشهر من اليأس و التسليم بما حدث كقدر لا مهرب منه و لا مغير له .. عرض علينا أحد الأطباء تجريب العلاج بالخلايا الجذعية كملاذ أخير.. و لم يكن هنالك ما نخسره فسلكنا الطريق إلى منتهاه و قد نجح العلاج بالفعل نجاحاً باهراً، فبدأت نسمة تحرك قدميها قليلاً ثم بعد عام استطاعت المشي بعكازين و اليوم تركض بشكل طبيعي كمعجزة حقيقية ..

○ برهان : مدهش ، و هل يفيدني هذا العلاج بدوري؟

● عبد الله : لقد تواصلت مع مركز العلاج الذي تعاملنا معه في مدينة ليون الفرنسية و أخبروني أن الخلايا الجذعية فعالة جداً لعلاج داء باركنسون بشكل سحري

○ برهان : و كم تكلفة هذا العلاج ؟

● عبد الله : هنالك علاج قديم بتكلفة **100** ألف دولار ، و هنالك علاج حديث مدعم بعوامل نمو و تمايز جديدة الاكتشاف بتكلفة **250** ألف دولار .. و أنا أعرف أن وضعك المادي لا يسمح لك بدفع هكذا مبلغ.. فهكذا الشرفاء في بلدان العالم الثالث للأسف يكدحون و يقدمون كل ما في جعبتهم خدمة لأوطانهم بدون مقابل.. في حين يقف الوطن مكتوف اليدين أمام نكباتهم و هو يبتسم ساخراً ، قائلاً بلا خجل أو حياء : هل من مزيد ؟

○ برهان : لقد أخجلتني بالفعل بتواضعك و لهفتك و محبتك .. لقد بلغ مني اليأس أشده و أنهش أنيابه في عزيمتي .. لذا انا اوافق على تجربة هذا العلاج إذ لا شيء لدي لأخسره لكن بشرط وحيد .. أن تعتبر هذا المبلغ ديناً علي أرده لك متى ما استطعت أنا أو أولادي

● عبد الله : موافق .. سأرسل لك فيزا خاصة إلى الإمارات مع حجز الطائرة على بريدك الالكتروني .. تطبعها و تسافر بها إلى دبي .. و تنزل ضيفاً عندي ليومين ثم نسافر سوياً إلى ليون للعلاج ..

○ برهان : أشكرك مجدداً .. و سيصحبني ابني السيد حسام في رحلة العلاج هذه ...

● عبد الله : بل أنا من يشكرك بروفيسور .. العرب

أخوة.. و لا تصدق مقدار سعادتي بموافقتك .. لقد منحتني فرصة لرد الدين إلى قدرٍ كان رحيماً بي للغاية بأفضل صورة ممكنة و ذلك بمساعدة قامة من قامات وطننا العربي و هرم رابع من أهرامات مصر بثقافته و تواضعه..

*****

فرنسا / ليون ...

بعد **3** أيام في الإمارات العربية المتحدة و بعد أن ارتاح برهان و ابنه حسام من عناء السفر و تعرفا على عائلة السيد عبد الله .. سافرا بمرافقته إلى مدينة ليون الفرنسية التي يعرفها البروفيسور برهان جيداً فهي موقع أثري مذهل سافر منذ قرون خلت من روما خاطاً طريقه في أوروبا ليحط رحاله قرب مصب **نهر الرون** في البحر الأبيض المتوسط ليصبح عاصمة لبلاد الغال القديمة ويعتبر في الوقت الحاضر أقدم موقع أثري روماني بعد روما ذاتها ، و ليون تتوسط الجغرافيا الفرنسية بين أكبر مدينتين فرنسيتين **باريس** و **مرسيليا** و ذات أهمية ثقافية و أثرية تفوقهما معاً ..

نزلوا في الفندق الذي حجزه عبد الله لمدة أسبوع .. و في اليوم الأول لهم قام عبد الله بأخذهم في جولة سياحية في المدينة التي يعرفها جيداً من قبل و التي تعرف بأنها عاصمة الطعام الفرنسية لكثرة المطاعم فيها و خبرة

الطهو العالية لطهاتها ، كما عرفهما أكثر بمعالمها الأثرية الشامخة .. و عرفا من خلاله معلومة جديدة عليهما بأن ليون هي مقر الإنتربول الدولي في العالم ..

في اليوم التالي توجهوا إلى مشفى ليون البروتستانتي للعلاج بالخلايا الجذعية ذلك المشفى الشهير الذي تأسس عام **1844** و القاطن في **حي كالوير إت كوير** أحد أكبر أحياء أوروبا في العصور الوسطى ويعود تاريخه إلى القرن **15**...

كانت الطبيبة المشرفة على علاج البروفيسور برهان من أصل جزائري و اسمها **غالية الزاوي 49** سنة .. التي تعرفت مباشرة على البروفيسور و رحبت به خير ترحيب ..



○ غالية: أهلا بك بروفيسور .. يشرفني أن أشرف على علاجك بنفسي ..

● برهان : أهلا بك .. أخجلتني فعلا دكتورة .. أنت جزائرية إذاً !؟

○ غالية : جزائرية فرنسية لأكون أكثر دقة ..

● برهان : إن الحياة فيها من الغرائب ما يثير الدهشة ، كيف يمكن للزمن أن يدور فتعتنق الضحية عقيدة جلادها..!؟

ابتسمت غالية ..

○ غالية: أنت محق بروفيسور .. لكن هذه هي الحياة لا تقوم قائمتها إلا بالتسامح و الغفران و طي صفحات الماضي القاتمة السواد و حرقها إن أمكن .. و فتح صفحات بيضاء جديدة من النور كمحاولة لبلسمة جراح الزمن ..

قد يدهشك بروفيسور أنني أنحدر من أجداد كانوا في الصفوف الأمامية من النضال الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و قدمت عائلتي لوحدها عشرات الشهداء في حرب المليون شهيد .. و ها هي فرنسا نفسها التي يتمتني و أجدادي ذات مرة تمد يدها إلي بخجل و حياء كمحاولة لطلب الصفح بمنحي علماً و تخصصاً أخدم به بلدي و بلدان العالم الأخرى .. فبالمحصلة يجب أن نسامح و

نمضي قدماً بروفيسور و أن نرى الوجه المنير للقمر و النصف المليء من الكأس و نضع وردة على قبور الماضي و وردة في زفة الحاضر و المستقبل ، فنبش القبور لن يفيدنا بشيء .. و بذلك فقط نعالج آلام الماضي بالغفران كما تعالج الخلايا الجذعية آلام المرضى اليائسين.. بالمناسبة هل اطلعت على مبدأ عملها .. أم تفضل أن أشرح لك عنها أكثر ؟

● برهان : بالطبع اطلعت .. لكن أن ينهل الإنسان من النبع الأصل خير له من أن يشرب من الساقية المتفرعة .. فهل تكرمت عليّ بالشرح عن ماهية الخلايا الجذعية بالضبط ؟

○ غالية: بالطبع .. هي خلايا لا وظيفة محددة لها كأنها ملك جالس على عرشه يتأمل مملكته بحرص و ترقب ، لكنها قادرة على التمايز و التحول إلى أي نمط خلوي آخر كالخلايا العصبية و الدموية و الكبدية و غيرها .. لتحل محل الخلايا التالفة و تعوضها بخلايا جديدة ..

● برهان : أي أن الملك على عرشه يعالج مشاكل دولته و شعبه متى وقعت ..

○ غالية مبتسمة : تماماً .. و لذلك دعيت الخلية الجذعية **بالخلية الإله** .. لأنه كما الله تعالى قادر على خلق كل شيء .. هذه الخلايا قادرة على خلق أي نموذج خلوي آخر ..

● برهان : أي كما ينفخ الله من روحه في الكائنات .. تنفخ الخلية الجذعية من روحها في الخلايا التالفة أيا كان نوعها فتحييها من جديد بعد موتها كقيامة حقيقية لها..

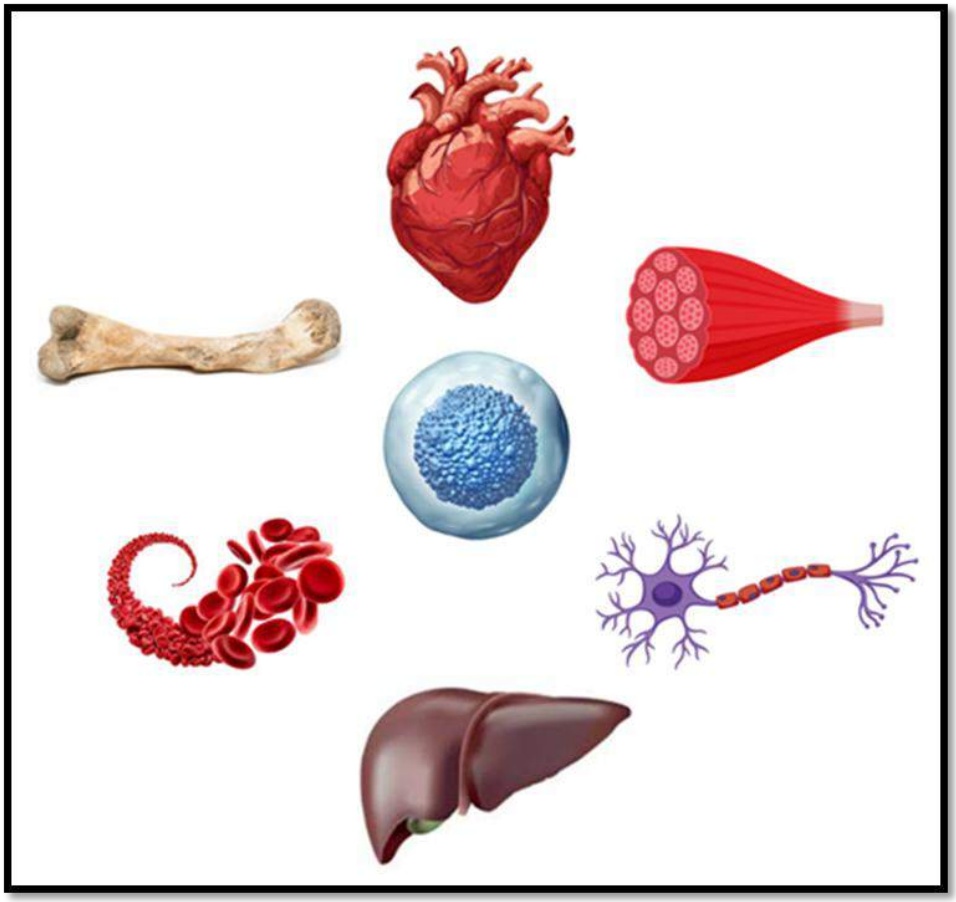

○ غالية: بالضبط بروفيسور .. تشبيه دقيق و ملائم ..

● برهان : لقد قرأت أن لهذه الخلايا عدة أنواع و ليس نوعاً واحداً .. صحيح ؟

○ غالية: بالفعل هنالك **4** أنواع للخلايا الجذعية:

❁ **الخلايا الجذعية مكتملة القدرة** و هي تتمايز إلى أي نمط خلوي ..

❁ **الخلايا الجذعية متعددة القدرات** و هي تتمايز إلى أنماط خلوية عديدة..

❁ **الخلايا الجذعية محدودة القدرات** و هي تتمايز إلى أنماط خلوية قليلة ..

❁ **الخلايا الجذعية وحيدة القدرة** و هي تتمايز إلى نمط خلوي وحيد ..

● برهان : مذهل إنه كالتسلسل الإداري في الدولة .. أو كالتسلسل الروحي من إله إلى أنبياء إلى قديسين إلى أولياء صالحين ثم إلى عامة الناس .. و الله هو الخلية الجذعية كاملة القدرة كبذرة تنشأ منها شجرة الحياة و ثمارها نحن البشر ..

○ غالية : تشبيه بليغ بدوره و فريد من نوعه .. صدقت .. فالخلية الجذعية لم تسمَّ الخلية الإله عن عبث ..

● برهان : و متى سأبدأ بالتعافي و التحسن ..؟

○ غالية: ستلاحظ بدايات التحسن بعد فترة قصيرة .. لكن الوقت المقدر لتراجع الأعراض من الرجفان و الصمل العضلي تماماً هو أشهر إلى سنوات قليلة في أسوأ الحالات .. لكن لا تقلق بروفيسور .. فقد أثبتت التجارب أن مرض باركنسون من أكثر الأمراض المستجيبة للعلاج بالخلايا الجذعية .. فهو بالنهاية ضمور الخلايا الدوبامينية في النوى القاعدية للدماغ و الخلايا الجذعية

ستعوضها بالكامل .. لتعود النوى القاعدية لعملها الطبيعي ..

● برهان مبتسماً بصعوبة بسبب تجمد وجهه على خلفية المرض : من سخرية القدر أن العادة السلبية الوحيدة في حياتي و هي التدخين يقال عنها – بحسب ما قرأت - أن لها فائدة إيجابية وحيدة و هي الوقاية من مرض باركنسون .. لكنني خالفت جميع التوقعات و أصبت به .. على كل حال أثق بك و بكلامك حضرة الطبيبة ..

○ غالية مبتسمة : لكن الحظ إلى جانبك بروفيسور .. فالعلم تطور كثيراً و بات هنالك علاج نهائي لمرض باركنسون .. تذكر فقط أن ملايين الناس عانوا من المرض و تبعاته لعقود دون علاج و منهم مشاهير تعرفهم كالبابا **يوحنا الثاني** و بطل الملاكمة **محمد علي كلاي** و الرئيس الأمريكي **هاري ترومان** و الفنان الكبير الرسام **سلفادور دالي** .. و غيرهم كثيرون وضع المرض عائقاً كبيراً أمام تنفيذ مهامهم بكفاءة ..

● برهان : معك حق .. الحمد لله على كل حال و سبحان الله على هذا الجسد البشري المذهل ، فالعلماء لا ينفكون يدهشوننا باكتشافاتهم الجديدة و الغريبة عنه

○ غالية : و نعم بالله .. مستعد بروفيسور للبداية ..

● برهان : على بركة الله لنبدأ العلاج ..

العودة إلى مصر ...

بعد أيام قليلة من العلاج بدأت أعراض البروفيسور بالتحسن و بعد **6** أشهر زالت بالكامل .. ليعود إلى حياته الطبيعية من جديد .. مفعماً بالنشاط و الطاقة .. و قرر تأليف كتاب يروي فيه تجربته مع المرض و شفاءه منه .. داعياً الناس من خلاله إلى النضال في حياتهم و عدم الاستسلام أبداً .. من قال أنّ زمن المعجزات قد ولى .. المعجزات لا تموت بوجود الحيّ الذي لا يموت ، اصمد و قاتل و توكل على الله..

نجح الكتاب نجاحا منقطع النظير بحكم جودته و عمقه أفكاره و بحكم شهرة البروفيسور المسبقة .. و بيعت منه في العالم العربي ملايين النسخ .. و استطاع من خلاله البروفيسور إعادة مبلغ **250** الف دولار الذي منحه إياه السيد عبد الله بسهولة .. و شكره جزيل الشكر على كل شيء قدمه له ..

كان مرض جد ماريا الشديد ثم شفاؤه السحري منه دافعاً قويا لها لدراسة الطب بعد تخرجها من الثانوية العامة بتفوق ..

و كانت آخر عبارة في كتاب البروفيسور الجديد الذي اختار عنوانه (**الخلية الإله**) :

[و هكذا كانت الخلية الجذعية الإله تجسيدا حرفياً

للآية القرآنية الكريمة :

[(و إذا مرضت فهو يشفين)]

*****

في هذه القصة القصيرة تطرقنا لعدة نقاط متفرقة كالتوحيد عند الفراعنة القدماء ، و انتصار الكارما على الدوام ، و أنّ الدنيا لم تخلُ من الأوفياء بعد ، و أن الحياة كي تستمر بحاجة للتسامح و الغفران ، و أخيراً تحدثنا عن الخلايا الجذعية المذهلة كجزء بسيط من الجسد البشري الأعظم ، تحفة الرحمن الأجمل في خلقه .. و هذا بالضبط هو جوهر مغالطتنا الجديدة (**امبراطورية الجسد**).



والتي سنحاول من خلالها إعادة الهيبة للجسد البشري المذهل ، بعد أن اعتاد عليه البشر لامتلاكهم إياه و تكراره بالمليارات حول العالم فتغافلوا عن إعجازه ، حتى غدوا

يمجّدون روبوتاً صغيراً صنعوه بأجسادهم نفسها و نسوا الآلة الأعظم المعقدة و المتكاملة بلا غلطة التي صنعها الخالق و التي صنعت هذا الروبوت .. و سننجز ذلك عبر إلقاء الضوء على تحفة الرحمن هذه من زوايا مختلفة ، فهيا بنا عزيزي القارئ نتجول قليلاً في معرض الجسد البشري المعجز و نتأمل إبداعاته..

① **دولة الجسد** : من أعظم المعجزات في خلق الإنسان أنه بجسده يختزل بلاداً بحالها ، فتركيبة الجسد البشري أشبه بتركيب حكومات الدول و فيه من كل الوزارات التي تخطر ببالك ، فمثلاً :

- **رئيس الجمهورية** : هو الدماغ الذي يحكم الجسد كله
- **وزارة الدفاع** : الجهاز المناعي لا سيما الأضداد و الكريات البيض الذي يحمي الجسم من الأعداء الخارجيين من ميكروبات و سرطانات ..
- **وزارة الخارجية** : الحواس الخمسة التي يتواصل بها الجسد مع الأجساد الأخرى و المحيط بشكل عام ..
- **وزارة الداخلية** : الغدد الصم التي تضبط سير أداء وظائف الجسد كله ..
- **وزارة الأوقاف** : الأنا العليا للنفس البشرية التي تعنى بالغيبيات و الأخلاق ..
- **وزارة الاقتصاد**: الجهاز التنفسي و الهضمي و البولي

، الذين يحددون ما يدخل و يخرج إلى ميزانية الجسد من غذاء و هواء و هما عصب الاقتصاد في الجسد ..

و قس على ذلك ، فستجد أن كل جهاز أو عضو في الجسد يمثل وزارة مستقلة بتوجه واضح و محدد ..



ليس ذلك فحسب ، بل إن تركيب الجسد أشبه بدولة فدرالية ، عاصمتها هي الدماغ ، و كل جهاز من أجهزة الجسم له إدارته الذاتية و قوانينه الخاصة ، لكن الجميع يبقى تحت سلطة العاصمة (الدماغ) .. و ضمن كل جهاز مدن خاصة به (الأعضاء) التي تتكامل لتحقيق غايات الجهاز و وظائفه ، كما تتكامل الأجهزة معاً بما فيه خير الجسد كله و ازدهاره ..

و الجسد يخضع لكل ما تخضع له الدول أيضاً ، فهو يزدهر أحياناً و يمرض أحياناً أخرى ، يتعرض لانقلابات (أمراض المناعة الذاتية التي يهاجم فيها الجسد بعضه)

، و لاجتياحات (الإنتانات و السرطانات) ، و أي مشكلة في أي جهاز فيه ستنعكس على الجسد بأكمله ، لذا يستنفر بكليته لحلها ..و هكذا .. دولة كاملة متكاملة في هذا الجسد البشري الصغير !!

② **الأجيال المتعاقبة** : الجسد البشري بتكوينه يشبه مسار البشرية ككل على سطح الكوكب أيضاً ، فكما أنّ الأجيال تتعاقب عليه بحيث أنّ كل جيل ينجز مهمته على الأرض ثم ينقضي تاركاً المجال لجيل جديد كي يخلفه ، كذلك حال خلايا الجسد البشري ، كل جيل من الخلايا يخدم الجسد و يطوره و يحافظ على بقائه حياً و قوياً ، ثم يموت هذا الجيل من الخلايا ليحل محله جيل جديد يتابع مسيرته ، كما يحدث في خلايا الجلد و بطانة الجهاز الهضمي ، و خلايا الدم و غيرها التي تتجدد جذرياً باستمرار كل فترة قليلة من الزمن .. و كما أن أجساد الأجيال التي سبقتنا شكلت أديم الأرض التي نعيش فوقها ، كذلك خلايا الأجيال السابقة للجسد البشري تشكل الهواء الذي يحيط بنا ، فأغلب جزيئات الغبار من حولنا هي مجرد خلايا بشرية متوسفة !!

③ **الدماغ الكوني** : في تجربة علمية مذهلة تفجّر العقل حرفياً ، قام كل من **فرانكو فازا** عالم الفيزياء الفلكية في جامعة بولونيا الإيطالية ، و **ألبرتو فيليتي** جراح الأعصاب في جامعة فيرونا الإيطالية بإجراء مقارنة بين

الشبكة الكونية و الشبكة العصبية في الدماغ ، لتظهر لهما أوجه تشابه مفاجئة كثيرة بينهما ..

❁ الدماغ البشري يعمل بفضل شبكته العصبية الواسعة التي تحتوي على ما يقارب **100** مليار خلية عصبية، كذلك الأمر يتكون الكون المرئي من شبكة كونية من **100** مليار مجرة على الأقل ..

❁ داخل كال النظامين تتكون **% 30** فقط من كتلة الشبكتين من مجرات خلايا عصبية، في حين يتكون **% 70** من توزيع الكتلة من مكونات تلعب على ما يبدو دوراً سلبياً (الماء في الدماغ والمادة المظلمة في الكون المرئي)..

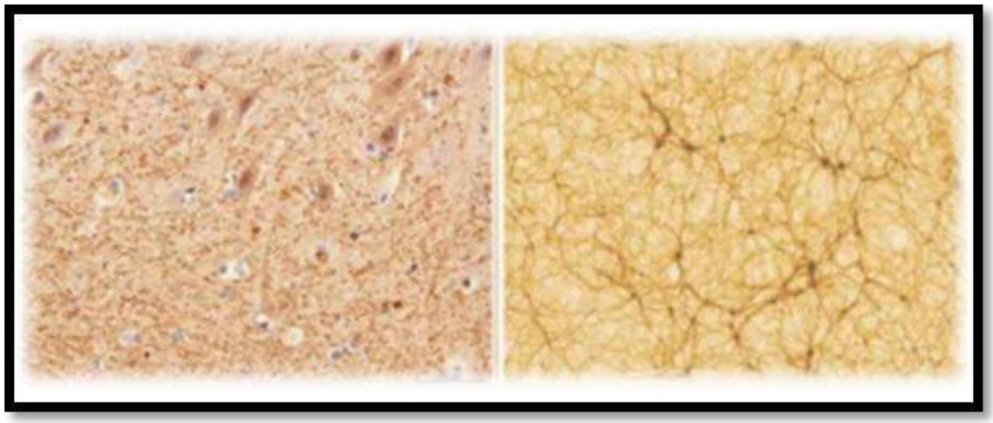

❁ ليس ذلك فحسب بل إنّ تراتب المجرات و الخلايا العصبية هو نفسه في الشبكتين ، عبارة عن خيوط طويلة مع عقد بين الخيوط ..

❁ أخيراً تبين أن الكثافة الطيفية متشابهة بين الشبكتين . و كأنّ الكون برمته عبارة عن دماغ عملاق بحد ذاته أو

أن الدماغ البشري يختزل الكون كله في تلافيفه !!

مما يذكرنا بالبيت الشعري الأيقوني للإمام **علي بن أبي طالب** و هو يخاطب الإنسان فيقول :

و تزعم أنك جرم صغير

و فيك انطوى العالم الأكبر

④ **بين المهد و اللحد** : من أوجه التشابه الأخرى بين الإنسان و الكون أنّ الإنسان يأتي إلى هذه الحياة ضمن حجرة مغلقة ضيقة (**الرحم**) عارياً لا يحمل معه أي شيء ، و يغادر الحياة كما أتاها في حجرة مغلقة ضيقة أخرى (**القبر**) عارياً لا يحمل معه شيئاً مجدداً ، كذلك الكون برمته بدأ من نقطة مفرطة الصغر و سيعود إلى نفس الهيئة مع انتهاء الحياة، كما وصف البارئ ذلك بالقول :

(**كما بدأنا أول خلقٍ نعيده**)



⑤ **أنت قارعت الملايين و انتصرت** : تذكر عزيزي القارئ قبل الحديث عن جسدك البشري المعجزة بالأساس ، أنك حتى قبل أن تتكون كجسد قد خضت معركة ضروس للظفر بالملكة و صارعت فيها ملايين غيرك و انتصرت عليهم جميعاً ، و الشاهد على ذلك هو وجودك حياً الآن ، فأنت ببساطة بدأت من نطفة دخلت في معركة مع ملايين النطاف من أجل تلقيح البويضة الأنثوية و انتصرت عليهم جميعاً .. و لو أن أي نطفة أخرى هزمتك وحلت مكانك لما وجدت أنت كما أنت بالأساس .. لذا ارفع رأسك و اعتد بنفسك أيها المحارب المتوّج المغوار ، فأنت تستحق وجودك في الحياة ، إذ أنك صارعت حرفياً كي تأخذ مكانك بين بقية البشر على سطح الكوكب !!

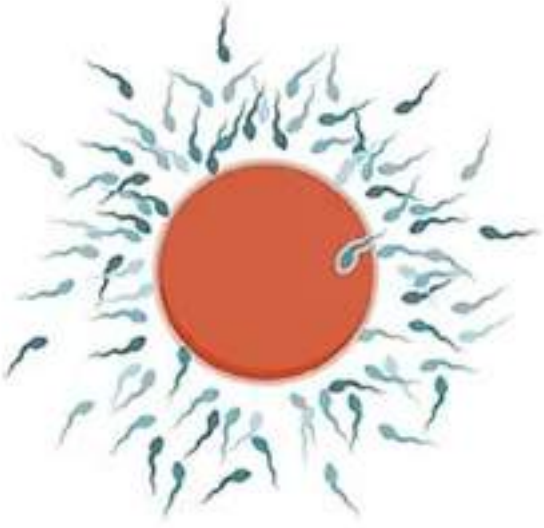

⑥ **الآلة الأعظم في الكون** : لا توجد آلة أو حتى مخلوق في الكون ينافس الجسد البشري في عظمة

إمكانياته من حيث الوعي و القدرة على التفكير و التخطيط و التنفيذ ، من حيث القدرة على التعلم و تعليم الآخرين .. من حيث القدرة على التطور باستمرار ، و حمل إرث الأجداد و نقله إلى الأحفاد .. و كل ذلك بفضل جسد متنوع الأعضاء و الأجهزة بتخصصات تشمل كل شيء من (التعلم و التفكير و التخطيط و التنفيذ) فتمكنه من الاكتشاف و الاختراع و ترويض كل شيء حرفياً من كائنات حية و جماد لخدمة الإنسان ، لذلك نجده قد بلغ أعماق المحيطات و قمم الجبال و اقتحم الفضاء ليرصد أجراماً في حدود هذا الكون الشاسع ، و لا يمكن لغير الإنسان أن يحقق ذلك .. و هذا إن دلّ على شيء فيدل على إعجاز خلق الجسم البشري من جهة ، و على تكريم الله لبني آدم من جهة أخرى ، إذ جعل الكون برمته مسخّراً بين يديه ..



⑦ **بصمة لا تتكرر** : كما أن بصمات الأصابع لا يمكن أن تتشابه بين إنسان و آخر ، كذلك الأجساد البشرية ككل لا يمكن أن تتشابه تماماً بين الناس و حتى بين التوائم المتطابقة ، فإن كان هنالك تطابق في الهيئة الخارجية ، فإن ما يدور داخل الأجساد حكاية أخرى تماماً كبصمة فريدة لا تتشابه و لو بنسبة **1** بالمليار بين البشر .. فكل جسد يعمل وفق البيانات التي تدخل إليه من المحيط و التي تختلف جذرياً من إنسان لآخر ، ليكون كل جسد بشري بصمة فارقة في هذه الحياة رغم وجود مليارات الأجساد على سطح الكوكب ..



⑧ **ما وراء الجسد** : الجسد البشري ليس مجرد آلة فيزيائية إعجازية تعمل .. بل الأكثر إعجازاً أن هنالك لائحة طويلة من الماورائيات تقترن بهذه الآلة و لا يشاركها أي مخلوق بذلك ، من **الوعي** إلى **النفس البشرية** و غياهبها مروراً **بالأحلام** ثم **الخيال** و بالطبع **الروح** و أيضاً **المشاعر الإنسانية** المتنوعة و أخيراً

القدرات الخارقة للطبيعة لبعض البشر من استبصار و قراءة أفكار و غيرها .. و كل ذلك ينطوي تحت جناحي الجسد البشري أيضاً ..

⑨ **داخل هذه الآلة مليارات المصانع** : إذا انتقلنا قليلاً من البنية العامة للجسد البشري إلى البنية الجزيئية فيه ، فسنرى العجائب التي لا يمكن للعقل أن يستوعبها ، **فالخلية** عبارة عن مصنع حقيقي لإنتاج و استخدام عشرات المواد المتنوعة من **بروتينات و سكريات و دسم و فيتامينات و شوارد و حموض نووية DNA**..



و في كل ثانية يتم إنجاز عدد مهول من العمليات الحيوية في خلايا الجسد ، من ترجمة جينات الحمض النووي **DNA** إلى صنع البروتينات ، أو استقلاب السكريات و الدسم ، أو التفاعلات الحيوية الكثيرة و المعقدة بتواسط الأنزيمات و الفيتامينات و الشوارد، إلى نقل الوسائط في الدم ثم تفاعلها مع مستقبلاتها في الخلايا كي تؤثر عليها ، و غيرها العشرات من العمليات الحيوية المتنوعة التي تنجَز مليارات المرات كل ثانية داخل الجسد البشري .. و إذا قارنا هذا التعقيد الحيوي بأعقد روبوت مخترع سيبدو هذا الروبوت كدمية قش يلهو بها طفل صغير.. و

الأكثر إعجازاً في كل هذا المصنع ، أنه يتم بدون أي خطأ رغم حدوث زليارات العمليات يومياً فيه ، و إن حدث خطأ ما يتم تصحيحه آنياً بفضل وجود أنظمة إصلاح متخصصة مذهلة لكل عملية منها ، و تخيل أن هذه الأمور تستمر معك مدى الحياة حتى آخر نفس لك ..

⑩ **الجسد البشري من زاوية أخرى** : إلى جانب أجهزة الجسد المتنوعة التي تتكامل لتحقيق مصلحة الجسد ككل ، فإن هنالك أسراراً دفينة في الجسد تفجر العقل حرفياً، **كالخلايا الجذعية** (الخلية الإله) التي تحدثنا عنها في مطلع مغالطتنا ، و **التعديل الجيني** لجينات الإنسان الذي قد يشفي من أمراض أو يمنح قدرات خارقة كأبطال مارفل المشهورين أو أكثر كما هو متوقع.. و هنالك أيضاً الدراسات الواعدة **لتهكير العقل البشري** و معرفة خفاياه كلها مما يمكننا مستقبلاً من الاستفادة القصوى من إمكانياته غير المحدودة ..

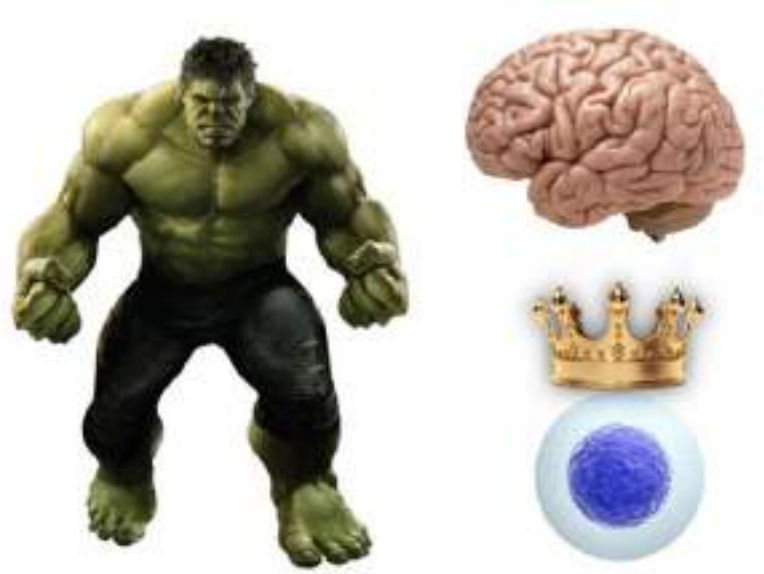

و القائمة تطول للغاية ، فالجسد البشري أشبه بلغز معقد ، كلما حل الإنسان بعض شفراته ظهرت شفرات جديدة أعقد و أغرب .. لذا لا عجب أن نقول أن أسرار الكونين الأكبر و الأصغر مشفرة داخل هذا الجسد المظلوم من أقرب الناس إليه ألا و هو حامل الجسد نفسه (الإنسان)

باختصار يمكن القول أن الله تعالى جعل من الجسد البشري تحفته العظمى التي زين بها الكون و منحها القدرات الكافية لاكتشاف هذا الكون و ترويضه ..

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**امبراطورية الجسد**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الجسد البشري موضة قديمة ، فهنالك المليارات منه .. انظر إلى هذا الروبوت المتطور لا توجد منه أي نسخة أخرى في العالم !!

بل أن نقول :

= من الظلم الكبير أن نجحف بحق الجسد البشري فقط لأنه موجود بكثرة و نمتلكه بالمجان ما أن نمنح فرصة الحياة على الكوكب .. فالجسد البشري معجزة ربانية .. إنه تحفة الرحمن التي لا مثيل لها في الكون ، التي كرمها الله و سخر كل شيء حرفياً لخدمتها ..

في الرواية الأيقونية (**الخيميائي**) للأديب الكبير باولو كويلو .. يحلم الراعي الشاب سانتياغو و هو نائم في مكان مهجور بكنز ضخم ينتظره و سيغير حياته جذرياً نحو الأفضل.. ليبدأ رحلة البحث عن الكنز من إسبانيا إلى المغرب انتهاءً بمصر .. ليكتشف في نهاية الرواية أن الكنز مدفون في المكان المهجور الذي حلم به أول مرة .. و هذا حال الإنسان سيبذل قصارى جهده من طاقة و وقت و مال كي يطور أفضل آلة عرفها الكون ، لكنه سيكتشف في نهاية الحكاية أن أعظم آلة في الكون كانت موجودة معه في كل لحظة .. إنه جسده البشري المعجزة .. لذا الأجدر بالبشر اكتشاف هذه الآلة أكثر لا السعي لتطوير آلات أخرى أقل شأناً منها بكثير !!



مغالطة النصيحة بجمل

(المرآة السحرية لا تكذب)

يروى أن رجلاً ضاقت به الحياة كثيراً فترك بلده و عائلته وخرج يبحث عن عمل في مكان آخر.. وبعد سنوات منالعمل الجاد ، تمكن من جمع مال وفير و شراء 3 جمال ثم أراد بعد تحقيق طموحه أن يعود إلى بيته و عائلته التي افتقدها بشدة .. في طريق العودة صادف رجلاً عجوزاً وقوراً شاركه المسير لمسافة من الطريق ، و خلال سيرهما معاً وجد فيه صديقنا حكمةً ورأياً سديداً فقال له :

(يا عماه أريد نصائح منك تعينني في نوائب حياتي و تجنبني المشقات و الخطر)

فقال له العجوز:

(بالطبع لكن النصيحة بجمل، أي مقابل كل نصيحة لك تهبني جملاً من جمالك)



وافق الرجل دون تردد فقال له العجوز :

(النصيحة الأولى ، لا تنم بين اثنين، و النصيحة

الثانية ، لا تبت في بطن الوادي، أما النصيحة الثالثة ، فنم حزيناً و لا تنم نادماً)

أعطى الرجل الجمال للعجوز ومضى في طريقه يفكر بنصائحه الغريبة ، حتى التقى رجلين قرب شجرة على قارعة طريقه فألقى عليهما التحية و جلس معهما بعد أن قرر أن يبيت ليلته تحت تلك الشجرة حتى الصباح التالي، ولما خيم الليل قالوا له تعال نم هنا بيننا فذلك أمان أكثر لك ، وكانا في الحقيقة يخططان لقتله وأخذ ماله، فتذكر نصيحة العجوز الأولى و رفض طلبهما متذرعاً بأول حجة خطرت في باله، و لأنه نام بعيداً عنهما لم يتمكنا من قتله و نجا ..

و في اليوم التالي أكمل رحلة العودة حتى وصل إلى أناس ينصبون خيامهم في قلب وادٍ، فقالوا له بعد أن حلّ الليل، بت هنا حتى الصباح فذلك أمان أكثر لك، لكنه تذكر مجدداً نصيحة العجوز الثانية فرفض و نام في مغارةٍ أعلى الجبل، و في تلك الليلة هطلت أمطار شديدة تحولت إلى سيول جرفت الخيام في الوادي و قتلت كثيرين لكنه لم يصب بأي أذى في كهفه الحصين

ثم تابع مسيره حتى وصل إلى بيته ليلاً و قد أنهكه التعب و الاشتياق ، لكنه فوجئ بشاب ينام في فراشه بجوار زوجته، فتملكه الغضب و أوشك على الدخول عليهما وقتلهما بسبب تلك الخيانة البشعة، لكن نصيحة العجوز الثالثة منعته.. انتظر حتى الصباح، وإذا بالنائم في الفراش

هو ابنه، وقد أصبح شاباً و قد نام بجوار أمه لأنها مريضة ، و بذلك أنقذته بالفعل نصائح العجوز الحكيم الثالثة من الموت في مناسبتين و من قتل عائلته في مناسبة ثالثة ..

بعد فترة اضطر الأب لمغادرة منزله فأوصى ولده أن ينتبه للأغنام و ألا ينشغل عنها، لكن ابنه تجاهل وصيته و نصيحته و غادر المنزل بدوره ليعود و يجد أنّ الذئب أكل عدة خراف لانشغاله عنها، و عندما عاد أبوه إلى البيت و سمع ما حدث ، قال لابنه بدهشة و حزن :

(لقد كانت النصيحة بجمل و قبلتها ، أما أنت فرفضت نصيحة مجانية يا بني !!)

و من وقتها أصبحت عبارة (كانت النصيحة بجمل) ، شائعة بيننا و نستخدمها كمحاولة لإقناع من نحب باتباع نصائحنا المجانية التي نعي تماماً أنها ستوفر عليهم مصائباً و صعاباً جمة ..

*****

النصيحة بجمل ..

جملة نتداولها باستمرار إيماناً ضمنياً عميقاً منا بأهمية المشورة و النصيحة من الآخرين لا سيما أهل الاختصاص منهم .. رغم أن كثيراً من البشر يحجمون عنها بعناد و تكبر و غرور ، بحجة أنهم أدرى بمصلحتهم ، ليتحملوا النتائج السلبية بأنفسهم فيتعلموا من تجاربهم الشخصية في مغالطة شائعة بين البشر و مؤلمة و مؤسفة

للغاية .. و كي نفهم حجم و خطورة هذه المغالطة ، تعال عزيزي القارئ لنتعرف أكثر على الفوائد الذهبية الخمسة للشورى و النصيحة و التي أعتقد - من وجهة نظري المتواضعة - أن علينا تذكرها للأهمية طوال حياتنا ففيها منجاة لنا من السقوط ، الضرر ، الضياع و الخسائر الجمة .. لكن قبل الشروع بذلك لابدّ من التنويه إلى نقطة هامة للغاية على بساطتها و هي أننا و منذ نعومة أظفارنا نتجنب كوارث حقيقية في حيواتنا اعتماداً على نصائح المحيط حولنا من آباء أو أخوة أو كبار السن أو الأصدقاء أو غيرهم ، بدءاً من تلافي عبور الشارع بينما السيارات تمر ، مروراً بتجنب التعامل غير الحذر مع الكهرباء ... و هكذا انتهاءً بالقرارات المصيرية التي شكلت مفاصل وانعطافات هامة في مسيرتنا .. لكننا للأسف و متى اشتد عودنا قليلاً ، ننكفئ عن سماع تلك النصائح و الإرشادات و يبدأ الجزر و الانحسار يسيطران على قبولنا أكثر لها لنكتفي بتجاربنا القليلة و معلوماتنا الشحيحة كمنبع لقرارات ذاتية كثيراً ما تكون قاصرة أو حتى خاطئة تكلفنا أثماناً باهظة قد تصل لدرجة خسارة حياتنا نفسها أحياناً ، متغافلين عن فطرتنا الأولى و الدروس البديهية و الهامة التي تشبعنا بها بتواضع و إقرار بالضعف صغاراً ثم أهملناها بتكبر كباراً ..

و الآن لننتقل إلى تحليل **خماسي الشورى الذهبي** الهام للغاية بالترتيب ..

① رؤية عيوبك التي تجهلها و يراها الآخرون فيك :

ففي الحقيقة كل إنسان منا يعجز عن إدراك عيوبه الذاتية على عكس عيوب الآخرين التي يتفنن في عدها و تشريحها و فحصها الدقيق تحت مجهر النقد و التقريع و التنظير .. و لهذا السبب بالتحديد أو كما يقال (داوني بالتي كانت هي الداء) يمكننا التعرف على نقائصنا من عيون الآخرين الذين ينتهجون ذات الدرب فيرون عيوبنا بوضوح و شفافية .. و خير من لخص هذه النقطة بعبقرية هو **ناصح الدين الأرجاني** بأبياته الأيقونية التالية التي تؤكد على أن له من اسمه نصيب كبير :

شاور سواك إذا نابتك نائبة

و إن كنت من أهل المشوراتِ

فالعين تبصر منها ما دنا و نأى

و لا ترى نفسها إلا بمرآة



فالإنسان لا يرى عيوبه إلا في مرآة نقد الآخرين له بالضبط و ما أشبهها بمرآة سحرية ترى فيها مستقبلك مع كل ما قد تمر به من أزمات فتتمكن من تغييره و تجنب كوارث الحياة الكامنة في أعماقك بجهلك لنفسك أو قصور معرفتك و قلة خبرتك !!.. و في الفيزياء ما يحاكي هذه الأبيات تماماً عندما نجد أن بعض النتائج تكون خاطئة بالاعتماد على جملة مقارنة داخلية ، و تتصحح على الفور متى ما اعتمدنا على جملة مقارنة خارجية ترى الأحداث بتجرد و حياد و منطقية كذلك الحال نجد المقولة الشهيرة التالية التي تعد تكملة لهذه الأبيات و التي تؤكد على ضرورة إصغاء الإنسان لملاحظات الآخرين على سلوكه كي يطور ما هو إيجابي فيه و يصحح و يتلافى السلبي منه بعد تحديد مكان الخلل فيه بدقة بالاستعانة بمرآة الغير و التي تقول :

(رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي)

فهل هنالك أصدق و أنبل من شخص يشير بسبابته إلى مواطن الضعف في حياتك معبداً الدرب لك كي تصححها و تتلافاها بدلاً من السير أعمى البصيرة عنها فتقع في الشراك التي تحيكها لك في الخفاء دون أن تدري ؟!

و لهذا السبب بالتحديد نجد الإمام **جعفر الصادق** أستاذ الأئمة و المنبع لما تلاه من مذاهب يقول :

(لا يزال الإنسان بخير ما كان له : توفيق من الله

عز و جل، و واعظ من نفسه، و قبول ممن ينصحه)

فنصائح الآخرين لنا لا غنى عنها كي نبقى بخير و نتجنب النوائب و المصائب في حيواتنا أو نحسن تدبيرها إن وقعت في أسوأ الحالات ..

② **تبادل المعلومات التي تنقصنا مع الآخرين فنملأ الفراغات الثقافية و المعرفية في عقولنا :**

و ننطلق في تحليل هذه النقطة من المقولة الفلسفية المذهلة للإمام **علي بن أبي طالب** :

(من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها)

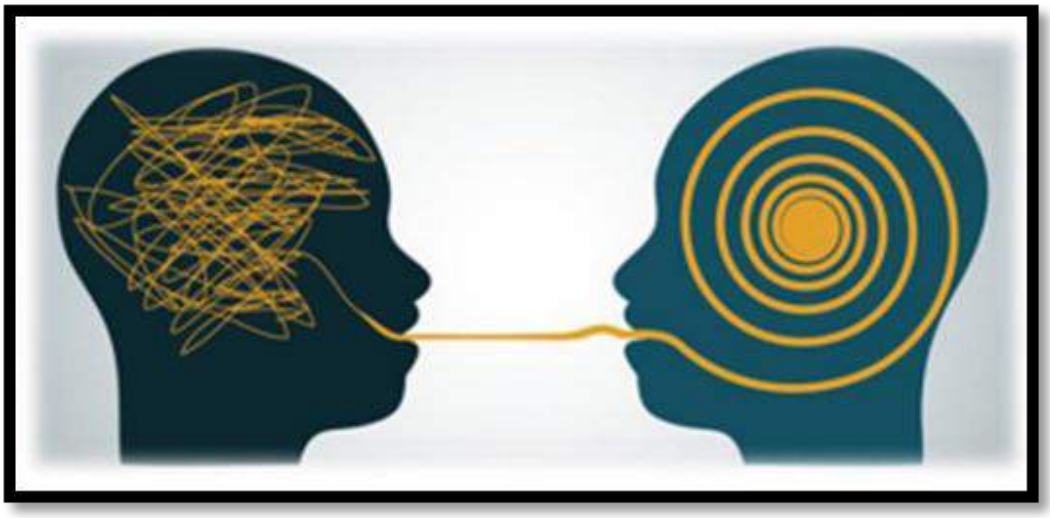

فالنقاش البناء الإيجابي بين البشر هو خير رحم لتشارك الخبرات و التجارب و المعارف كي تولد منه أفكار جديدة

و دروس و عبر لا تنتهي، بحيث يغدو الإنسان حاملاً لأكثر من عقل في رأسه ، عقله الشخصي و عقول من يحاورهم فتتكامل المعلومات و الخبرات لنحرق مراحل كثيرة على درب التعلم و التطور فنستفيد من أخطاء الآخرين و تجاربهم دون أن نضطر إلى الوقوع فيها بأنفسنا كي نتعلم من أخطائنا الشخصية و كما قال الإمام **علي** أيضا:

(العاقل من اتعظ بغيره أما الجاهل فهو من اتعظ بنفسه)

③ **إيجاد الحلول لمشاكلنا** :

فلا تدري عزيز القارئ ، ربما تسمع جملة واحدة جديدة من شخص ما توحي لك بحلول خلاقة لمشاكلك بعد أن استنفذت حلولك و خلت مشكلتك بلا حل فيئست ، و لأهمية النصيحة في حياتنا نجد القرآن الكريم يحث على استشارة الأخرين لا سيما أهل الاختصاص في مشاكلنا كي نخرج بحلول منطقية لها فيقول واصفاً المؤمنين :

(و أمرهم شورى بينهم)

أي ألا يستبد المؤمن برأيه فيهلك ، حتى أننا نجد رسول الرحمة محمد يستشير أصحابه في مناسبات كثيرة و هو متلقي الوحي من السماء مباشرةً و لا يحتاج النصيحة من

أحد ، كي يعلمنا النهج الصحيح في إدارة مشاكل الحياة عبر تقبل النصيحة .. و تجدر الإشارة هنا إلى أن الاستخارة بحد ذاتها هي أقوى وسائل الشورى .. فهي طلب المشورة من خالق الكون بنفسه الذي يعلم كل شيء ، يعرف مصلحتنا أكثر منا و لا يردنا خائبين أبداً

④ النقد خير حارس و عاصم لنا من الوقوع في الزلات و الخطأ :

قال أحد الحكماء ذات يوم :

(إذا أردت للسائقين ألا يقودوا بسرعة و تهور فتخلّ عن المخالفات و ضع منجلاً خلف أعناقهم)

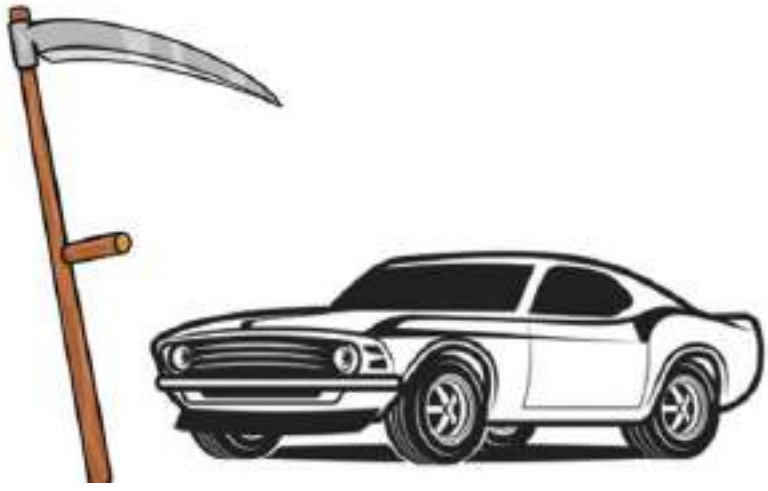

و منجل النقد يجبرنا على استخدام الفرامل بكثرة في حيواتنا و التأني في اتخاذ القرارات و الأعمال التي ننجزها تجنباً للملامة و التقريع من قبل الآخرين سواء

من باب محبة أومن منطلق تنظير أو حتى صيد في المياه العكرة كمحاولة لتشويه سمعتنا أو تدمير نجاحاتنا ..

⑤ تشرب حكمة الشيوخ و من كشف عنهم جزء من الحجاب :

فالقاعدة العامة في الحياة هي أنه كلما تقدم الإنسان في العمر زادت تجاربه ، تفاقمت حكمته و تعاظمت معرفته و بالتالي نجد فيه خير واعظ و ناصح لنا في ملماتنا ..

و كم هي وسيلة مجانية نبيلة أغدق الله الرحيم بها علينا بانتقال الحكمة من جيل لآخر عبر بضعة كلمات تخرج ببساطة و مجاناً من الأفواه فلا ترهقنا بسعي مجهد لبلوغها أو تجبرنا على خسائر مادية مقابلها ، و للأسف بعد كل هذا نجد البعض يتكبرون على طلبها و يعرضون بوجوههم الشابة عن تلك الوجوه التي نقشت عليها السنون تجاعيد الحكمة و الخبرة على نقيض ما فعله صديقنا في مطلع مغالطتنا عندما اشترى نصائح العجوز الحكيم بجماله كلها !!



و من تجربتي الشخصية ، شاهدت ذات مرة فيديو طريف و معبر للغاية يتحدث عن قيمة النصيحة و عاقبة رفضها الوخيمة يمكن إيجازها بالحوار التالي بين صديقين :

- لماذا أنت متأنق هكذا يا نسيم ؟
  - لدي مقابلة عمل هامة قد تغير حياتي جذرياً يا صديقي
- خبر رائع يثلج الصدر .. لكن أرى من واجبي أن أنصحك بتخفيف القاء دعاباتك المعتادة خلال المقابلة ، فهذه خصلة إيجابية في بعض المواقف لكنها لا تليق بمثل هكذا مناسبة ..
  - أخالفك الرأي بشدة يا نصوح .. خفة الدم تجعل مني شخصية جذابة محببة للقلوب و ستزيد من فرصي في الحصول على الوظيفة .. أنا أدرى بنفسي ..
- هذا شأنك .. قيل قديماً أنّ النصيحة كانت بجمل ، و أنت الآن ترفض النصائح المجانية .. أمرك غريب!

سارت مقابلة العمل على نحو مثالي واعد حتى ختمها مدير الشركة بالقول ..

- أظن أنك سيد نسيم أكثر شخص مناسب بين من التقيتهم للحصول على الوظيفة .. شركتي **ABC** بحاجة لخبرات أمثالك بلا شك..

تفاءل نسيم و ابتهج بالكلام للغاية فقال ضاحكاً يخال نفسه يفيد المدير و يسعده برأيه ..

○ هذا يسرني سيدي .. لا أخفيك سراً أنّ اسم الشركة أثار حفيظتي في بادئ الأمر ، فهو أقرب إلى اسم روضة أطفال يتعلمون هجاء الحروف .. على خلاف توجهها الجدي الهام على أرفع المستويات و أعتقد أنّه من الأنسب تغيير الاسم إلى اسم يليق بهيبتها أكثر..

تغيرت ملامح المدير و أسلوبه اللطيف جذرياً بعد الدعابة الأخيرة ، ثم قال ببرود و امتعاض ..

● على كل حال سنتصل بك في حال رست المقابلة عليك بشكل حاسم .. لقاؤنا انتهى سيد نسيم ..



خرج نسيم من مكتب المدير جاراً ذيول الخيبة و قد أدرك أن دعابته الأخيرة أفقدته ثقة المدير و الوظيفة على حد سواء في غمضة عين .. إن صديقه نصوح كان على حق .. و لو أنه أصغى لكلامه لوفر على نفسه إضاعة هذه الفرصة التي يصعب تكرارها .. لقد أهلكه التشبث برأيه

و قناعاته و الإحجام عن نصائح الآخرين ممن يحبونه و يريدون مصلحته ال غير ..

و لا يساورني الشك على الإطلاق بأننا جميعاً مررنا بتجربة صديقنا نسيم بشكل أو بآخر ، عندما نصحنا أحدهم بالقيام بأمر ما أو تجنب أمر ِآخر ، فلم نصغ له و تشبثنا بآرائنا بغرور و عناد حتى دفعنا الثمن بأنفسنا .. ليصدق المثل الشعبي الشهير : (**لا أحد يتعلم إلا من تجربته الشخصية**) ..

و للنصيحة آداب ، فيجب أن تكون بغاية نبيلة تصب في مصلحة الطرف الآخر ، و ألا تكون بأسلوب التقريع و التأنيب الذي ينفر الآخرين منها ، و ألا تكون من باب التشفي و الانتقام .. و الأفضل أن تكون بينك و بين الطرف الآخر لوحدكما و ألا تحرجه أمام الآخرين و الأهم ألا تجبره على قبول نصيحتك ، بل أن تقدم مشورتك بوضوح و تترك له حرية الأخذ بها من عدمه

إن أشهر مثال عن رفض النصيحة يأتينا من قصص الأنبياء الكرام .. فنجد آدم و حواء يخرجون من الجنة بتجاهلهم لنصيحة البارئ ألا يقتربوا من شجرة المعرفة المقدسة .. كما نجد نوح ينصح قومه بتجنب الطوفان فيتجاهلون كلامه حتى يغرقوا جميعاً ، و هذا أيضاً ما كان مآل فرعون و قومه برفضهم نصيحة موسى ، و بالطبع لا ننس **قصة صالح الذي أوصى قومه ألا يعقروا**

ناقته ففعلوا فحق عليهم غضب الله و عقابه و عذابه ..
و في هذه القصص خير عبرة بحد ذاتها كنصيحة من الله للبشر أن يتعلموا من أخطاء من سبقهم.

*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**النصيحة بجمل**)، من المنطقي بعد اليوم ألا نقول :

= أنا أدرى بنفسي و مصلحتي و سأفعل ما يمليه عليّ عقلي و حدسي ..

بل أن نقول :

= مهما بلغ الإنسان من العلم و الخبرة سينقصه الكثير على الدوام و لعل ما ينقصه موجود عند غيره ممن يرون عيوبه عارية و ممن يمتلكون معلومات و خبرات غائبة عن خزينة عقله ، لا سيما إن كان الواعظ رجلاً متقدماً بالسن تعارك مع الحياة لعقود و مر بمختلف التجارب و جمع كماً لا يستهان به من المعرفة .. لذا علينا أن نتواضع قليلاً و نصغي لنصائح الآخرين خاصة من يحبوننا ، و نقاطع كل ما نسمعه من مشورات في عقولنا كي نخرج بقرارات حكيمة صائبة توفر علينا الكثير من المصاعب و المصائب و الخسائر التي ربما ترتقي إلى خسارة حياتنا نفسها في النهاية ..

نشأنا منذ نعومة أظفارنا نصغي إلى حكاية ذات الرداء

الأحمر الشهيرة التي عزمت على زيارة جدتها فنصحتها أمها بتجنب الخروج عن الطريق أو التكلم مع الغرباء فتجاهلت النصيحة بغرور حتى سقطت بين براثن الذئب كلقمة سائغة ..



و ما أكثر الذئاب التي تتربص بنا في مفارق حياتنا سواءً من داخل أعماقنا بجهلنا لعيوبنا و قصور معرفتنا أو حولنا في الخارج من أشخاص يريدون استغلالنا أو تدميرنا أو مواقف عويصة شائكة تعصف بمحطات حياتنا .. فانزع عنك عزيزي القارئ رداءك الأحمر و أصغِ لنصائح أمنا السماءِ فلا تخرج عن الصراط المستقيم أو تكتفي بنصائح الغرباء سواء نفسك فأنت أكبر غريب عن عيوبك أو الآخرين ممن هم ليسوا أهلاً لاستقبال النصائح منهم ..

و نرجو الله أن تكون سلسلة مغالطاتنا هذه نصائح

إيجابية و مفيدة للقراء ، كي لا يقعوا في أفخاخ مغالطات الحياة ليمضوا قدماً بنجاح و سلامة وعافية في مغامراتهم على كوكب الأرض ..

مغالطة دافنشية

(مسبّع الكارات)

ألمانيا / ميونخ

صباحاً ..

قضى أوليفر رحلة العودة الطويلة مستغرقاً بالتفكير بآخر المستجدات سواء في مصر أو جامايكا ، صحيح أن رحلة الأحجية السابقة كانت قصيرةً بسبب اضطرار السيد عزيز لبترها تبعاً للظروف ، لكنها كانت ممتعةً مع حصاد مذهل للغاية ، خلاصتها على النحو التالي :

◉ نحن الآن في اليوم الإلهي السابع و الأخير ، و قد اقتنع إلى حد كبير بهذه النظرية ..

◉ لسنا وحيدين في هذا الكون فقد خلق الله تعالى غيرنا فيه و سيجمعنا بهم بإرادته، و قد اقتنع أيضاً بذلك ..

◉ كوننا يتوسع في حيز صغير كروي ضمن العالم الآخر ، و هو لم يقتنع تماماً بذلك ، لكنّ السيد عزيز سيقنعه بطريقته الخاصة عبر الأحاجي ..

فهل يفعلها السيد عزيز مجدداً و يثبت له هذه الحقيقة الغريبة !؟

وصل إلى منزله في غارميش بارتن كيرشن مع أنفاس الفجر الأولى فأفطر وجبةً خفيفةً ، ثم أعد كأس متة و جلس في الحديقة تحت شجرة الكافور وارفة الظلال يسترخي متابعاً التفكير بالأحداث التي جرت مؤخراً خاصة التهديد بالقتل الذي تلقاه السيد عزيز بعد اغتيال زميليه البروفيسور ترومان و الأسقف جيمزا مما أضفى طابع العنف و الخطر على رحلات الأحاجي ..

كم هذا شائن و وضيع ، أن تقتل شخصاً من أجل فكرة ما ، **فالناس يجب أن تملك حق التعبير عن أرائها بحرية تامة شريطة ألا تؤذي أحداً ، و الفكرة إن أثرت و أحدثت ضجة فهذا يدل على مصداقيتها و صحتها و يجب أن يحترم صاحبها لأنه يشير إلى الصواب و يدعم المنطق أي أنه يدفع العالم خطوةً أخرى جديدةً بالاتجاه الصحيح ، لا أن يهدد و يقتل، أما الأفكار الهزيلة و غير الصائبة فلا يخشاها أحد و لا يقترب أحد من أصحابها !!**

شعر بحنين و شوق عارم تجاه شام فهو لم يكلمها منذ أيام ، نظر في ساعته إنه توقيت مناسب في القدس ، فكلمها و أخبرها بعودته من السفر كما اطمأن عليها ، على دراستها و على الشيخ نبيل ..

تفرّغ بعدها للتفكير بالأحجية الصغيرة التي تركها له السيد عزيز بخصوص الرقم السري للخزينة ..

إذاً كل من الكلمات الغريبة يمثل رقماً ما ..

بدأ **بزهرة الياسمين** .. فبحث عن صورتها على هاتفه ، إنها زهرة بيضاء ذات خمس بتلات كنجمة تماماً و صورتها بذلك تنطق مباشرة بالرقم الأول و هو **5** غالباً ..

انتقل إلى المصطلح الثاني و هو **نجم القطب** .. بحث على هاتفه عن جميع المعلومات المتعلقة به و عن أي رقم قد يرتبط به ، فوجد أنه نجم يدل على اتجاه الشمال لكن للأسف لا وجود لرقم محدد مرتبط به بوضوح.

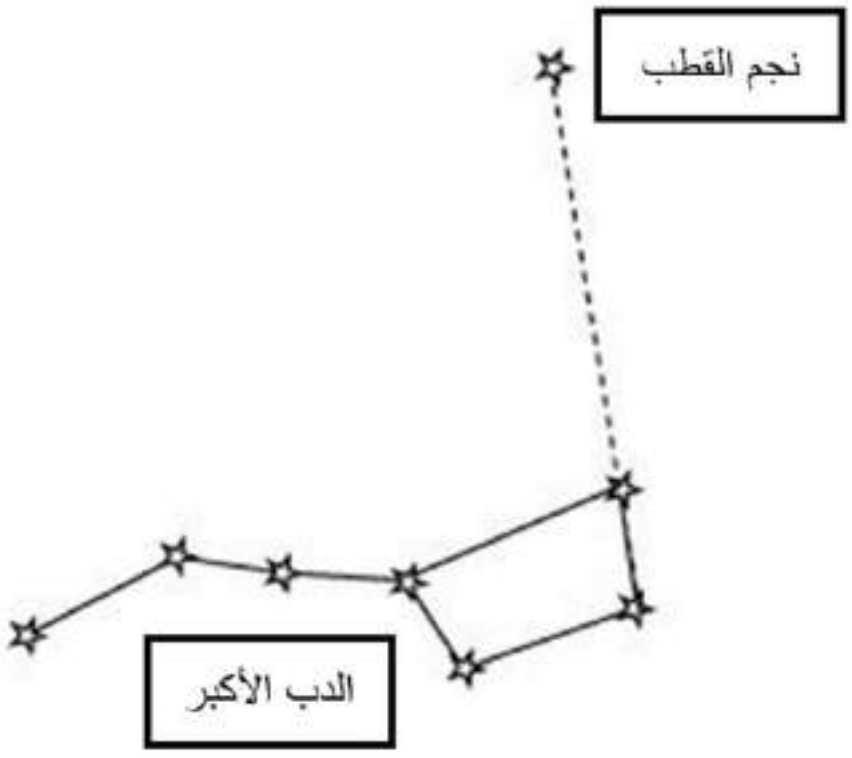

لم يستسلم و بحث أكثر و أكثر حتى عثر عل معلومة غريبة قد تشير إلى شيء ما ، كانت تتحدث عن إمكانية تحديد موضع نجم القطب في السماء من خلال إيصال خط بين آخر نجمتين من مجموعة الدب الأكبر ذات النجوم السبعة لتصل إليه مباشرة ، فهل السيد عزيز يلمح إليه بالنجم الثامن المكمل للدب الأكبر ،

تذكر على الفور اليوم الثامن الأخير اللانهائي الذي يلي أيام الحياة السبعة و ابتسم ، ما هذا الترابط العجيب ؟

إذاً الرقم الثاني على الأرجح هو **8** .

ثم انتقل إلى المصطلح الثالث و هو **إله الحرب** ، غالباً يقصد به السيد عزيز الإله الإغريقي أي الإله مارس أو المريخ لكن لا أرقام معروفة مرتبطة به، فهل يقصد به كوكب المريخ ؟ ممكن جداً و في هذه الحالة يصبح له ترتيب بحسب بعده عن الشمس و هو الرابع ، بالتالي نحصل على الرقم الثالث و هو **4** ..

بقي الرقم الأخير ، فما لذي يقصده السيد عزيز **بالقيصر** ؟ بحث على هاتفه و كانت جميع النتائج تتحدث عن الشيء نفسه ، إما القيصر الروسي أو القيصر الروماني و بالأخص قيصر روما الأشهر يوليوس ، سرعان ما ربط أوليفر اسمه بشهر يوليو/ تموز أي السابع الذي سمي تيمناً به .. ابتسم بانتصار ، لقد حصل بذلك على الرقم

الأخير وهو **7** ، فالرقم يصبح **5847** ..

لكن ما لذي يعنيه السيد عزيز بالمرآة ..

بحث مجدداً على هاتفه ولم يعثر على أي معلومة هامة قد تربطها برقم معين ، لم يتذمر و واصل البحث عن أي سر متعلق بالمرآة حتى عثر أخيراً على معلومة تتناسب تماماً مع هذه الأحجية ، إنها طريقة سرية استخدمها **ليوناردو دافنشي** قديماً لإبقاء المعلومات ضمن خانة الأسرار و ذلك بالكتابة بشكل معكوس ثم وضع الورقة أمام المرآة التي تعكس الكلمات لتظهر الكتابة الحقيقية مقروءة بوضوح ..

إذاً خلاصة كل ما سبق يكون الرقم السري لخزينة السيد عزيز هو **7485** ، فهل هو صحيح ؟ ..

كم أنت غريب أيها السيد عزيز .. ربما تكون أكثر شخص غامض عاشق للأسرار و الأحاجي على وجه البسيطة ..!

*****

في اليوم العاشر من عودته من جامايكا ، وصلت رسالة السيد عزيز الجديدة المنتظرة ، ذكرته على الفور بأحاجي الزيتونة فقد كانت شعرية :

انقسم الزمن به إلى قسمين ..

قبله أيام و بعده أكثر من يومين ..

انتصب عالياً فوق التلال ..

و نظراته تكشف المستور ..

اسمه المتخفي في الظلال ..

إنسان الله الجاذب للنور ..

وعلى طاولة معيّنة .. وضعت كرة زجاجية

إنها مثال أو عيّنة .. تحوي أسراراً غيبية

توضع تحت المجهر

فتتكشف الأمور

عزيز اليقين

كانت الأحجية طويلةً نسبياً و غريبةً كالعادة .. لكنها تحوي معلومات لا بأس بها كما يبدو ..

كنظرة أولى لاحظ أنها مؤلفة من أربع مقاطع .. فقرر محاولة حلها مقطعاً تلو الآخر .

لنرى ، لدينا المقطع الأول يتحدث عن شيء أو شخص هام انقسم الزمن بسببه إلى قسمين ..

ذكره هذا المقطع على الفور بالمسيح ، فالتاريخ مقسم إلى قبل ميلاده و بعده ، منطقي جداً ، تأكد من صحة تفكيره من خلال الشق الثاني فهو يشير إلى الأحجية السابقة ذات الأيام الإلهية السبعة ، و التي تقسم إلى أربعة أيام قبل المسيح و يومين بعده و الثالث نعيشه الآن .. هذا مناسب بشكل مثالي فقبل المسيح أيام بالفعل و بعده أكثر من يومين كما تقول الأحجية .. !!

جميل ، ننتقل إلى المقطع الثاني الذي يقول أن المسيح ينتصب فوق التلال و ينظر إلى شيء ما يدل على اسم متخفٍّ ، هذا الشق غريب ، لكنه يذكره بشيء ما بالفعل ، عصر تفكيره و ذاكرته لدقائق حتى تذكر في النهاية ، إنه **تمثال المسيح الفادي** الذي ينتصب أعلى تلة في مدينة ريودي جانيرو البرازيلية مشرفاً على المدينة ، إذا فالسيد عزيز يدله على عنوان شخص في المدينة و اسمه كما ذكر في الأحجية (إنسان الله الجاذب للنور) ، لكن ما معنى ذلك .. ؟؟

عاود البحث عن اسم يعني إنسان الله فوجده على الفور إنه غابرييل ، رائع ، و الآن اسم يعني الجاذب للنور ، و كان لوكاس ..

هكذا أصبح لديه اسم كامل (**غابرييل لوكاس**) موجود في ريو دي جانيرو .. فهل تحليلاته صائبة ؟

انتقل إلى المقطع الثالث إنه يتحدث عن طاولة معينة

الشكل عليها كرة زجاجية ، لقد شاهد هذا المنظر من قبل عند السيد عزيز ، لكنه شاهده اليوم أيضا منذ لحظات فقط و هو يبحث لكن أين ؟ عاود التدقيق في صفحات البحث السابقة فوجد ضالته ، إنه علم البرازيل ، المعين الذي يحوي كرة مليئة بالنجوم (الكرة الكونية !!) ..



ابتسم بثقة و انتصار ، إنه على الطريق الصحيح بلا أدنى شك ..

بقي الجزء الرابع و الأخير الذي يتحدث عن وضع الكرة الزجاجية كعينة تحت المجهر فتتكشف الأمور ، ما لذي يقصده السيد عزيز يا ترى ؟! على الأرجح يشير إلى توجه معين او وظيفة محددة تعتمد على المجهر بشكل أساسي ..

بذلك أوفت الأحجية بكل وعودها ، فلدينا مكان هو ريودي جانيرو مع اسم هو غابرييل لوكاس و وظيفة هي غالبا مختبر أو ما شابه ذلك .. هذا كم هائل من

المعلومات لم يصادفه في أي أحجية سابقة .. !!

قام بترتيباته المعهودة فحجز تذكرة سفر إلى البرازيل للغد مع غرفة فندق في ريو دي جانيرو ..

*****

البرازيل / ريو دي جانيرو

صباحاً ..

دخل أوليفر إلى غرفة الفندق بعد رحلة طويلة استغرقت حوالي **15** ساعة، فنظم أغراضه على الفور .. اغتسل و ارتدى ملابسه الصيفية .. فالبرازيل الآن تودع آخر أيام الصيف في نصف الكرة الجنوبي ، ثم خرج إلى الشرفة ، ليفاجأ بإطلالة سحرية هاربة من قصص ألف ليلة و ليلة فالتلال تحيط بالمدينة من كل الجهات ، و الجزر تتناثر أمام الشواطئ ، من جهة البحر امتد **شاطئ كوبا كابانا** الشهير كسبيكة ذهبية انتشرت عليها المظلات الملونة كمجموعة جواهر متلألئة سقطت من صندوق كنز و تبعثرت على رمال الشاطئ ، أما من الجهة الأخرى فقد انتصب تمثال المسيح الفادي ذو الذراعين الممدودتين مشرفاً على المدينة و كأنه يباركها أو يحميها ..

ما الخطوة التالية الآن ؟

الإجراء الأفضل الآن هو سؤال موظفة الاستقبال في الفندق عن مختبر أو طبيب ذي علاقة باسم غابرييل لوكاس و في الحقيقة لا خيار آخر أمامه ..

نزل على الفور إلى الطابق الأرضي فقد كان مفعماً بالنشاط و الحماس و نال كفايته من النوم في الطائرة لذا قرر الشروع برحلة التحري مباشرةً ، تقدم من موظفة الاستقبال مرة أخرى فحياها ..

● آنسة أدريانا ، إنني أبحث عن شخص في المدينة اسمه غابرييل لوكاس يملك مختبرا على الأغلب أو يعمل في السلك الطبي ، فكيف يمكنني الوصول إليه .. ؟

○ مختبر الطبيب غابرييل ، بالطبع إنه مشهور للغاية هنا في ريو ، انتظر لحظة من فضلك ..

بحثت في كتاب أمامها للحظات و كتبت العنوان على ورقة ثم سلمتها له ..

○ تفضل سيد أوليفر ، هذا هو العنوان ..

● أشكرك جزيل الشكر ..

○ بلاد السامبا ترحب بك ..

ابتسم لها ثم غادر الفندق سعيداً و منتشياً بما حققه للتو فقد مشت الأمور بأيسر مما توقع و استنتاجاته كلها كانت دقيقة و صائبة ، استقل سيارة أجرة من أمام الفندق و

أعطى السائق العنوان ، لتصل إليه بعد ربع ساعة فتتوقف أمام مبنى كبير في مركز المدينة أشار إليه السائق بسبابته تعبيراً منه عن وصولهم إلى وجهتهم أخيراً.. فترجل أوليفر منها و تقدم من المبنى ، كانت هنالك لافتة كبيرة على الطابق الثاني تحمل عنوان (مختبر الطبيب غابرييل لوكاس) لعلم التشريح المرضي ..

وقف يجمع شتات أفكاره ، ما هي الخطوة التالية الآن ؟

قرر أن يستخدم السيد عزيز كذريعة للتعرف على الطبيب غابرييل كما فعل ذلك مرات كثيرة من قبل فهي طريقة أثبتت نجاعتها ..

تقدم من المبنى فدخله و صعد إلى الدور الثاني حيث وجد أمامه غرفاً كثيرة في الطابق ، بحث عن لافتة تحمل اسم الطبيب حتى وجدها.. لم يتردد و دخل من الباب ليجد شاباً يعمل خلف طاولة مليئة بالصناديق و كأنه مخبري، ابتسم له و حياه، ثم قال له بالإنجليزية فهو لا يتقن البرتغالية ..

● مرحباً .. أدعى أوليفر ، و أودّ رؤية الطبيب غابرييل لبضع دقائق ..

أجابه الشاب بإنجليزية مكسرة قليلا ..

○ أهلاً و سهلاً بك ، انتظر لحظة ..

اتجه إلى باب مغلق في طرف الغرفة و طرق عليه ،

فسمع صوتاً أجشاً يدعوه للدخول ، غاب لثوانٍ ثم عاد

◯ الطبيب بانتظارك ، تفضل ..

دخل أوليفر إلى الغرفة الجانبية ، فوجد طبيباً متقدماً بالعمر نوعاً ما ذا لحية بيضاء خفيفة مع نظارات سميكة على عينيه، ابتسم له بملامح ودودة للغاية ثم خاطبه بلباقة مفرطة ..

◯ أهلاً و سهلاً بك سيد أوليفر ، كيف هو حال السيد عزيز ؟

تفاجأ أوليفر قليلاً ثم ابتسم، إنّ الأمور تسير بسلاسة غريبة، فالطبيب يعرفه ، و هذا يوفر عليه الشرح الكثير

● أهلا بك حضرة الطبيب ، بخير و يرسل لك تحياته القلبية ..

◯ هنالك أمانة لك معي من السيد عزيز ، كما أود أن أريك شيئا أيضاً

● بالطبع حضرة الطبيب ، أشكرك على الاحتفاظ بالأمانة و على وقتك الثمين ..

◯ إن السيد عزيز صديق مقرب للغاية و أسعد كثيراً بإسداء المعروف له ، هل سبق و أن نظرت عبر مجهر من قبل سيد أوليفر ؟

● لا ، للأسف لم أحظ بهذه الفرصة من قبل ، لقد

درست المجهر بشكل نظري بحت ..

◯ إذا فأنت على موعد مع تجربة فريدة و شعور مذهل حالاً ، تعال معي ..



اتجه الطبيب إلى طاولة في طرف المختبر عليها مجموعة مجاهر ، في حين أخذ أوليفر يتأمل الغرفة من حوله و سرعان ما لفت نظره لوحة كبيرة معلقة على الجدار الجانبي لشخص يشبه ملامح المسيح يمسك بيده

كرة زجاجية فتسمر في مكانه و تذكر كلام السيد عزيز في جامايكا عن الكرة الكونية مضمون الأحجية الحالية



● لوحة جميلة و مرسومة بحرفية عالية حضرة الطبيب ..

ابتسم الطبيب غابرييل ..

○ بلى إنها كذلك و تدعى (**سلفاتور مندي**) أي مخلص العالم و تمثل السيد المسيح .. إنها من أعمال

الفنان **ليوناردو دافنشي** ..

دهش أوليفر للغاية من المعلومة ، إنه يعلم مسبقا بأن دافنشي يضمّن أسراراً كثيرة في لوحاته ، لكن أن يتطرق إلى موضوع الكرة الكونية فهذا أمر غريب و غير متوقع !

● و هل تعرف أيها الطبيب إلامَ رمز دافنشي بالكرة الزجاجية ؟!

أجابه الطبيب و هو يبحث في علبة مليئة بشرائح زجاجية

○ في الحقيقة لا ، لا أعرف ، إن ما يهمني في اللوحة هو شخص السيد المسيح لا أكثر ..

هز أوليفر رأسه في حين اختار الطبيب شريحةً زجاجيةً من العلبة و أراها لأوليفر ثم سأله ..

○ ما لذي تراه في هذه الشريحة سيد أوليفر ؟

كانت الشريحة فارغةً تماماً و يمكنك الرؤية من خلال زجاجها ، فقال بدهشة ..

● لا أرى شيئا ، إنها فارغة !!

وضعها الطبيب تحت المجهر و غير قليلا في إعداداته

○ انظر الآن مرة أخرى ..

نظر أوليفر عبر المجهر ، و شعر بنفسه يخطو إلى عالم

آخر تماماً ، كانت هنالك حياة قائمة بذاتها على الشريحة ، مادة من نسيج ما مع كائنات حية دقيقة بعضها ثابت و الآخر يتحرك ، أخذ يتنقل بين أقسام الشريحة فيرى أشكالًا جديدًة و نسجاً أخرى من موقع لآخر .. عالم قائم بحد ذاته في مجال صغير للغاية لا يرى بالعين المجردة !!

و رغم أنه قد درس عن المجهر في تعليمه سابقاً كما قال و يعرف هذه الحقيقة ، لكن رؤيتها بأم عينه كان له وقع مختلف كلياً ، شعور غريب مربك ، كيف لمثل هذا الفراغ المحدود أن يعج بكل هذه الحياة ، و تذكر كلام السيد عزيز عن الكون الذي يتسع في حيز صغير في عالم آخر و ابتسم برهبة ..

● إنه لشيء فريد و مذهل بالفعل !

○ بلى إنه كذلك ، لطالما كنا نقول أن الإنسان عبارة عن نقطة في هذا الأرض تهمل لصغرها من حيث الحجم ، ثم أثبت العلم من خلال التلسكوب التوأم السيامي للمجهر أن الأرض مجرد نقطة في المجرة التي هي عبارة عن نقطة في هذا الكون .. ثم جاء المجهر ليثبت لنا وجود كائنات حية عبارة عن نقاط غاية في الصغر بالنسبة للإنسان نفسه تهمل بدورها لصغرها كالبكتريا و الفيروسات مما طرح التساؤل الأهم : كيف نقيم مسألة الحجم ؟ و ما جملة المقارنة التي نعتمدها ؟..

● بالفعل إنه تساؤل مشروع !

○ و الآن سأسلمك الأمانة سيد أوليفر ، اعذرني لضيق وقتي فأمامي عشرات العينة لدراستها و تقديم تقارير عنها خلال فترة ضيقة ، علنا نتقابل في ظروف مناسبة أكثر لنتابع حديثنا ..

اتجه إلى ما يشبه الخزنة متوسطة الحجم في زاوية المخبر، انحنى و فتح بابها ثم أخرج ما يشبه صندوقاً متوسط الحجم مغلفاً بعناية و سلمه لأوليفر الذي تلقفه بفضول و سعادة بالغين .. كان ثقيلاً نوعاً ما مما أثار دهشته ، إنها ليست لوحة كسابقاتها بكل تأكيد .. شكره جزيل الشكر على لطافته و وقته الثمين ثم غادر عائداً أدراجه إلى الفندق ..

*****

لا شك عزيزي القارئ أنك لاحظت خلال القصة القصيرة السابقة أننا أتينا على ذكر الفنان الإيطالي **ليوناردو دافنشي** في عدة مناسبات ، و الحقيقة أنّ هذه ليست حالة فردية عبثية ، فهذا الاسم الشهير يقتحم أغلب الأعمال الفنية بطريقة أو بأخرى ، إذ جعل دافنشي من نفسه رقماً صعباً في الحياة بلا شك كجوكر يمكنه إقحام نفسه في شتى مجالات الحياة فتليق به بشكل مثالي غريب .. لكن لماذا ؟ ما السرّ خلف شهرة دافنشي الغريبة هذه دوناً عن بقية الفنانين و ربما بقية الناس عموماً .. قد يظن البعض

أن شهرته هذه مجرد صدفة عبثية أو متاجرة باسمه لتحقيق الأرباح ، لكن في الحقيقة هذا التفسير ينطوي على مغالطة كبيرة ، فدافنشي استحق شهرته هذه و بجدارة ..

كيف ذلك ؟ هذا ما سنحاول تحليله أكثر خلال الصفحات التالية عبر مقاربة مغالطتنا من **5** زوايا هامة و شيقة :

- **حياة دافنشي في سطور ..**
- **تفرّد دافنشي ..**
- **إنجازات دافنشي ..**
- **ألغاز دافنشي ..**
- **أشهر أقوال دافنشي ..**

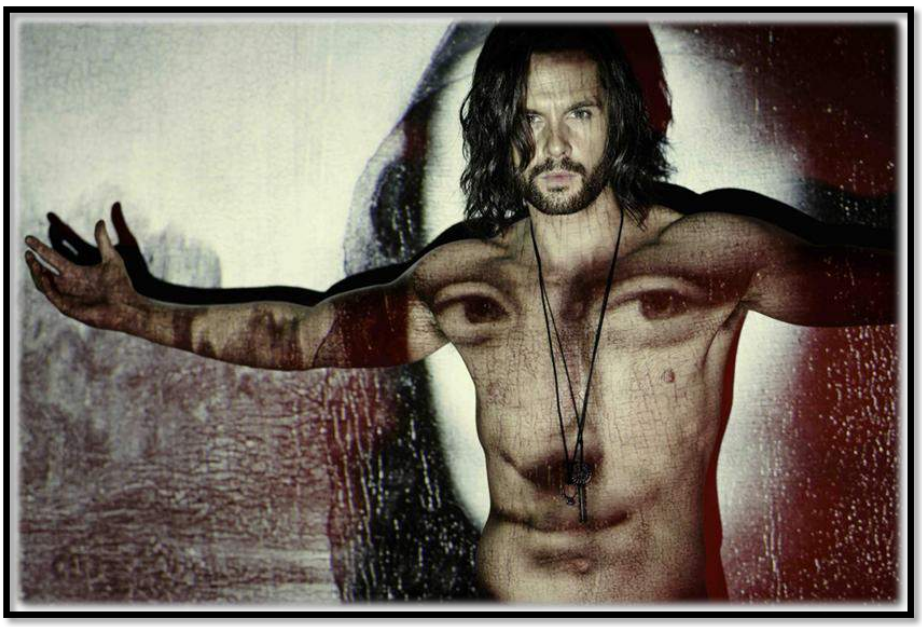

فهيا بنا عزيزي القارئ نستقل آلة السفر عبر الزمن لنعود قليلاً إلى عصر النهضة و نتعرف أكثر على شخصية ليوناردو دافنشي الغامضة التي تحولت إلى ترند عالمي عابر للأجيال ..

① حياة دافنشي في سطور:

◉ وُلد **ليوناردو دافنشي** في شهر أبريل عام **1452** ميلادي لأب ثري وأم فلاحة غير متزوجين قانونياً أي أنه كان لقيطاً ، و كان يعيش كلاهما في **بلدة فينشي** التابعة **لمقاطعة فلورنسا** الإيطالية.

◉ تلقّى تعليمه الفني في مرسم الفنان الإيطالي **أندريا دل فروكيو** في فلورنسا تحت إمرة الحاكم **لورينزو دي ماتيدشي** ..



◉ قضى مطلع حياته المهنية في خدمة الدوق **لودوفيكو سفورزا** في ميلانو، كما عمل لاحقاً في مدن إيطالية الأخرى مثل روما وبولونيا والبندقية ..

◉ عاش آخر أعوامه في **فرنسا**، حيث توفّي في **قصر كلو لوسي** في شهر مايو من عام **1519** عن عمر يناهز **67** عاماً دون أن يترك خلفه زوجة أو أولاد إذ أنه لم يتزوج طيلة حياته ، ويُقال إن سبب وفاته كان سكتة دماغية..

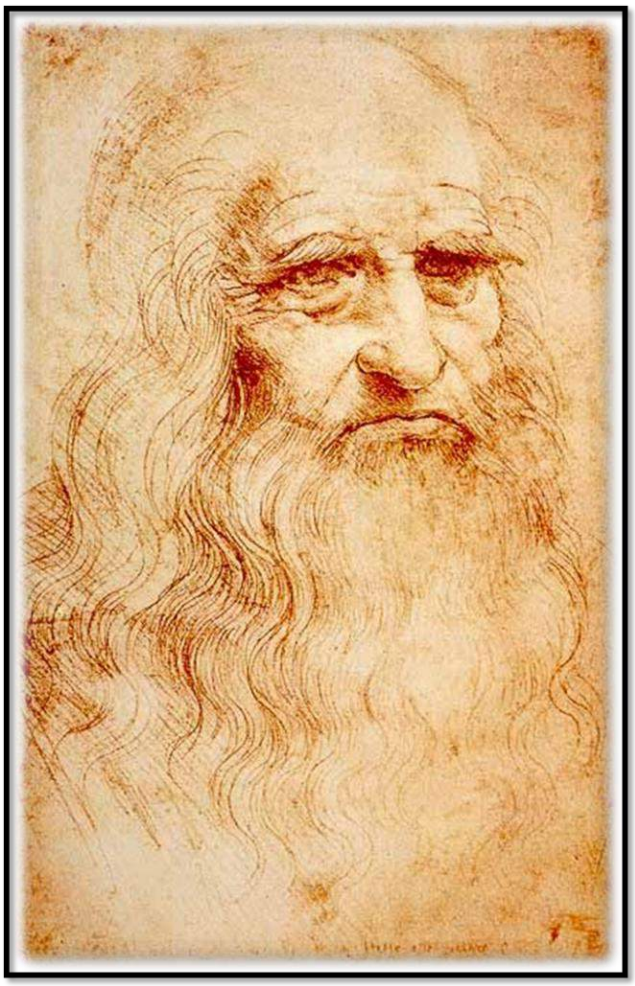

② تفرّد دافنشي:

في الحقيقة تميز دافنشي عن غيره من الفنانين ينبع من كوكبة من الأسباب المنطقية التي قل ما تجتمع في فنان واحد و نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

❁ **تعدد مجالات العمل** : فبينما يميل أغلب الفنانين إلى العمل في مجال واحد كالرسم أو النحت أو الموسيقى أو العلوم أو غيرها .. نجد دافنشي عمل في كل هذه المجالات معاً ، و الأهم أنه نجح فيها كلها و ترك لنفسه بصمة فريدة في كل مجال منها .. فقد كان دافنشي رساماً و نحاتاً و أديباً و معمارياً وموسيقياً ومهندساً حربياً وعالماً في الفلك والرياضيات والفيزياء والجيولوجيا والنبات والخرائط و غيرها من المجالات ، أي أنه كان كما يقال في التراث الشعبي (مسبّع الكارات) !!

❁ **شخصية دافنشي الغامضة** : فنجده تارة يتذكر أحداثاً عندما كان رضيعاً .. ثم يعاني من شخصية تكاد تكون فصامية بين نمط حياة ماجن من جهة و روحاني للغاية في جوهر أعماله الفنية من جهة أخرى .. كما نجده يجيد الرسم باليدين و إن كان أعسر في الأساس و كأنّ نصفي دماغه يعملان معاً حتى الذروة ، كما نجده بشخصية وسواسية قسرية تعشق الروتين الباعث على الأمان و تسعى الى الكمال فلا تكمل أغلب مهامها بسبب ذاك ، لكنه من جهة أخرى يتنقل من مدينة إلى أخرى و كأن شياطين حقيقية تلاحقه فيهرب منها ..

❁ **الميول الجنسية لدافنشي** : لا تزال مثار جدل حتى يومنا هذا فبعض الروايات تقول أنه كان زير نساء ، و بعضها الآخر يفترض أنه كان شخصاً عفيفاً ألهاه الفن و

العلم عن الاهتمام المفرط بالجنس .. و حتى نجد روايات تقول أنه كان مثليّ الجنس كقصته مع أحد الشبان الذي كان يرسم بورتريه له فراوده عن نفسه .. و لا نجد هذه الروايات المتنوعة المتناقضة بشدة في حياة أي فنان آخر غير دافنشي الغامض ..

❁ **الألغاز الدفينة في لوحاته** : فدافنشي ربما لم يكن غزيراً بلوحاته الفنية لكنه فضّل النوعية على الكمية ، فهو لا يرسم اعتباطياً ، بل إنه يرسم فقط ما يريد و يضمنه عدداً كبيراً من الألغاز الخطيرة كما سنرى بعد قليل ..

❁ **دافنشي هو أكثر فنان عبر التاريخ أثبت أن كل ما يجول في مخيلة الإنسان من أشياء يمكنه أن يبصر النور عبر تطور العلوم** .. لذا نجد كثيراً من اختراعاته الثورية في زمانه التي وصف بسببها بالجنون و لم يصدق أحد أنه بالإمكان تصييرها واقعاً ، قد أصبحت حقيقة لاحقاً نستفيد منها في زماننا الراهن ..

③ إنجازات دافنشي:

◉ **لوحاته الفنية** : كما أسلفنا منذ قليل فإنّ دافنشي لم يترك خلفه لوحات كثيرة ، لكن بسبب شخصيته الغامضة الغريبة فإن كل لوحة من لوحاته أصبحت من أشهر الأعمال الفنية في التاريخ و حيكت حولها القصص و

الألغاز و الفرضيات و لعلّ أشهر أعماله :

= لوحة الموناليزا ..

= جدارية العشاء الأخير ..

= لوحة سلفاتور مندي ..

= لوحة عذراء الصخور (الصورة أدناه) ..

= أيقونة الرجل الفيتروني ..



◉ **اختراعاته الحربية** : كالحوامة و الباراشوت و

المدفع المتعدد و المركبة المدرعة و غيرها ..



◉ **اختراعاته العلمية** : كبدلة الغوص و جهاز الطيران و المضخة الهيدروليكية و الرجل الآلي و المنبه المائي و جهاز قياس الرياح و غيرها ..

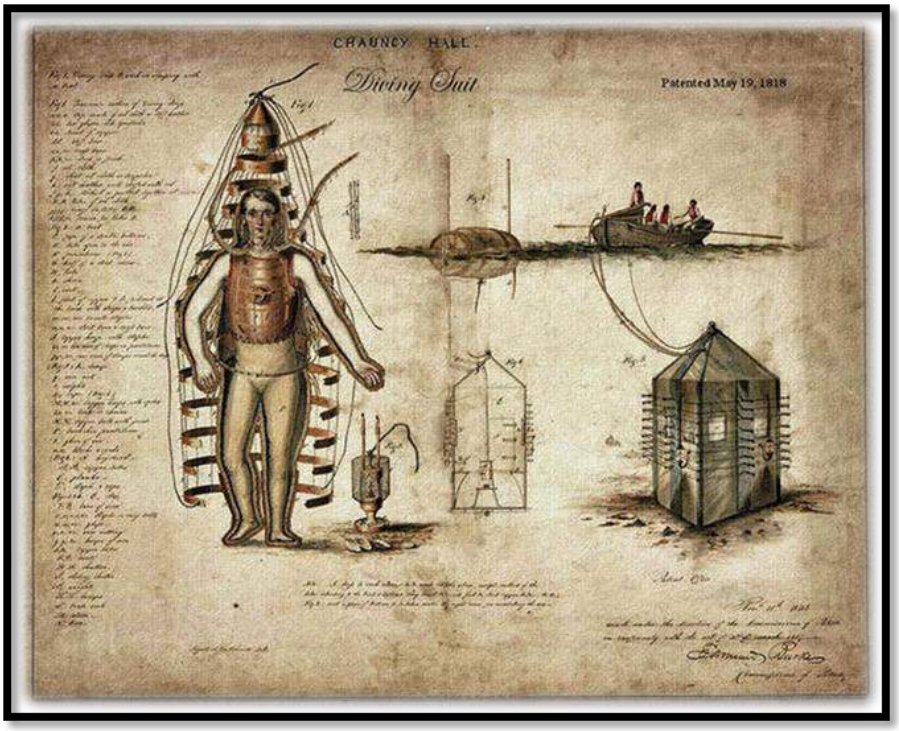

◉ **إنجازاته الطبية** : أبدع في تشريح جسم الإنسان بدقة و ترك خلفه كثيراً من الرسوم التي توضح ذلك و التي شكلت لبنة هامة في تطور الطب في القرون اللاحقة ، لكن يعاب عليه أنه رسم أكثر مما سجل و وثق ..



◉ **اختراعاته الموسيقية** : منذ أكثر من **500** سنة كان ليوناردو دا فينشي يحلم **بالفيولا أورغانيستا** ، و رسم تصميماً أولياً لها لكنه لم يتمكن من تحويله واقعاً في حياته ، و في عام **2013** أنشأ الصانع البولوني وعازف البيانو **سلاومير زوبرزيسكي** أول نموذج واقعي لها ..

هذا الاختراع غير المألوف هو مزيج من ثلاث آلات موسيقية كانت موجودة خلال عصر النهضة ، وهي **الهاربسيكورد** و **الأورغن** و **الفيولا دي غامبا** .. تخيل لو لدينا كمان وبيانو في آلة واحدة ، هذا ما أراده دافينشي ، أراد أن يصنع آلة تكون مثل الآلات الوترية ذات القوس

ولكنها بنفس الوقت آلة لوحة مفاتيح !!.



④ ألغاز دافنشي:

❁ لوحة الموناليزا الغامضة :

سبق لنا و أن قاربنا هذه اللوحة الغامضة في مغالطة سابقة بعنوان (**ابتسامة الموناليزا**) من قبل .. هذه الابتسامة الساحرة التي تتأرجح بين الحزن و الفرح ، بين الجدية و المزاح ، بين الطبيعي و المرضي .. ابتسامة جعلت بورتريه لسيدة عادية الجمال واحدة من أشهر اللوحات الأيقونية في العالم ، و يقال أن دافنشي ترك أيضاً مجموعة رموز غامضة في خلفية اللوحة لم يتمكن

أحد من تفسيرها حتى اليوم ، و لا ندري لعل قادم السنين يكشف لنا مزيداً من المفاجآت حولها ..



❁ جدارية العشاء الأخير :

هذه هي أكثر الأعمال الفنية إثارة للجدل في التاريخ فقد افترضت أن المسيح تزوج في حياته من مريم المجدلية التي تظهر صحبة تلاميذه معه في اللوحة و ألفت على أساسها روايات كثيرة كشيفرة دافنشي مثلاً ، إذ يشاع أن

دافنشي كان عضواً في جماعة مسيحية سرية تحمل أسرار المسيح و الكأس المقدسة جيلاً بعد جيل !!

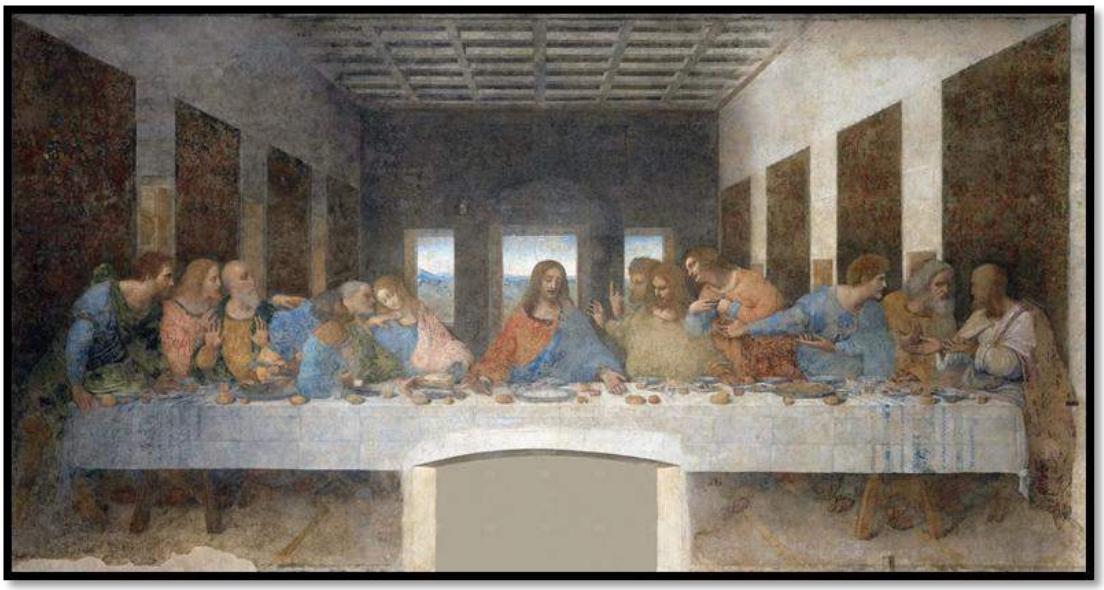

❁ لوحة سلفاتور مندي :

التي تحدثنا عنها في مقدمة مغالطتنا و التي يقال أن الكرة الشفافة التي يحملها المسيح في اللوحة تجسد الكرة الكونية التي يتوسع فيها كوننا ، و قد سبق أن قاربنا هذه الفكرة في مغالطة سابقة بعنوان (**القرآن البدوي**) و شرحنا كيف أن القرآن تطرق إلى الكرة الكونية بالفعل في الآية التي تقول :

(يا معشر الجن و الإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات و الأرض فانفذوا)

و باعتبار أن القطر مصطلح مقتصر على الدائرة و الكرة فهذا يفترض أن الكون حاله كحال الكرة الأرضية هو

كرة بحد ذاته أيضاً ..



❁ رسمة الرجل الفيتروني :

و سبق و ناقشنا الألغاز المتعلقة بهذه اللوحة في مغالطة سابقة بعنوان (**OLD IS GOLD**) ، و شرحنا كيف أن هذه الرسمة تختصر قوانين الفيزياء الأساسية كلها من تناظر و حركة و قطبية و سببية .. إضافة إلى

الكرة الكونية مجدداً و القوى الأربعة الأساسية في الكون

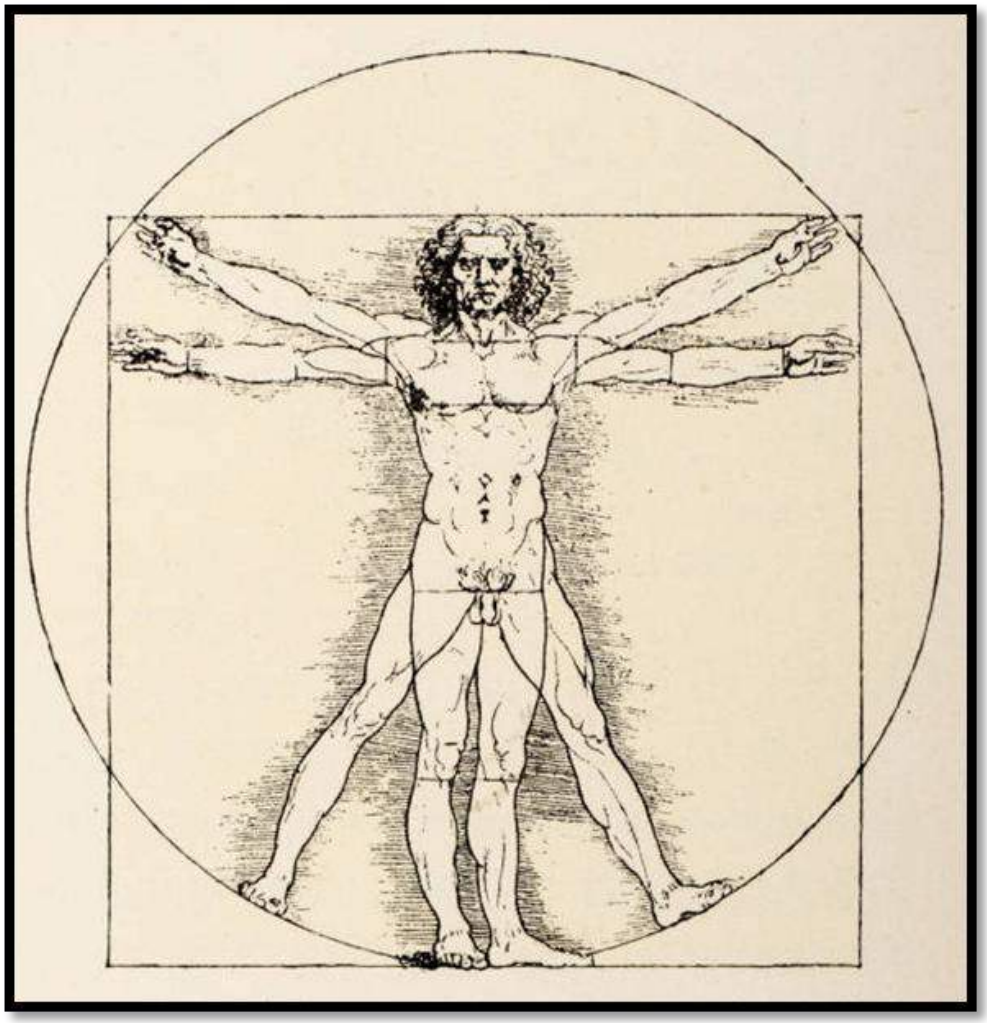

⑤ أشهر أقوال دافنشي:

لم يكن دافنشي فناناً و مخترعاً و عالماً فحسب بل هنالك جانب فلسفي في شخصيته نستشفه من أقواله العميقة التي تركها خلفه من قبيل :

- إن الطبيعة لطفت بنا عندما جعلتنا نعثر على المعرفة حيثما أدرنا وجوهنا في هذا العالم ..
- إن الرجال ذوي الإدراك السطحي لا يستحقون سوى

كيس يستوعبون به طعامهم ويخرجونه ثانية، لأنهم ليسوا سوى قناة هضمية تتنفس ..

● كثيرون هم الذين اتخذوا من الأوهام والمعجزات الزائفة وخداع البشر تجارة لهم ..

● ما أن تتذوق طعم الطيران ستسير دوماً على الأرض فيما عيناك معلقتان في السماء ، حيث أنك كنت هناك وإلى هناك ستتوق إلى العودة دوماً..



● كما أنّ قضاء يوم جيد يجلب نوماً سعيداً ، كذلك فإن الحياة التي تنفق جيداً تجلب موتاً سعيداً ..

● أنبل متعة هي متعة الفهم ..

● الجسد الجميل يفنى ، لكن العمل الفني الجميل لا يموت .. (لوحات دافنشي خير دليل على ذلك) ..

- الطبيعة لا تخرق قوانينها أبداً..
- من يحب الممارسة بدون نظرية هو مثل البحار الذي يركب السفينة بدون دفة أو بوصلة ولا يعرف أبداً أين قد يتجه..
- الحديد يصدأ من الاهمال ، المياه الراكدة تفقد نقاءها وتصبح متجمدة في الطقس البارد، و هذا بالضبط ما يفعله الكسل إنه يستنزف قوة العقل..
- من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذاً مسكيناً..
- لا شيء يقوي السلطة كما يفعل الصمت ..



*****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الفنية (**مغالطة دافنشية**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= ليوناردو دافنشي مجرد رسام كغيره ، لماذا كل هذا التهليل له ؟

بل أن نقول :

= دافنشي ليس رساماً فحسب بل فنان متعدد المواهب ترك بصماته المميزة في مختلف نواحي الحياة .. و لا تزال لوحاته تفصح بالمزيد من الأسرار عاماً بعد عام .. و لا تزال تصاميمه تجسد على أرض الواقع على نحو مبهر بعد نصف ألفية على وفاته ..

و في النهاية أصدق مقولة تصف ليوناردو دافنشي باختصار هي :

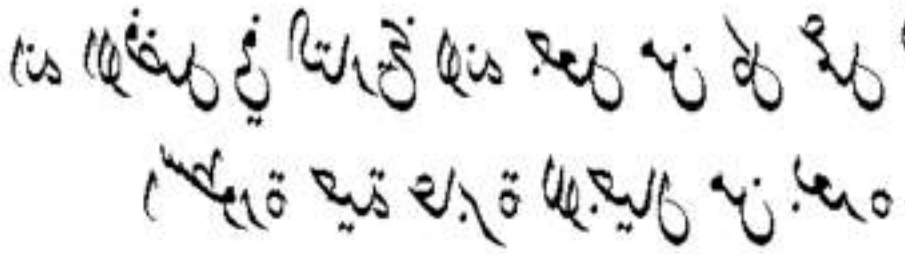

ماذا لو ؟...

محتوى الكتاب :

- مغالطة سريالية (الدولة العميقة)
- مغالطة أصغر من الذرّة (بوزون هيغز)
- مغالطة قمر 14 (الدورة الشهرية و الدورة القمرية)
- مغالطة الموت الرحيم (قتل النفس بالحق)
- مغالطة مخمس الشيطان (بافوميت)
- مغالطة الأصنام الفكرية (مطرقة نيتشه على رباعي بيكون)
- مغالطة قارّة الأحلام الذهبية (قناع ماسكيباثا)
- مغالطة أكثر من عكّاز (و لي فيها مآرب أخرى)
- مغالطة بلورات الزمن (التاريخ يعيد نفسه)
- مغالطة ماذا لو ؟ (ذكريات لم تحدث بعد)
- مغالطة العمالقة (سدّ ذي القرنين)
- مغالطة خريطة الكنز (وشم السماء = الثالوث المقدس)
- مغالطة OLD IS GOLD (علوم الأولين)
- مغالطة الإعدام (و لكم في القصاص حياة)
- مغالطة إيكو (لعنة حورية)
- مغالطة النفق الكمي (DOCTOR STRANGE)
- مغالطة واقع افتراضي (الأكوان الموازية)
- مغالطة الخمرة الإلهية (جرح النور)
- مغالطة إلى أقاصي الأرض (تشبث بأحلامك)
- مغالطة لغة الصورة (بألف كلمة و معنى)
- مغالطة داروين و التطور (وجه العلم و أوجه الدين)
- مغالطة الشهر النسيء (اليوم استدار الزمان)
- مغالطة امبراطورية الجسد (الخلية الإله)
- مغالطة النصيحة بجمل (المرآة السحرية لا تكذب)
- مغالطة دافنشية (مسبّع الكارات)

د

